الجمهوريــــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جــــامـــــعة بـــــاتنــــــة
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم اللغة العربيـــة وآدابهـــا

# أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث

**(1925 – 1962)**

بحث مقدم لنيل شهادة دكتوراه الدولة في الأدب العربي الحديث

إعداد الطالب :
حسين بن مشيش

تحت إشراف :
أ د : خذري علي

لجنة المناقشة

| | | |
|---|---|---|
| ـ أ.د.صالح مفقودة | جامعة بسكرة | رئيسا |
| ـ أ.د.على خذري | جامعة باتنة | مشرفا ومقررا |
| ـ أ.د.عز الدين بوبيش | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |
| ـ د.عيسى مدور | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |
| ـ د.عبد الرزاق بن السبع | جامعة باتنة | عضوا مناقشا |

السنة الجامعية : 2008/2007 م .

# بسم الله الرحمن الرحيم

## { إِقْرَأْ بِسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ .خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ . إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمْ . اَلَّذِي عَلَّم بِالْقَلَمْ . عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ}

**صدق الله العظيم**
**سورة العلق : 1 ، 2 ، 3 ، 4 ،5**

# مقدمـــة

لقـد كان القــرآن الكريـم وسيبـقى من الكتب السماوية المنزلة على رسوله الأكرم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، المحفوظ إلى يـوم الديـن ، مصداقا لقوله تعالـى:{ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لحَافِظُــوُنْ** } سورة الحجر:9 . خلافـا لغيره من الكتب السماويـة المنزلـة مــن قبلـه .

والقرآن الكريم هو الذي جعل العرب يحتارون من دقتـه وينبهرون من شموليتـه ، فألزموا نفوسهم حفظه ومدارسته والمحافظـة عليه ، واعتمدوه مصدرا أساسيا فـي مختلف الأبحاث وفـي جميع المجـالات .

وقد نالت اللغة العربية وآدابهاحظا كبيرا فى ظل القرآن الكريم ، وخاصة في مجال التجديد الحاصل في الأساليب البلاغية الرفيعـة. وقدا استمر الإنتاج الأدبي خلال العصور يقتبس من فيض القرآن الكريم ، خطابـة ، ورسائـل ، وشعرا وغيره من الفنون الأدبية التي تركت بصمات واضحة على ساحة الأدب العربـي من طرف الكتاب والنقـاد القدامى. خلافـا للعصر الحديث ، فالدراسات الأدبـية فيه تكاد تكون جد عقيمة وخالية من ظهـور الأثر القرآنـي الا بعض الشذرات الخفيفة. مـع أن فرص إفـادة الأدبـاء من القـرآن متعددة.

وفـي خضم وجود الإختلاف والتفاوت فـي وسائـل التـراث الأدبـي من أجل القيـام وإرصاء قـوائم النهضة الحضاريـة ودفعهـا إلـى الأمـام ، فـإنـه لا يجـوز لنـا حصر القـرآن الكريم على فتـرة معينـة ، لأنـه هـو دستور الله الدائم ، ومصدر التـراث الأكـبر . يفترض علينا الاتصال المستمر بـه ، نظـرا لمـا يتضمنه من الإعجـاز البـلاغي ، والأدبـي ، والتشريعي يتــزود منـه كـل مؤمـن بالله يرغب فـي صيانـة نفسه ، وإتقـان عملـه الأدبي منـه ماتعلــق الأمـر بكتابة

مقال أو قصة ، أو شعر، أو مسرح ، وغيرها مما له علاقة وصلة بالفن الأدبي.

وهو ما استوقفني ، إلى التفكير في موضوع هذه الدراسة في تلك المرحلة من مراحل الإفاقة و الإنبعاث ، والعودة إلى الذات ، وانطلاقا مما استقر في ذهني بفعل الإرتباط المتواضع بالقرآن الكريم ، وأثره في النثر الجزائري الحديث .

والقصد من النثر الحديث ، هو واقع التجديد في كل من الأساليب والأشكال الأدبية الرفيعة ، كالتغير في الصياغة الشكلية واللغوية ، خلافا لما هو معهود في أسلوب النثر الجزائري في عهد الاحتلال الفرنسي 1830م ، المعتمد على الأسلوب التقليدي الضعيف حيث يسوده التكلف ، والسجع ، والصور الجامدة .

ولكن بعد هذه المرحلة التي مر بها النثر العربي ، استطاع أن يتحرر من تلك القوالب المعتمدة سلفا ، ومال أسلوبه إلى السهولة ، متجنبا التعميم ، منتهجا أسلوب التجرد والتحرر من الألفاظ الغريبة .

وبفضل التطور الحاصل في عصر الإحياء والإنبعاث ، أشرقت بوادر النهضة الحديثة للأدب العربي ، انجر عنها ظهور أنواع أدبية جديدة مثل المقال الأدبي ، والقصة القصيرة والرواية ، والمقال الصحفي ، والنقد الأدبى وغيرها من المضامين النثرية المتأثرة تأثيرا عظيما بالقرآن الكريم في الأسلوب والمستوى نتيجة ثمار تلك النهضة ، وبفضل تفتح الجزائر على الثقافات العربية الوافدة من المشرق ، وما أفرزته من تطور معرفي لدى رجال الإصلاح الجزائري ، عن طريق الرحلات إلى المشرق ، والحجاز ، كما هو الحال عندالإمام عبدالحميد ابن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي ، والشيخ العربي التبسي ، ومبارك الميلي

ومحمدالسعيدالزاهري ، ورمضان حمود وغيرهم من رجال الإصلاح بالجـــزائــر ، الذين ساهموا في نهضة الثقافة الإسلا مية المستمدة من القرآن الكريم ، ومن السيرة النبوية الشريفة .

وقد كـان للقرآن الكريم أثـر كبيـر فـي حيـاة الكتـاب والمثقفـين الجزائرييـن فـي كثـير من الجوانب ، والميادين المختلفـة ، مما سمح لهم بالإسهام فـي تعميق وتطويـر النـثر الجزائري وطبعه بطابـعه الوطني والديني ، وتجسيد ذلك كله فى العيش مدة زمنية حيث أثبتوا فيها وجودهم فـي الإنتـاج الأدبي الذي تـرك بـصـمات على الشـعب الجـزائـري ، وإلتزامهم بـقضـايـاه والتعبير عـن مشاعره.

وانطلاقـا من ذلك كله ، ونظرا لرغبتي الملحة من أجل الإطلاع على ثقافة تلك الفترة وعلاقتها بالقرآن الكريم ، إرتأيت أن يكـون موضوع بحثي بهذا العنـوان المـــوسوم بـ : أثر القرآن الكريم فـي النثر الجزائري الحديث :(1925-1962) . الذي يبدو لـي أنه جديرا بالدراسة والبحث ؛ لأنه لم يتناول بالدراسة مما حفـزنـي إلى البحث في الموضوع ودراسته ، عساني أجد الإجابة عن التساؤلات التي تشكل إشكالية الموضوع التالية :

ماهي الأسبـاب والدواعي التـي دفعت برجال الإصلاح إلـى الاقتبـاس من القرآن والأخـذ منـه بالشكـل المستفيـض والملفت للنظـر ؟

ومـاهـي الأهـداف الحقيقيـة التـي توصلـوا إليهـا فـي هذا المجـال ؟

وأخيرا ماهي الفائـدة الحاصلـة من ذلك فـي نهايـة المطـاف ؟

وللإجـابـة على هـذه الأسئلـة ، إعتمـد البحـث عدة مناهج منها : المنهـج التـاريخي والوصفـي والتحليلي ، والإجتماعي وكل محور انبعث منه المنهج الذي تقتضـيه طبيعة الموقف، مما يستلتزم

الاستقراء وتتبع الظاهرة ، من أجل تكامل المناهج ، ولتقديم صورة لحقيقة الاقتباس من القرآن الكريم ، لما له من أهمية تتمثل في :

1- إبراز أثر القرآن الكريم في النثر الجزائري الحديث ، وذلك إنطلاقا من الدراسات التي تنادى باليقظة ، والمطالبة بالحرية والمساواة ، ودفع الظلم والطغيان ، وإرساء القواعد الأخلاقية السامية وغيرها من الموضوعات التي أعتنت ببناء الشخصية الوطنية . باعتبار أن النص القرآني نص يبث في النفس البشرية الحرية ، والإعتداد بالذات في إطار الوحدة الجماعية

2- إثراء المكتبة العربية بهذا النوع من الدراسات التى تعد إضافة للبحث ، بغية الإستفادة منها في مجال البحث العلمي.

واعتمادا على هذه الأهمية ازدادت رغبتي في هذا الموضوع ، وبخاصة بعد إطلاعي على أهم المصادر والمراجع التي تخص الموضوع ، وبعدها تكونت لدي فكرة واضحة عن موضوع البحث ، واستقرت في ذهني المنهجية التي وضعتها في الخطة المشتملة على مدخل وأربعة فصول وخاتمة ، حيث يتناول المدخل :

أ- أثر القرآن الكريم في فنون النثر الجزائري الحديث قبل سنة 1925م ، الذى ناقشت فيه فني الخطابة والرسائل.

ثم أنتقلت إلى الفصل الأول الذى يتناول الحديث عن الكيفية التي حاول بها الأدباء

استلهام المعاني القرآنية في النثر الجزائري الحديث ، مستعرضا أهم القضايا التي وردت في القرآن الكريم ، وما تعرض له الكتاب ، و الوصول إليه للإفصاح عن مشاعرهم وأفكارهم ، من وجهة نظر الفكر والمضمون ، دون التعرض للناحية الجمالية والفنية .

وأما الفصل الثانــي : فهـو مخصص لأثـر القرآن الكريـم فـي المعجم اللغـوي الذي كان له انعكـاس فـي كتابات الأدبـاء والمفكريــن .
وأما الفصل الثالث فيتنـاول التصوير الفني في القرآن الكريم وأثره فـي النـثر ، موزعا على أنـواع مـن التصويـر الواردة في الدراسات النقديـة . اعتمادا على الإستشهـاد بالنماذج المتناصة مــع القرآن الكريم ، و إبـراز قدرة الكاتب على التصوير الفني المتأثـر به.
وأما الفصل الرابـع فهـو مخصص لأثـر القرآن الكريـم فـي بنـاء الرمز بفرعيه الموضوعي واللغـوي ، والغـرض الهادف من كتابات رجال النهضة والإصلاح ، المتمثل في أخذ العـبرة والعضات الأخلاقيـة من الأحداث القرآنيـة . وهذا يندرج ضمن التوجيـه الأخلاقي والتربـوي لدى رجـال الإصلاح الجزائريـين .
وفي الأخيـر ختمت البحث بخـاتمـة أوجـزت فيـها أهم النتائـج التي توصــل إليـهـا البحث.
أما عن الصعوبـات التي واجهـتـني فهي عديـدة ، نـذكر مـنـهـا قـلـة المصــادر والمراجـع - وبخاصة التطبيقية منها - التـي تساهم فـي معالجة الموضـوع ، ومع ذلك وبفضل توجيهات الأستاذين المشرفـين : الأستاذ الدكتور محمد ناصر بوحجام ، والأستاذ الدكتور علي خذري الذي تبنى الإشراف ، وأكمل معي المشوار إلى نهاية هذه الرسالة ، ونتيجة لملاحظاتهما القيمة تمكنـت من تجـاوز هذه الصعوبـات .
أخـيرا أتوجه بالشكر الجزيـل إلــى المشرفين ، وإلــى كل من ساهـم فـي إنجـاز هـذا البحـث
وتقويمه مـن قريـب أوبعيـد ، وكافـة أساتـذة القسم ، وإداريـه على مستـوى القسم والكلية .

وأحمد الله تعالى على ما أعانني بـه من صـبر وعون ، راجيا إيـاه أن يجزيـني على الجهد المتواضع بأجري على الإجتهاد والإصابـة ، وأن يغفر لـي الخطـأ والزلـل ، وهو ولي التوفيق .

# مدخـــل

## 1 - أثـر القـرآن الكريـم فـي النثر الجزائـري قبـل سنـة 1925م .

### توطـــئة :

إن النثرالجزائرى - بصفـة عامة - كان أكثر تعبيـرا عن مشاعر الكاتب ، وتصوراتـه للواقع الجزائري حيث" عكس بوضوح وضـع الثقافـة العربيـة الجزائريـة والأدب العربي فـي الجزائر منذ زمن طويل ... فقد تطور أسلوبا وموضوعا ومحتوى " [1].

هذا فضلا عن أنـه سار في أشكاله على النمط التقليدي القديـم " مثل الخطابة والرسالة والمقالة والقصص الشعبي وما إلى ذلك" [2] . ومع ذلك فـإن كل هذه الأنمـاط والأساليب الأدبيـة أصبحت مسايرة لـذوق العصر ، وكشفت عن رؤيـة الكتـاب للواقع.

وإبـرازا لمدى تأثـير القـرآن الكريـم فـي النثـر الجزائري ، يستلـزم منـا العـودة إلـى مـا قبل قيـام الحركة الإصلاحيـة سنـــة 1925م ، التي كانت البذرة الحقيقيـة لإنمـاء النهضة الأدبيـة فـي الجزائر لرصد المظـاهر الأدبيـة ، والوقـوف على الأسبـاب ، والظروف التي صاحبت مسيـرة النثـر الجزائري "وانعكاساتها الإيجابة والسلبية على الحياة العامة ، وعلاقتهـا بالشخصية الوطنيـة ودورها فـي المحـــافظـة عليها تمسكا بهـا أو مقاومـة محـــاولات النيل منها ، أو تجـديـد

1- عبد الله الركيبى ، تـطور النثر الجزائري الحديث ، 1830-1974 ، المنظمـة العربيـة للتـربيـة والثقـافة والعلـوم معهد البحوث والدراسات العربية ، دار نـافع للطباعة مصر 1976 ، ص7 .

2- المرجع نفسه ، ص8 .

الأسبـاب الكفيلة بالإبقـاء عليهـا " [1].

ولإدراك الأثر القرآنـي فـي نثر الكتـاب (سواء ما تعلق بالجانب التصويري أو اللغوي ) والكشف عن الدوافع والرغبـات التـي قادتهم إلى الأخذ من المصدر الرسمـي والحقيقي في الأدب العربـي ، وطريقة الأخـذ من ذلك النبـع الأصيل ، وتضمين إنتاجاتهم الأدبيـة ما ينفعها ويكسبها أساليب فنيـة ذات طابع أدبي رفيع ، وكل ذلك لن يأتى إلا عن طريـق الدربـة والممارسـة التـي يكتسبها ذلك الكاتب الأدبـي البارع الذي يسعى من أجل الحفاظ على شخصيته مـن التلاشي والاندثـار ، وذلك باستعمال الأثر المقتبس فيما يفيد وينفع مجـال النثر الأدبـي الجزائري ونستطيع أن نستعرض من ضمـن هذه الفنون النثريـة التقليديـة أولا : فن الخطابـة والرسائل.

1- محمد ناصر بوحجـام ، أثـر القـرآن في الشعر الجزائري الحديث ، 1925-1976 ، الطبعة العربية ، غردايــة ط :1 1992، ص17.

## 1-1- الخطابــة :

لقد عرفت الخطابـة عند العرب بأنها : " الكلام المنثور ؟ المسجـع ونحوه ...، ورجل خطيب : حسن الخطبة ، وجمـع الخطيب خطبـاء"[1] ، وتعد الخطابـة من أسبق الفنون الأدبيــة عند العرب وكانت كثيـرة الرواج بشكل خاص فـي العصر الجاهلـي ، وذلك للحفـاوة البالغـة والإجلال العظيم الذي كان يحـاط به الخطيب لما يقوم بـه من الذود والمحافظـة عن حياض القبيلـة التي يرفع من شأنها وقدرها ، بواسطـة لسانـه الذي كان السلاح الثانــي بعد سلاح السيف المستعمل آنذاك .

والخطب التى عثـر عليها ليست بالقدر الكافـي بالنسبـة لما عرف عن العصر الجاهلي ويعود سبب القلة إلى عدم التدويـن في ذلك العصر ، ولكن ما وصل إلينا من تلك الخطب يؤكد لنا سلامة ، ودقة لغتها ، وفصاحة بلاغتها ، وهو ما عرف عند العرب واشتهـروا بـه .

ولقد ازداد تطور الخطابة بعد انتشار الدعـوة الإسلامية ، لأنها كانت لسان حال هذه الدعـوة ، فتحول مضمونها وأسلوبها متماشيـا مع روح العقيدة الجديـدة ، التــي أحدثت ثـورة اجتماعية ، وفكريـة عظيمة ، غيرت جميع المفاهيم والمضاميـن في صالح العدالـة الإنسانية ونصرة الحـق ، وإزهاق الباطل ، على الرغم من كراهية المعتدين ، قال تعالـى :{**وَيُحِقُّ اللّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِـهِ وَلَـوْ كَـرِهَ الْمُجْرِمُـونَ**}[2].

---

1- ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، د- ط ، 1992، 361/1.

2- يـونس :82.

وفـي العصر الأمـوي كادت الخطابة أن تعود إلى سالف عهدهـا في الجاهليـة ، إذ أنها كانت تدافع عـن القبيلـة ، إلا أن القبيلة المعنيـة في هذا العصر هي ما يعبـر عنه بالقبيلة السياسية ، أو بمعنـى آخر الحزب السياسي ، وفي هذا الإتجـاه سار الخطبـاء ، فأحتدم الصراع بين الديـن والسياسة ، فكثر توليد الموضوعات والأساليب ، وظهر خطباء مرموقون يمتازون بالبيـان والفصاحـة .

واستمر الأمر كذلك فـي العصر العباسي الـذي عرف توسعا في الثقافـة العربيـة - لاحتوائها على الثقافـات الأجنبيـة - مما جعل الخطابـة فنـا منظما ، إلا أنه بعد تعاقب الزمن إستتب الأمـن ، وتوقف الصـراع ، وعندها تحول الخطبـاء إلى الوعظ والإرشـاد ، والإشادة بالخلفـاء [1] .

لذلك ورد عنهم في وصف بعض الكتاب قول أحدهم : " فهنـاك خطباء كان يغلب عليهم العي ، حتى كانـوا ينيبـون غيرهم للقيـام بمهمتهم ، وهناك من كان الناس يشكون من عدم إنابتـه وعدم أهليته لهذه المهمة الجليلـة " [2].

أما إذا ما حاولنا الإنتقال إلى العصر الحديث فـي الجزائر ، نجد أن زحف الإحتلال الفرنسي أثار نخـوة العاطفـة الوطنية فـي بعض المثقفيـن والعلماء ، الذين شعروا بالخطـر الاستعماري الداهم ، ففاضت قرائحهـم بذلك الاحساس العاطفـي ، فعبـروا عنـه فـي شـــكل

---

1- عبد الله الركيبى ، تطـور النثـر الجزائـري الحديث ، ص11.

2- أبـو القـاسم سعـد الله ، تاريـخ الجزائـر الثقـافي ، الشركـة الـوطنيـة للنشر والتوزيــع الجزائـر، 1981 2/212-213 .

خطب ، مستنهضين الهمم للدفاع عن الوطن ، والجهاد في سبيل الله ، ومن ضمن هؤلاء العلماء الغيورين على بلادهم ، نذكر بطل المقاومة الجزائرية الأمير عبد القادر (ت - 1883) الذي أعاد للخطبة قيمتها وحررها ، مما كانت تعانيه من أساليب الركاكة والعقم و" السجع المتكلف المقصود لذاته ، ومالت إلى البساطة في التعبير ، والقصد في القول دون إطناب إلا في المناسبات التي تتطلب الكثير من الإقناع . أما في الاستنفار إلى الكفاح والحرب وشحذ الهمم للدفاع عن الوطن ومقدساته فإن المجال يقتضي التركيز والإيجاز كما يقتضي أيضا التعابير الحماسية الفياضة " [1]. التي تشعر السامع بأنه معني بهذا الخطاب التوجيهي البياني الفني ، المتمثل فيما " ينظمه عبد القادر من شعر وينثره من خطب ويختارلها من القرآن والحديث وعيون الأدب وأيام الأوائل حتى ينظم ويلم شتات هؤلاء المتذوقين لبيانه الفني وكيف يستجيبون له ، وينفعلون به حتى الإستشهاد " [2].

ويبدو ذلك واضحا في خطبة ألقاها عند نقض العهد من طرف المستعمرين فيستفتحُ ذلك بقوله : " أما بعد، فلا يخفى أن الله تعالى قال في كتابه المجيد : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ قَاتِلُواْ الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلِيَجِدُواْ فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ** } [3].

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص12 .

2- محمد السيد علي الوزير، الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثارها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986، ص28.

3- التوبة : 123 .

وقـال أيضـا : { **وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلّهِ فَإِنِ انتَهَواْ فَلاَ عُدْوَانَ إِلاَّ عَلَى الظَّالِمِينَ**} [1]. وهـؤلاء القـوم ، قـد عاهدناهـم فنكثـوا وصدقناهم فغدروا وصابرناهم فلم يصبروا ، وإن تركناهم وشأنهم ، فلا نلبث أن نراهم قد فتكـوا بنا على حيـن غفلـة " [2].

فالخطبـة استهلت بالقـرآن الكريم الذي تأثـر بـه الخطيب ، ويلوح به ليؤثـر على قلـوب المجاهديـن ليهيأهم للاستعداد نفسيـا لمقارعة جنـود الأعداء والفتك بهم ، بعد نقضهم للمعاهـدة موضحا أن هـؤلاء الأعداء ليس فيهم شيمة الوفـاء التي يتحلى بها الأبطـال ، لذلك فهم مناقضون للعهد، ويحق فيهم الجهاد ، لتطهير الوطن من دنسهم ، فيوجه نداءه للمسلمين قائـلا : " فهيـا بنـا أيها المسلمون إلـى الجهـاد ، وهلمـوا إليه باجتهاد وارفعـوا على عواتقكم برود الكسل وأزيلـوا من قلوبكم دواعي الخوف والوجل . أما علمتم أن من مـات منكم مـات شهيـدا ومن بقـي نال الفخـار وعاش سعيـدا " [3].

يبـدو مـن خلال هـذه الخطبة أن صاحبها يغلب عليه طابع التأثر بالقرآن الكريم ، سواء تعلـق الأمر بـبدايته بـه أو فيما تزخر به ألفاظـه ، وتعابـيـره المستوحاة من القرآن الكريم والسنة النبـوية الشريفة ، وكذلك تـأثـره بأسلـوب علي بـن أبي طالب كرم الله وجهـه فـي عنـــايته بتولـــد

---

1- البقـرة : 193 .

2- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفـة الزائـر في تاريـخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق ، ممدوح حقي دار اليقظة العربية بيروت ، ط : 2 ، 1964 ، 236/1.

3- المصدر نفسه ، 236/1 .

المعانـي والصيغ ، وحثه المجاهدين على الاستماتـة في الدفاع عـن الوطـن، وترغبا منه في إحدى الحسنيين: وهي إما النصر أو الشهادة فـي سبيل الله التـي ورد قوله تعالـى فيها : **{ لاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ }**[1]. وهي المرتبة التـي يتحصل عليها الشهيد عند ربـه سبحانه وتعالـى إذا رزق بالإستشهاد أثنـاء الدفاع عن وطنه ودينه ، وأبلى في ذلك البـلاء الحسن ، ونال الشهادة . وأما إذا انتصر وبقي حيـا فإنه ينـال سعادة الانـتصار مع العزة والشرف العظيم فـي وسط قومه ووطنـه .

تلك هي طريقـة الأمير عبد القادر في دعوته التي يجيـز فيها ولا يكثـر من الأسجاع المكلفة ولا يطنب ليخفف عن السامع الملل بخلاف عمه أبي طالب في خطبه فهو " يكثر من الإطنـاب ويعنى بتفصيل الأحداث ويوازن بين السجع والإرسال في سلامة ظاهرة ... لأنه أراد أن يقنع قـادة الجيـوش الجزائرية ويقنــع الناس أيضا بالهدنة مع الفرنسييـن ، فكان يعيد إلى الأذهان هذا الموقــف أو ذاك فيتحدث عن الأوضـاع التي كانت عليهـا البـــلاد وما حدث فيها بعـد الاحتلال "[2]، من اضطراب ومـا تفشى فيها مـن أمراض اجتماعية مستغلا في ذلك العاطفة الدينية، ويرسخ دعوته في نفوسهم فيقول : "قد علمتم أيـها السادة أنه لما تكاثرت المظالم وتواطأ العمال ومن وافقهـم على إرتكاب المآثم ، انتقم الرب تعالى منهم ، وعمنا ذلك معهم قال تعالـى:

---

1- آل عمران : 169 .

2- عبد الله الركيبـى ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص15 .

{ **وَاتَّقُـواْ فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِيـنَ ظَلَمُـواْ مِنكُمْ خَآصَّةً وَاعْلَمُـواْ أَنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَـابِ** }[1].

فسلط الله علينا عدو ديننـا ، فتكالب على بلادنا واستولى على مراسينا واستبدل مساجدنا فيها بالكنائس ، وأخلاهـا من المدرس والدارس "[2].

فهذه الخطبـة واضحة الدلالـة وذلك لأن أبـا طالب وهو عم الأميـر عبد القادر متأثر بالثقافـة الدينية - وبخاصة القرآن الكريم - التي تظهر في استعمالاته اللفظيـة والتعبيرية واستشهاداته مثل الآيـة السابقة : { **وَاتَّقُـواْ فِتْنَـةً ...**}. التحذيريـة الموجهة للذين يتجاوزون حقوقهم إلـى حقوق الغيـر منتهكين كل الحدود الأخلاقيـة فيجازيهم المولـى جلت قدرته بالسيئـة أكثر من أختها كما هو واضح من هذا التصوير الوارد فـي هذه الخطبـة ، مثل : التسلط والتكالب على البلاد ، وإخـلاء المدارس من الدارسين وغيرها من الأشكـال التي تعرض لها عم الأميـر ، وهي خطبة طويلـة إقتطفنا منها ذلك ، لإبراز الصـورة التي تعلـق بها ومدى تـأثـره بالقـرآن الكريـم.

أما ما صارت إليـه الأمور بعد هذه الفتـرة التـي أعقبت نظـال الأمير عبد القادر ونفيـه خارج الوطن ، فقد تقهقرت الحياة الثقافية والأدبية ، جراء الأحداث السياسية والفكريـة التي سيطر الاستعمار علـى مجرياتهـا ، سـواء ما تعلـق منها بأسلوب الخطابة ، أوغيـرها مـن الفنـون

الأدبية والنثرية ، وانحصرت الخطابـة ، فـي المساجد والزوايا ، مقلدة كما كانت عليه في عصور

---

1-- الأنفال : 25.

2- الأميـر محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر فـي تاريخ الجزائر، 274/1 .

الإنحطـاط ، إلى أن قـدم عليها عصر الإصـلاح ، فأعـاد فيهـا الـروح من جديـد، وأزاح عنهـا غبار التقهـقر والانـطـواء والتـخـلف ، وذلك سعيـا من حـركة الإصلاح لإعـادة إثبـات الشخصية الجزائرية ، وبنائها على مقوماتـها الأساسية التي حاول الاستعمار الفرنسي بكل ما في وسعه تدميـرها ، وهنايعـود الفضل لله الذي هيأ نخبـة من جماعة الإصلاح التي أنـارت طريـق الحق والهادية إلـى سبيل الرشـاد .

ومن ضمن هؤلاء الخطباء الذين سلكوا سبيل الإصلاح ، وكان لهم الفضل في إحياء فن الخطابة نذكـر منهم ابن باديس الذي كان من الزعماء الأوائل ، الذين كان لهم السبق في الدعوة إلى الفكرة الإصلاحية في خطبه ، سواء ما تعلق منها بما قاله ارتجـالا أو ما سجل منها [1] وهو لا يتميز بالتركيز " على غرض واحد بل نجده حينا يرتكز على الدين وحينا على الإصلاح والاجتماع ، وأحيانا أخرى على السياسة والإصلاح معا، وعلى التربيـة والأخـلاق في أوقات كثيرة "[2]. وابن باديس في خطبه يسلك الأسلوب البسيط المفهوم لدى الخاص والعام لذلك نجده يتجنب التكلف ، من أجل ابراز قوته على القول ، وإنما يعتمد على طريقة تبليغ أهدافه الإصلاحية والوطنية.

وعند الشروع في الخطبة ، يستهلها بالبسملة ، والحمد لله والصلاة والسلام على خير المرسلين عليه الصلاة والسلام ، وخير دليل على ذلك خطابه الذي ألقاه فـي الاجتماع السنـوي

---

1- عبد الله الركيبـى ، تطور النثـر الجزائري الحديث ، ص22.

2- المرجع نفسه ، ص22-23.

العام ، الذي يحمل أفكار عميقة ، تحدث فيه عن نشاط الجمعية وأهدافها ، وما يتعرضون إليه من خصوم الجمعية وأعدائـها . وفي تعرضه لأولئك الأعـداء [1]. يقـول : " فأما الذيـن استغربوها فهم طائفة من السذج يقيسون الحقيقة الإنسانية بوجودهم ويقيمون التاريخ الإنساني بأعمارهم ويقيسون الاجتماع الإنساني ببيت يجمع زوجا وزوجة وأولاد يفرقهم الصباح للكد على القوت ويجمعهم المساء للنوم تحت السقف ، فأي نقطة في الحياة عند هؤلاء تحتاج إلى مظاهر الحشد والاجتماع وضم رأي لرأي ، وبهذا المقياس يقيسون الدين فهو عندهم اسم متعارف بين المسلمين وصلاة مفروضة تؤدى أو لا تؤدى ، وانتساب إلى الإسلام تجري مجرى القانونيات في زمننا هذا ، والاعتقاد بجنة ونار ، ومن وسائلهم الأمل ولو بلا عمل ، كانت نقطة في الدين تحتاج إلى شئ إسمه جمعية العلماء المسلميـن"[2]. وهكذا كان ابن باديس يستعرض تلك الطائفة من أولئك السذج الحاقدين على الجمعية وأعضائها الذين لا يفكرون في كيفية الوصول إلى الغد الأفضل ، غد الحرية الذي ينشده أعضاء الجمعية .

إن رجال الإصلاح في خطبهم كثيرا ما يعتمدون على الأفكار الإصلاحية ، لأنها الأساس الـذي يمهد السبيل إلـى الأفكار الأخرى . كما أن ا بن بـاد يس لم يـترك شـاردة ولا واردة ، و كانت فـي صالح الشعب الجزائري إلا تطرق إليها، ومن ضمن ذلك فكرة العروبـة التـي أخذت حيزا فـي خطبة لـه عنـد تعرضه لحالـة الجمعية الأدبية ، مفتتحا إيـاها بالحمـد لله

1- عبد الله الركيبـي ، تطور النثـر الجزائري الحديث ، ص 23.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، ط : 2 ، 1983 ، 527/1.

ثم الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما هي العادة في كثير من خطبه ، ثم توجه فيها بالتحية إلى الحاضرين قائـــلا : "...أما بعد فحياكم الله أبنــاء العروبــة والإسلام وأنصار العلـم والفضيلة ، حوربت فيكم العروبـــة حتى ظُنَ أن قد مات منكم عرقــها ، ومسخ فيكم نطقها فجئــتم بعد قرن تصدح بلابلكم بأشعارها فتثير الشعور والمشاعر وتهدر خطباؤكم بشقاشقها فتدك الحصون والمعاقل ويهز كتابكم أقلامها فتصيب الكلى والمفاصل " [1].

وفــي هذا ما ينم على أن ابن باديس يسعى دائما إلـى إحياء مثل هذه الأفكار البناءة من أجل الحفاظ على الذاكرة التاريخية ، مركزا فـي ذلك على بعض المفردات المقتبسة من الذكر الحكيم في قوله تعالى : { **وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً**}[2]. ومعنى ذلك أن الأرض والجبال رفعت من مكانتها ، فوقع الضرب ببعضها البعض إلى أن تحطمت وأصبحت عبارة عن لا شئ [3] ، وهو ما يعنيـه ابن باديس فـي عبارة "دك" التـي حاول فيها أن يصف ما قامت به جماعة الإصلاح على غرار ما جاءت بـه هذه الآية الكريمة فـي إزالة كل مـا حاول أعداء الوطن إحلالــه محل ثقافتهـم الأصلية كالفرنســة والتغريب .

هكذا لا يكاد أسلوب ابن باديس يخلو من خصائص الرمز في أثناء حديثه عن العقبات التـي تعترض سبيل الجمعية ، عند مواجهة أعضائـها للاستعمار ومن سار على دربه من أعوانـه

---

1- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 555/3.

2- الحاقة : 14.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني ، ط :9 ، د-ت ، 436/3.

ومع ذلك فهو في قوله يهدد ويعلن أن الأمر يتطلب العمل من أجل تغير الواقع قائلا : "وما حيلة من يسلك سبيلا فتعترضه الصخور حتى لا يجد عنها محيدا ، وأن الضرورة تقضي عليه أن يجهد في نزعها وإماطتها ثم لا يكون جهده في ذلك كتماديه في السير"[1].

ومعنى ذلك أن ابن باديس في استعماله للرمز في خطبه لا يبقى مستمرا على ذلك النهج بل يكشف عن غرضه في بعض تصريحاته بكل وضوح ، فيما يدعو إليه من تأمل الواقع المزري للشعب الجزائري الذي تسبب فيه الاستعمار الفرنسي .

وبهذا القدر القليل جدا من الإنتاج الضخم في المجال الخطابي الكثير المتنوع ، يتضح أن أسلوب ابن باديس " يمتاز بالوضوح والدقة واختيار الألفاظ وتفصيل القول ... ، فهو لا يعمد إلى الفكاهة أو النكتة أو السخرية اللاذعة ، لأن شخصيته لا تميل إلى مثل هذا الأسلوب ، وإنما تميل إلى الجد والرزانة والهدوء في التعبير ، والقصد في القول ، والهجوم على الموضوع بلا تزويق أو تنميق أو بهرجة لفظية ، فهو من خطباء المعاني لا الألفاظ "[2].

وخلاصة القول بالنسبة لمهمة ابن باديس الطويلة والشاقة ، أنه استطاع برباطة جأشه ورجاحة عقله ، وتفكيره النير ، أن يكون الزعيم الأمثل والمحنك الهادى إلى سبيل الرشاد والرائد في مجال الخطابة. التي " استندت على التراث العربي القديم وتأثرت بالأساليب

1- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 526/3.
2- عبد الله الركيبي ، النثر الجزائري الحديث ، ص26.

العريقة فيه حيث استخدم أصحابها السجع أحيانا واستشهدوا بالقرآن أو الحديث أو الشعر. إلا أنها اختلفت من حيث المحتوى والموضوع من جهة ، وتحررت من الزخرف اللفظي ومالت إلى الوضوح والبيان العربي الأصيل من جهة أخرى ، فأعادت بذلك للأسلوب العربي مكانته في الأدب الجزائري"[1].

هكذا استطاع رجال الإصلاح أن يبلغوا أفكارهم التحررية إلى الشعب الجزائري عن طريق الخطابة ، الشفوية والكتابية وغيرها من وسائل التبليغ المتنوعة ، ويتعاونون في شتى المجالات ذات العلاقة الوطيدة بالقضايا الاجتماعية والسياسية والثقافية، ومن ضمن القائمين بهذا الدور الهام محمد البشير الإبراهيمي [2] ، الذي يأتي في مقدمة الخطباء البلغاء " ذلك أن الحقل الذي يتحرك داخله ، يقتضي منه بالضرورة أن يلبي الحاجة التي تستدعيها فكرة الإصلاح . وإن كان الإبراهيمي أديبا أكثر منه مصلحا "[3]. ويرجع السبب في هذا إلى تكوينه الثقافي المستمد من التراث العربي الإسلامي الذي مكنه من ناصية القول واستيعاب البيان العربي ، والتبحر في اللغة العربية وآدابها ، والقدرة على توليد الكلام والموهبة الأدبية وعرف الارتجال "[4].

---

1- عبد الله الركيبي ، النثر الجزائري الحديث ، ص33.

2- محمد البشير الإبراهيمي ولد بشرق الجزائر 1889، وهاجر مبكرا إلى الحجاز ومنها إلى سوريا . ثم عاد إلى الجزائر ليشارك في الحركة الإصلاحية ، وترأس "جمعية العلماء " . بعد وفاة ابن باديس اشتغل بالصحافة والخطابة والتدريس وتولى رئاسة تحرير (البصائر) وتوفي 1965.

3- محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أديبا ، ديوان المطبوعات الجامعية بوهران ، د-ت ، ص187.

4- عبد الله الركيبي ، تطوير النثر الجزائري الحديث ، ص27.

ولمزيد من التوضيح نعقدُ مقارنة بين هذين المصلحين فيما يخص أسلوبهما الخطابي الذي نلمس فيهما اختلافا واضحا ، لأن لكل منهما أسلوبه الذي يعود إلى تكوينه الخاص ومصدر ذلك هو " أن الثقافة قد لعبت دورا في ميل ابن باديس إلى الفكر الواضح والمنطق الذي يسبغ على كتابته منهجية معينة ، وهي ثقافة دينية بالدرجة الأولى بينما ثقافة الإبراهيمي لغوية أدبية وإن تشبع بالعلوم الدينية وأهدافها وبالفكر الإصلاحي ومبادئه "[1].

ومع ذلك نجد أن الإبراهيمي مزج بين أن يكون رجلا مصلحا وأديبا ، وهو ما نلمسه في خطبه وكتاباته التي استمدها من حياته الثقافية .

والصفة الغالبة على خطب الإبراهيمي هي الارتجال نتيجة لعدم إستقراره وكثرة حله وترحاله ، الذى كان حائلا بينه وبين تحضير لهذه الخطب التي ضاع منها الكثير نتيجة عدم تدوينها . وأحسن دليل على ذلك خطبته التي ألقاها ارتجالا بمناسبة اختتام تفسير القرآن الكريم لابن باديس ، ففي حفل تكريم ابن باديس في كلية الشعب ، حيث ألح عليه جماعة من السامعين المعجبين به " أن يكتب ما علق بذاكرته من ألفاظها، ويضيف إليها بقلمه ما يربط بين معانيها حرصا على تخليدها "[2]. وتتجلى فيها عظمة الإبراهيمي وذلك باختياره العبارة المناسبة للموقف ، وقدرته على الإرتجال ، واستعماله للسجع قصدا منه أو عن غير قصد وهو يهدف من ذلك إلى إحساس المخاطب باللذة الفنية ، كما يلاحظ عليه أنه متعلق

---

1- الدكتور عبد الله الركيبى ، تطوير النثر الجزائري الحديث ، ص 28 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإبراهيمي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط : 1، 1978 ، 249/1 .

"بالصورة البيانية واحتفاله بالألفاظ القوية الجزلة "[1]. ففي مخاطبته للجمهور الحاضر قال : " ما أشرقت شمس في الجزائر الحديثة على مثل يومكم بالأمس مضى بجلاله وروعته ولم ينطق في وصفه لسان بكلمة ولا اختلجت من نعته شفتان بحرف لا زهدا فيه ولا عدم عرفان لحقه ، ولا غبنا لحقيقته ... وإنما هو كلام الله وبيت الله عقد الألسنة بجلالها وحبسا النفوس على جمالها "[2].

وللإبراهيمي العديد من الخطب في مناسبات عدة منها ما ألقاه في الاجتماعات السنوية للجمعية أو في أماكن أخرى من أنحاء الوطن عند فتح المدارس ، وبناء المساجد بأموال المواطنين الخاصة ، كما أن له خطبا كثيرة ألقاها فى أثناء رحلاته داخل الوطن وخارجه .وحين يتعرض فى خطبه للغة العربية ، يشعر السامع بأنه من الذين يتوفرون على مخزون أدبي ولغوي ضخم ، ساعده على التصرف في العبارات ، وتوليد الكلمات [3]وهو ما نجده مثلا في قوله : " ولقد علمتنا لغة العرب فنًا في مصاص الأشياء ففَّهنا منه أن من النساء عقائل وأن في الأموال كرائم وأن في الجواهر فرائد وأن من النجوم دراري وأن في الشعر عيونا وأن في الذخائر أعلاقا إلى آخر ما يجري على هذا النسق"[4].

وهكذا يستمر في إبراز البعد التاريخي لأصالة اللغة العربية ، في ماضيها السحيق

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30 .

2- محمد البشير الإ براهيمي ، أثار الإبراهيمي ، 249/1.

3- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30 .

4- محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإبراهيمي ، 250/1 .

وبين ما آلت إليه من الضعف والجمود ، والقصور في تأدية مهمة التواصل الثقافي ، وغيرها من العلاقات ذات المدلول الاجتماعي ، إلا أن الفضل في الحفاظ على هذه اللغة يرجع إلى القرآن الكريم الذي خلدها " بفضل مجهودات المصلحين وخاصة الشيخ " باديس" الذي كان له الفضل في بعث الثقافة العربية وفي تفسير القرآن تفسيرا سلفيا جديدا يتلاءم مع جوهر العقيدة مع الحياة وتطورها "[1].

مما سبق ذكره نستنتج أن الخطابة كانت من الأنواع الأدبية التي لعبت دورا هاما في العديد من القضايا ، وانعكس ذلك على نمو اللغة العربية ، وتطورها، وخاصة في مجال تبليغ الدعوة التحررية التي تولى الشعب حملها وضحى من أجلها.

---

1- عبد الله ركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص30 .

## 1-2- الرسائــل :

بعد تعرضنا لفن الخطابة التــي هي فن من الفنون النثرية الأدبية ، ننتقل إلــى نوع آخر كان رائجا فــي الأوساط الثقافية ، والذي تناوله رجال الإصلاح ، ألا وهو الرسائل التي ساهمت فــي خدمة الأدب الجزائـري الحديث فــي فترات كانت بأمس الحاجة إليها من أجل لعب دور لا يخلو من الأهمية . فمنذ أن عرف هذا الفن فــي عصر التدوين ، بعد اتساع رقعة الخلافة الإسلامية ، الذي ساعد على نقل أوامر الخلفاء وتبليغها للعمال والولاة لتنفيذ ما ورد فيها من إصلاح وتوجيه لرعاية الأمة وتطويرها . ومن هذا المنطلق ، بدأ الإهتمام بهذا النوع من الفن الأدبي ، الذي حاول الكاتب فيه أن يصبح " أسلوبه جميلا مؤثرا متماسكا في صيغته ومحتواه بحيث تبرز فيه شخصيته وأصالته وطريقته الخاصة فــي التعبير "[1].

وهو ما انجر عنه تميزُ كتابة الرسائل ببعض المميزات : " الملاءمة بين الموضوع والأسلوب والعناية بالصياغة وبالسجع بوجه خاص ، ومراعاة الفواصل بهدف إحداث المتعة الأدبية أو إظهار البراعة اللفظية "[2].

ويمكن استعراض نمـوذج من الرسائل التي كتبها الإبراهيمي في أثناء تواجده بمصر ، وأرسل بها إلى إخوانه من رجال الإصلاح في الجزائر تحت عنوان :"تحية غائب كالآيب..." يقول فيها : "حي الجزائـرعني ياصبَا... واحمـل إليهـا منــي سلامـا تبــاري لطافتــه لطافَتك ونُســارِي

---

1- عبد الله الركيبي ، تطور النثر الجزائري الحديث ، ص 34.

2- المرجع نفسه ، ص 34.

إطافتُه إطافَتك ، فقديما حمّلك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرُم عليهم أو ما يكرم عليهم ، فحملتها َروْحا ، وأدّيتها بوحا ، وأعلنتها شذى وَفوْحا وكنت بريد الأرواح إلى الأرواح ، بألفاظ غير مكتوبة ، ومعان غير مكذوبة ، وقديما أفضي إليك الشعراء بشجونهم وائتمنوك على جيدهم ومجُونهم ، فأحتملت غثا وسمينا ، وكنتَ على الأسرار أمينا فكأنك كنت لهم محطة إرسال وإستقبال معا ، يحملونك الرسائل تخيلا ويتلقون أجوبتها إحساسا وما عرف واش ولا شعُر رقيب ؛ ... "[1].

بهذه التحية افتتح الكاتب هذه الرسالة العاطفية ، المزودة بالحنان والشوق ، المحملة بالقيم التعبيرية ذات الألفاظ الموحية ، والتي تعبر عما يلاقيه في غربته ، ويتمنى رجوعه إلى وطنه قريبا ، ثم راح يرسل التحية مرة أخرى للجزائر التي ولد ونشأ وترعرع فيها ولها من الفضل الأكبر ، والأيادي البيضاء ، في الأخذ بيده في مجال التكوين والاطلاع على كثير من المعارف المكونة لشخصيته ، كنشأته على حب العروبة والإسلام ، وتعلمه للغة العربية التي وسعت وحي الله ، وكل ذلك نلمسه في الفقرة التالية من رسالته التي يقول فيها : " أد التحية عني للجزائر التي غذت وربت ، وأنبتت القوادم في الجناح ، وأسلفت الأيادي البيضاء وأسدت العوارف الغر ، وأشربت من الطفولة حب العروبة والإسلام وأخذت باليد إلى رياضهما ففتقت اللسان على أشرف لغة وسعت وحي الله ووحي العقول وفتحت القلب لأكمل دين جمع الروح والمادة ، ثم أورثت – فيما أورثت من مآثر العرب وفضائل الإسلام- أنفا حميا

---

1- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر ، 482/2.

وفـؤاد ذكيـا، ولسانا جريئا، وهمة بعيدة ،..."[1].

إن ما نلاحظه على الإبراهيمي أنه متشبع بلغة القرآن ومتأثر به تأثـرا بليغـا ، يبدو ذلك واضحا فـي هذا النـص .الذى يمكننا أن نشير على سبيل المثال إلـى لفظة وردت فيه وهي : "وسعت وحي الله " التي اقتبسها من قولـه تعالـى : {**رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيٍ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ** }[2] . ومعنى ذلك " يا ربنا وسعت رحمتك وعلمك كل شيء ... ، وفـي وصف الله تعالى بالرحمة والعلم -وهو ثنــاء قبل الدعاء – تعليم العباد أدب السؤال والدعاء فهم يبدأون دعاءهم بأدب ويستمطرون إحسانه وفضله وإنعامه "[3].وأن رحمته سبحانه شاسعة وواسعة في العفو عن خطاياهم وأن علمه محيط بكل شيء من أعمال وأقوال ، وكذلك حركاتهم وسكناتهم [4] وغيرها مما يمت لذلك بصلة .

أما ما يخص النص من الناحية الأدبية ، فإنه لا يخلو من "عملية تماوج الأسلوب عند الأديب ، بيـن ارتباطــه بـالمحسنات اللفظيــة وبيـن تخلصه منهـا أحيانـا والهروب إلى الاسترسال

وإن كـان الأديـب يميل إلـى عملية التجميـل دائمـا بين فتــرة وفتــرة ، سـواء بالمحسنـات اللـفظية

---

1- المرجع السابق ، 483/2.

2- غافر : 7.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، دار الصابوني القاهرة ، د-ت ، 95/3.

4- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم ، بيروت ، ط : 1 ، 2002 ، 2516/4 .

أو البيــانيـة "[1].

وممـا لا شك فيه أن أسلوب الرسائل في العصر الحديث قد تطور ، وخاصة فـي ظل قيام الحركة الإصلاحية التـي أعطت دعما لفن النثر الحديث ، لاستعادة أصالته من ناحية اللغة والعبارة .

1- محمد عباس ، البشير الإبراهيمي أدبيا ، دار المطبوعات الجامعية وهران ، د-ت ، ص221.

# الفصل الأول
## استلهام معاني القرآن الكريم

**تمهيـد :**

لم يكن من الغرابـة بمكان أن نجـد للقـرآن الكريم دورًا فعـالاً في توجيـه قرائح الكتـاب والأدبـاء ، لما يمتـاز بـه من البيـان والسحر والجاذبيـة ، ولما يتضمنـه من معـان وأفكار ساميـة وتعاليم رشيـدة ، تفيـد الفرد وتوجهـه نحو النجاح والسؤدد ، وتجنبـه طريـق الشر . فالقرآن الكريم نـور يهدي إلى سبيـل الرشاد ، ويزيل غشـاوة الظـلام ، وهو علاج للمرض ، وفيـه شفـاء للمؤمنيـن الذين اتقوا ربهم ، واستقاموا على الطريقـة المثلى ، التي هدانـا الله إليها في كتابـه العزيـز ، يصفه محمد البشيـر الإبراهيمـي أحد رجال الإصلاح المتأثريـن به قائـلا :

" فالقـرآن كـتاب يحمل في ثنـايـاه ديـن الله الكامل . وكل ما سبقـه من الكتب والصحف فهـي إرهاصات لـه وشارات بـه وإشارات إليه .ابتعث به نبيـه الأميـن محمد صلى الله عليـه وسلم لهذا العالم الإنساني كله ... هاديـا له إذا ضل . ومصححا لخطـاه إذا أخطـأ. ومخرجا له من ظلمـات الحيـرة إذا التبست عليه مناهج الحيـاة ... ومحررا له من أصنـاف العبوديــة الفكريـة والبدنيـة التي تـقلب فيها قرونـا . ومرشدا إيـاه إلى وسائـل الكمال التي كان يطلبهـا فلا يجدهـا " [1].

والقرآن الكريم هو الكتـاب المنـزل من الله ، الذي يتصف بالكمال ، وأن كل من إطلـع عليـه يكتشف بسهـولـة تلك الإحاطـة الشاملــة لمـا سبــق ولمــا هـو آت . ولـذلـك نجـد أن الزاهـري أحد رجـال الإصــلاح المتــأثريــن بكتـاب الله يقـول : " أن القرآن الكريـم ، أيهـا السادة

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 224/1 .



وإن كان المنطـق الانساني يقصر عن وصفـه ، وعن الإحاطـة بكمالـه ، الذي لا يحد ولا ينتهـي فإن من يتدبر - ولو قليـلا - يعلم أنـه منـزل من الله ما فيـه من شك ، وأنـه ما يقدر عليـه من أحـد غيـر الله " [1].

وفي كل ذلك نجد أنـه يدعو إلى تهذيب النفس وإلى نشر الفضيلـة واجتناب الرذيلـة والتمسك بالمثـل العليـا ، والأخـلاق الكريمـة .

ويتناول القرآن كذلك " إصلاح الإنسانيـة من ناحيـة التربية والتهذيب فيضع لهـا المثل الأعلى للفضيلة والخلـق الكريم ... حتى يصل بك – إذا أنت تخلقت بخلقـه – إلى أقصى ما يمكن أن يصل إليـه أمرؤ من الكمال ... ولو أن هذه الإنسانية قد وُفِقَتْ إلى أن تتـربى بتربيـة القرآن ، وتتـأدب بآدابـه لاستراحت مما هي فيـه من إثم وفساد ، ومما تعانيـه من شرور وموبقـات " [2].

وللتوضيح أكثر، فإن هذا الكتاب الذي جاء لتهذيب الإنسـان من جميع النواحي الإنسانيـة لينـال رضى الله ، ويفـوز بنعيم السعادتيـن الدنيـوية والآخروية كما يصفـه ابن باديـس في قوله : " القرآن كـتاب الإنسان من جميـع نـواحي الإنسـانية وكـتاب الأكـوان بما فيهـا من نعيم وعبـر وكـتاب العمران بما يحتـاج إليه العمران مما يصلح أحـوال البشر وما يتصل بالبشر ، وكتـاب السعادتيـن الدنيويـة والأخرويـة " [3].

---

1- محمد السعيد الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعايـة وتبشير ، دار الكتب الجزائر ، د.ت ، ص40 .

2- المصدر نفسه ، ص41 .

3- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 3/225-226 .

ونتيجـة للبرهان القـوي الذي يمتـاز به القرآن الكريم ، نلاحظ أن رجـال الإصلاح لاينقطع تعاملهم مع القرآن الكريم ، بحثـا عن الطرق التي تُزيل سبل التدهـور والإنحطاط ، الذي تتخبط فيه تلك المجتمعـات الإسلاميــة ، والتي تـفرقت في الأرض شيعـا وأحزابـا ، حتى أصبحت لقمة سائـغة للاستبداد والاستعبـاد كما هو الأمر في القطــر الجزائـري وغيره من الدول التي ترزخ تحت نيـر الاستعمـار .

ومن أجل رفع الظلم والاستعبـاد رأى المصلحـون ، أنـه لا مفر من ذلك إلا بالعـودة إلى المصدر الأساسي ، الذي هـو حال إصلاح الإنسان ، ومن ذلك قـول الإبراهيمي : " القرآن إصلاح شامل لنـقائــص البشريـة الموروثـة ، بل اجتـثـاث لتـلك النـقائـص من أصولـها . وبـنـاء للحيـاة السعيدة التي لا يـظلم فيهـا البشر ولا يهضم له حق على أسـاس من الحب والعدل والإحســان ... والقـرآن هـو الـذي صلح عليـه أول هذه الأمـة وهـو الذي لا يصلح آخرهــا إلا عليــه .."[1].

لكل هذه التجليات ، والمعاني الواضحة ، والأدلـة القويـة التي يتحلى بها القرآن الكريم حاول رجال الإصلاح التعرض لبعض المعاني التي يتضمنها القرآن الكريم حسب الحالة الظرفية.وسنحاول في هذا الفصل من البحث التعرض إلى بعض المعاني التي تتطلبها طبيعة البحث ، المرتبطة بالقضايا الفكـرية المتعددة المطروحة في نصوص هؤلاء المفكرين من رجال الإصلاح.

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثار الإبراهيمي ، 78/4 .

والجدير بالذكر أن القارئ المطلع على الكم الذي تزخر بها المعاني القرآنية في النثر الجزائري الحديث ، يلاحظ مدى تأثر كتاب تلك المرحلة بالقرآن الكريم ، والإرتواء من نبعه روحا ومعنى ، وهو الأمر الذي أدى بهم إلى توجيه مجتمعهم إلى الاهتداء بالقرآن الكريم الذي يحررهم من الاستعمار والاستبداد .

والسؤال المطروح في هذا المجال ، والذي يمكن الاجابة عليه من خلال ما تعرض إليه الكتاب والأدباء هو : ما هي القضايا والمعاني التي إهتم بها الكتاب والمصلحون؟ وهو ما يمكن التطرق إليه والإجابة عليه فيما يلي :

### 1- **الإيمان بالله :**

إن أول ارتباط يرتبط به الإنسان المؤمن مع خالقه هو ذلك الحبل المتين المسمى بالإيمان به ، ومعناه التصديق به [1]. الذي يشده نحوه للاطلاع على قدرة الخالق ، وأغوار أسراره العظيمة ، التي يستطيع الفرد من خلال اطلاعه عليها أن يتخذ لنفسه منهجا يسلكه من أجل تحقيق بعض الغايات والأهداف الدنيويه و الأخروية .

وفي هذا الصدد نجد القرآن الكريم ، يوضح أثر الإيمان وغايته في هذا الجزء من الآية الكريمة في قوله تعالى : { **إِنَّ الَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ** }[2].وتعني هذه الآية أن المؤمنين بالله حقا يرشدهم

---

1- الجواهري ، الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت ، 1984 ، ط : 3 2071/5 .

2- يونس : 9.

ربهم إلـى النهـج القويـم والعمل الصالح لارتباطهم بربهم ، الذي يفتـح لهم أبواب الخيـر ، ويسدد خطاهم إلى بلوغ الهدف المنشود ، بوحي من إحسـاس الضمير وتقوى الله إلى طريق الجنة .

وعن توضيح معنى الإيمـان وغايتـه التي يجب على المؤمن أن يمر بهـا ، ويتعرف على حقيقـة أمـره ، نسوق قول الحسن البصري في هذا الصدد: " ليس الإيمـان بالتمني ، ولا بالتحلي ولكن ما وقـر في القلب وصدقـه العمل " [1]. لذلك نجده في قول له في مجـال الحديث عن الإيمـان أيضا ، يبيـن الطريقة المثلى ، الواجب اتباعها ، ونبـذ كل العيـوب التـي تؤثـر في الإيمان الصحيح ، وعلى المرء الصالـح أن يشرع أولا وقبـل كـل شيئ فـي إصلاح نفسـه قبل إصلاح غيره حيث يقول : " لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب النـاس بعيب هو فيـه ، ولا يأمـر بإصـلاح عيـوبهم حتى يبـدأ بإصـلاح ذلك من نفسه فإنـه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبـا إلا وجد فـي نفسه عيبـا آخـر ينبغي لـه أن يصلحه . فـإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيـره . وإنـك ناظـر إلـى عملك بـوزن خـيره وشـره ، فـلا تحـقرن شيئا من الخيـر وإن صغـر فـإنـك إذا رأيتـه سـرك مكانـــه ، ولا تـحقـرن شيئـا مـن الشـر وإن صغـــر فإنك إذا رأيته ساءك مكانـه " [2].

وإذا مـا حاولنـا البحـث عن تفرعات الايمـان البالغـة الأهمية نجـد أن " الايمان نوعـان : إيمان عقلي ، وإيمان قلبـي ، والإيمـان العقلـي ، هـو العقيـدة الثابتة فــي النفس التـــي لا تتبدل

---

1- الجاحظ ، البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، د- ط ، د- ت ، 75/3 .

2- المصدر نفسه ، ص70.

ولا تتزعزع ، ولاحاجة إلى التدليل عليها ، لأنها من البديهيات بالنسبة إلى المؤمنين بها . فمن يؤمن بالله وحده عد من ذوي الايمان العقلي ، ومن يبذل دمه ويضحي بروحه في سبيل وطنه ويوقف نفسه لخدمته وسعادته ، فهو من ذوي الايمان القلبي ، والعقلي أعم من القلبي "[1].

لذلك نلاحظ أن الإيمان القوي المنبثق من أعماق النفس يتخطى الحواجز ويصنع المعجزات ، مثل ما هو واقع لدى تلك القلة القليلة من المؤمنين الأولين ، عندما تملكهم الإيمان الصادق ، صنعوا مجدا تاريخيا زاهرا ، ما زال يقتدي به على مر الأيام والعصور، ومن أجل ذلك وجه إلى التحلي بالإيمان .

" وقد أدرك قادة الأمم وزعماؤها ما للإيمان من قوة ، وفعالية وتأثيره في الأفراد والجماعات ، فنوهو به ، وأوصو بالتمسك به ، فقال الرئيس إزنهاور : " بغير الإيمان بالله والعودة إليه لا تستطيع أن تحيا حكومة أو شعب " ، وقال بتان عاهل فرنسا : " إنني أدعوكم قبل كل شيء إلى نهوض أخلاقي " ، وقال المارشال مونتجمري : " لا نستطيع أن ننتصر في معركة إلا إذا انتصرنا على أنفسنا "[2].

هذه بعض الإشراقات الإيمانية التي دعا إليها بعض العظماء ، وكبار الأمم ، نتيجة استخلاصهم للتجارب التي مروا بها ، أثناء قيامهم بأعمالهم القيادية للأمم .

---

1- محمد الصالح الصديق ، الدروب الحمر ، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1979 ، ص30 .

2- المرجع نفسه ، ص32 .

وعلى هذا السبيل ، ترد العديد من الآيـات التي توجه إلى الإيمان الصادق ، الذي تستقر إليـه النفوس البشرية ، والاستقرار إليه هو الإذعـان " والتصديق المطلق الثابت بالقلب والإقـرار باللسان ..."[1]. لذلك حاول الكتاب وزعمـاء الإصلاح في الجزائر نشر هذا النور الإلهي وبثـه في ضمير الشعب الجزائري ، أثنـاء محاولة الاستعمار الفرنسي إطفـاء هذا القبس الربـاني وإزالة كل ما يمت إلى العقيدة الإسلامية ، وطمس الحيـاة العلمية والثقافية ، وإحلال الجهل محلـه ليسهل عليه قيادته واستعباده كيفما شـاء . فقيض الله ثلة من المجاهديـن المؤمنين المخلصين لدينهـم ووطنهـم ، فراحـوا يرفعـون أصواتهم منددين بالظلم والعـدوان ، ويكشفون عن نوايـا الاستبداد ، حيث نجد ثلة من رجال الإصلاح الذين تركوا نثرا أدبيا خالدا ، ومـن خلالـــه استطاعـوا أن يدافـعـوا عن مقـومات الأمة الجزائريـة ، وأن يعيـدوا لهـا مـا حاول الاستعمار طمسه ، كما هو الأمـر لدى محمد البشير الإبراهيمي الذى ورد عنه الحديث عن المستدمر قائلا: " وهـو فـي هذا الوطن قـد أدار قوانينـه على نسـخ الأحكام الإسلامية ، وعبث بحرمة المعابد وحارب الإيمان بالإلحاد ، والفضائل بحماية الرذائل ، والتعليم بإفشـاء الأمية ، والبيان العربي بهذه البلبلة التي لا يستقيم معها تعبير ولا تفكير"[2] .

لقد أوضح لنا محمد البشير الإبراهيمي العديد من العناصر السلبيـة ، التي رغب الاستعمـار أن يفرضها على الشعب الجزائري ، كمحاربة الإيمـان بالإلحاد ، وغيرها من مقومات الشخصية الجزائريـــة ، لذا نـراه فـي نــص آخـر ينعت الاستعمـار بالكفـر والإلحــاد ولا يرضــخ

1- بكير بن سعد ، أضواء على الاخلاق الإسلامية ، دار البعث قسنطينة ، ط : 1 ، 1984 ، ص35 .

2- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 22/2.

إلا للقوة ، التي يجب أن يتحلى بها الشعب الجزائري ، ألا وهي الإيمان بحقه إذ يقول : " إن الاستعمار لا يؤمن بالله حتى نسأله الإنصاف لدينه الحق ، ولكنه يؤمن بالقوة فلنحذره عواقب الاغترار ، فإن هذه الأمة في مجموعها قوة ... بعددها ، و بالمعاني التي استيقظت فيها ، وبإيمانها بحقها ، وبتصميمها على استرجاعه ، فإذا تعامى على هذه القوات كلها فإن تقلبات الدهر ستفتح عينيه منها على ما يكره ، وإن الله للظالمين لبالمرصاد "[1] .

هكذا يستمر الإبراهيمي في إبراز الخصائص التي يتصف بها هذا المعتدي المغرور باستخفافه بقوة هذه الأمة المتمسكة بقضيتها وحقها في الدفاع عنه ، مهما كان الثمن لأن الأمة إذا عقدت العزم على شيء ما ، عليها أن يكون كل مؤمن فيها كما يصفه الشيخ العربي التبسي في قوله : " إن المؤمن يجب أن لا يكون خادعا ، ولا مخدوعا ، وإذا خدع مرة
فيجب أن يكون له درسا ، فلا يخدع مرة أخرى "[2].

تلك هي صفة الاستقامة والاعتدال التي يجب أن تتوفر في الأمة الجزائرية ، لكي تستطيع أن تقف على أقدامها وتدافع عن كيانها من تلقاء نفسها ، دون الانصياع إلى غيرها إذا دخل الإيمان في قلوبهم ، وهو ما يدعوا إليه محمد السعيد الزاهري بقوله : " ولا يمكن بحال أن ننتظر من المسلمين عملا صالحا ، ولا خلقا بَرًّا شريفا ، مالم يدخل الإيمان

1 - محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 2/181-182.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق:شرفي أحمدالرفاعي، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة الجزائر، ط : 1 ، 1981 ، 1/112 .

في قلوبهم حقا ، وما لم يتقوا هذا الإيمان فيهم ، حتى تطفح به أنفسهم هدى ونـورا وهنالك ينصرون الله وهنالك ينصرهم الله "[1]. وهو الوعد الحق ، بدليل قوله تعالى: {**وَ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَـا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاؤُوهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَانتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ** }[2].

إن الكاتب هنا أكد على الإيمـان الكامل ، الذي يجزي عنـه صاحبه بالمساندة والتأييد الكامل ، من قبل المولى جلت قدرته ، لأن ذلك وعده سبحانه وتعالى ، وقد صرح به في قولـه تعالى : { **وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا النَّـارُ إِلاَّ أَيَّاماً مَّعْدُودَةً قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ اللّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ اللّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُـونَ** }[3].

" إن الله تعـالى ما شرع هذه الشعائر عبثـا إنمـا شرعها لحكم جليلة أعلاهـا جمع الأمـة على الدين ، لتجتمع في شؤونها الدنيوية ، وتوحيدها في عبـادة الله ، لتتربى على الاتحاد في مصالحها العامـة المشتركـة "[4].

لكن المستعمر حاول بشتـى أنواع الوسائل طمس كل مقومات الشخصية الوطنية والدينية للمجتمـع الجزائري ، وخاصة الإيمـان بالله وحده ، وهـو مـا أكده عبد الحميد بـن باديس فـي قوله : " وَحـورب فيكم الإسلام حتى ظَـنَّ أَنْ قَـدْ طُمِسَـتْ أمـامكـم معالمـه وانتزعـت منكـم

1- محمد السعيد الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص79-80.
2- الروم : 47 .
3- البقرة : 80 .
4-محمد البشير الإبراهيمى ، عيون البصائر ، ط :1 ،1981 ،12/2.

عقائده ومكارمه فجئتم بعد قرن ترفعون علم التوحيد وتنشرون من الإصلاح لواء التجديد وتدعون إلى الإسلام كما جاء به محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكما يرضى الله ، لا كما حرفه الجاهلون وشوهه الدجالون ورضيه أعداؤه "[1].

من خلال هذا النص ، نلاحظ أن هناك صحوة إسلامية استطاعت أن توقظ الأمة الجزائرية من سباتها العميق الذي ما انفك ينخر قواها، لولا تلك الجماعة من المصلحين التي خصها الله لهذه الأمة ، لاستدراجها إلى سالف عهدها ، وإيمانها بوحدانية الخالق "وما يجب أن يثبت له من صفات وما يجوز أن يوصف به ، وما يجب أن ينتفي عنه "[2].

والتمسك بالتوحيد الصحيح الذي يعني اعتقاد أن الله واحد لا شريك له وهو العظيم الأعظم الذي تنبعث بوادر تلك الاعتقادات من أعماق النفس الطيبة . وقد ورد في الذكر الحكيم ، ما يشير إلى بعض الصفات الإلهية في قوله تعالى : { **هُوَ اَللَّهُ الذِي لاَ إِلَـهَ إلاَّ هُوَ عَالِمُ اْلغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ اَلرَّحْمَـنُ الرَّحِيمُ ، هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُون هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاء الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ** "[3].

---

1- محمد الطاهر فضلاء، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، نشر مطبعة البعث ، الجزائر ، د- ط د- ت ، ص :162 .

2- محمد عبده ، رسالة التوحيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د- ت ، ص7.

3- سورة الحشر : 22-24 .

لقد عبر المولى جلت قدرته أنه هو وحده الواحد الأحد لا إله غيره وأنه رب العرش العظيم ، وأنه يمتاز بصفات متعددة ، ومتميزة عن مخلوقاته ، وله الأسماء الحسنى ، حيث نجد هذه التعبيرات والأوصاف ، قد وردت في تصريحات رجال العلم المصلحين الذين تشبعوا من مناهل القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة التي برزت بشكل صريح في تراثهم النثري وغيره ، فكان ذلك شعلة متقدة لشحذ همم الجزائريين الذين كانو شغوفين بتلك الحركة الفكرية الأدبية والدينية . فهاهو عبد الحميد ابن باديس يشكر الله تعالى ويثني عليه ويصفه بعدة صفات من أسمائه الحسنى كالوحدانية والربوبية والألوهية ، وأنه المنشئ الأول والآخر للخلق ، فكان ذلك رحمة واسعة منه حيث يقول : " الحمد لله الواحد الأحد في ربوبيته وألوهيته ، مبتدئ الخلق برحمته الداعي إليه بنعمته وحجته ، شرع الشرائع بالحكمة والعدل لسعادة الإنسان ، وأودعها أسرارا وفوائد يعظم منها النفع ويزداد بها الإيمان " [1].

فالكاتب هنا استوحى هذه الدعوة ، وتلك الفكرة من القرآن الكريم مثل سورة الإخلاص وهو ما جاء في قوله تعالى : { **قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ ، لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ، وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ** } [2].

فهذه السورة التي أحدثت إحساسا وشعورا عميقا في نفس الكاتب ، جعلته يعبر تعبيرا صادقا ، على خصوصية الله بالوحدانية ، وانفراده بالربوبية والألوهية ، ووحدانية المولى جل شأنه باقية غير زائلة ، ويمتاز بالقدرة ، والكفاءة التي ليس كمثلها شيء .

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 529/3 .
2- الإخلاص : 1- 4 .

وأما عـن وصفـه الله بالربوبيـة ويعنـي بهـا فـي هـذا المقـام الـرب سبحـانـه وتعالـى فقـد استلهمـه من قوله تعـالـى : {**إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** } [1]. وكذلك قولـه تعـالـى : { **قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ** }[2].

كذلك كلمـة الألـوهية ، فهـي وصف للرب خالق الخلـق ومبدع الرزق ، الذي استمده الكاتب مـن قولـــه تعـالـى : { **اللّهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ** }[3]. وكذلك قولـه تعـالـى : { **إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا**}[4].

الشيىء نفسه نجده عند الفتى الناضج ، رمضان حمود ، المتشبع بظاهرة الإيمان بالله ووحدانيته ، والتمسك بدينـه الحنيف عندما يوازن بين المؤمنيـن بالله ، فيذكر أن " كثيـر من يشعر بكمالـه وقوتـه "[5].

---

1- آل عمران : 51 ، سورة الزخرف : 64 .

2- - الأعراف : 33.

3- البقرة : 255.

4- طه : 98

5- محمد ناصر ، رمضان حمود ، حياته وأثره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : 2 ، 1985 ص267 .

فهؤلاء القوم المؤمنون الموحدون لله ، قليل منهم من يحس ، ويصور من خلال ذلك الإحساس ، وصف الله بالكمال والقوة والعظمة الإلهية التي لا تضاهيها قوة ، في الحياة الدنيا ، لأن الله منزه عن النقص الذي يتصف به الخلق. فيجب أن نتعظ بالله وأن نهتدي بهديه لأنه " رزقنا القوة في قلوبنا وعقولنا وأرواحنا وأبداننا ، وأشعرنا الرحمة بأنفسنا وببعضنا وبغيرنا ، إنه القوي المتين ، الرحمن الرحيم " [1].

هكذا نجد في هذين النصين لهذين الكاتبين الذين تعرضا لصفة القوة ، المستمدة من قوله تعالى : { **اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاء وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** } [2]. وكذلك قوله تعالى : { **فَلَمَّا جَاء أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ** } [3].

تلك هي الصفة التي عبر عنها الكاتبان رمضان حمود وابن باديس معا ، لأن كل واحد منهما ينفرد بخصوصيته من الصفات . فرمضان يذكر صفة الكمال ، وابن باديس يعرض صفتين لم يتعرض لهما رمضان حمود ، وهما صفة الرحمن والرحيم ، المقتبستان من قوله تعالى : **{وَإِلَـهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ }** [4].

1-- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 515/3 .
2- الشورى : 19.
3- هود : 66 .
4- البقرة : 163 .

فهما صفتا الرحمة والمغفرة والعطف والعفو ، والرفق بعباد الله الذين يمتثلون لأوامر خالقهم ونواهيه .

وقد تكررت كلمة الرحمة أربع مرات في موطن واحد ولم يقل لنا " القهار الجبار " مع أنه عز وجل قهار جبار. كل ذلك لنستشعر سعة رحمة الله بخلقه ، فإذا كان رب الناس الذي هو المالك لهم يعامل عباده بمقتضى هذه الرحمة التي وسعت كل شيء فأحرى أن يتخلق عباده بأخلاقه وتظهر عليهم آثار هذه الأخلاق في معاملة بعضهم ببعض "[1].

هكذا ، نجد الكاتب قد ساق هذا التوجيه في التربية الأخلاقية مقتبسا ذلك من قوله تعالى :{ **الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**}[2]. وكذلك ما ورد من السنة النبوية الشريفة حيث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : { **مَنْ لاَ يرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ**}[3].

أما عن الصفات التي وردت في النص السابق لابن باديس ، فهي صفة " القهار الجبار " فالقهار يعني أن الله قاهر لكل معتد آثم عات من خلقه ، ويوقفه عند حده ، وقد استند الكاتب على هذه الصفة التي استخلصها من قوله تعالى :{ **لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَى مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاء سُبْحَانَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** } [4] ، ومعنى ذلك

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 338/4 .

2- الفاتحة : 2، 3.

3- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط: 3 ، 1984 ، ص251 .

4- الزمر: 4.

أن الله وصف نفسه بالوحدانية ، نفيا لاتخاذ الولد ، ثم وصف نفسه بالقهار ليدل دلالة واضحة على نفي الشركاء والندية له ؛ لأن كل شيىء مقهور تحت إرادته [1] وكذلك قولــه تعالـى : { **قُلْ إِنَّمَا أَنــَا مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ** } [2].

وثاني آيـة ، معناهـا أمر مـن الله لنبيـه الذي يدعـوه إلى توحيده دون الإشراك به ، لأن الإشراك بـه ظلم واعتداء صارخ ، وللتوضيح أكثر فمعنى القهار هو تبليغ الإشعار بالترهيب والتخويف [3]. لينصع كل طاغ وجاهل ، ويهتدي إلـى معرفـة الله عن قرب . ويعود إلى الطريق السوي .

أما عن الصفة الثانيـة التـي تعرض لها الكاتب فـي النـص السابـق فهي صفة الجبـار التـي هي " مـن أسماء الله تعـالى ، وهو العالـي العظيم " [4] ، استوحاها الكاتب من قوله تعـالى : { **هُوَ اللَّهُ الذِي لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُـوَ ٱلمَلِكُ ٱلقُـدُّوسُ السَّلاَمُ ٱلمُـومِنُ ٱلمُهَيْمِنُ الْعَـزِيـزُ الْجَبَّـارُ ٱلمُتَكَبِّرُ سُبْحَـانَ اللَّـهُ عَمَّا يُشْرِكُـونَ** } [5]. ففي هذه الآيـة الكريمة نجدها تضمنت عـدة صفات للمولـى جلت قدرتــه .

---

1- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص 70.

2- ص : 65.

3- محمد علي الصابوني ،صفوة التفاسير ، 64/3.

4- محمد إسماعيل ابراهيم ، معجم ألفاظ القرآن الكــريم ، الهيئة المصريــة العامة للتأليف والنشر ، ط : 2 ، 1970 189/2 .

5- الحشر : 23.

هذا من جانب ومن جانب آخر نجد أن الكاتب يحـاول لفت نظر الإنسان البائس الفقيـر إلـى التحلي بالتأني والصبـر ، ويعلم أن الله ليس بغافل عما يعمل الظالمون ، وأنه مغيـر الأحوال وأنه يمهل ولا يهمل ، وسيجازي كل على حسب ما قدم ، إن شرا فشر وإن خيرا فخيـر فيصرح الكاتب فيقول : " صبرا أيها البائس المسكين فعيـن الله لا تنـام ، والدهر لا يدوم على حـال ومهـلا أيهـا الغـني البخيل ، فربـك لا تخفـى عنه خافية وأنـه عزيـــز ذو انتقـام "[1].

ففي هذا النص البسيط الواضح الدلالة يشير فيه إلـى تهدئـة البائس ، وإسكان روعه ويأمره أن يعتمد على الله وحده.

وهذا التوجيه الرباني لا يصدر هكذا عفويـا ، إنما نتيجته تعـود إلى أن صاحبها متشبع من دراسته الدينيـة وخاصة القرآن الكريم والسنـة النبويـة الشريفـة . ونستشف ذلك ، من استعراضـه لصفات الله سبحانه وتعالى ، التي تأثـر بها رمضان حمود في قوله تعـالى : {**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقْتُلُواْ الصَّيْدَ وَأَنتُمْ حُرُمٌ وَمَن قَتَلَهُ مِنكُم مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاء مِّثْلُ مَا قَتَلَ مِنَ النَّعَمِ يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَو عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ عَفَا اللّهُ عَمَّا سَلَف وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ اللّهُ مِنْهُ وَاللّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ** } [2]. فمعنـى هذه الآيـة التـي استعرض الكاتب فـيهـا صفتيـن من صفـات المـولـى جـل شأنـه وهي : " عزيز ذو انتقـام " أنه سبحانه وتعالـى صـاحب العـزة ، ورفيـع الشأن ، كمـا أنـه لا يتوانى فـي الإنتقـام

---

1- محمد نـاصر ، رمضان حمود حياته وأثره ، ص291 .

2- المائدة : 95.

السريـع من المســيء ، الذي لا يتفكر في ملكوت السماوات والأرض ، ويضرب بكل الأوامر والنواهي الإلهيـة عرض الحائط .

هكذا نلاحـظ أن هناك كتابا تمسكوا بالايمـان بالله وحده ، ودعوا إلى متابعة هذا السلوك الأخلاقي والديـني القويم ، نتيجـة اطلاعهم العميق على التراث الإسلامي الراقي وأعنـي ، بذلك أولئك الكتاب المصلحين الذيـن تركوا لنا نتاجـا أدبيا لا يستهان به ، سواء تعلق الأمر بالناحية الروحية أو العاطفية المتأثـرة بـالديـن الإسلامي الحنيف ، أو بالناحية النفسيـة التربـوية المحضـة ، فـي اقتفـاء سلوك الرسول وأثره ، لأنـه لعلى خلق عظيم ، وإيمان صادق لذلك نادى هؤلاء إلى السبيل الذي يجب أن يخضعوا له ويقتنعوا بـه ، وهو الإخلاص لله الواحد القهار ، الذي لا إله إلا هـو الرحمن الرحيـم .

## 2- اليـوم الآخــر:

الإيمـان باليـوم الآخـر ؛ من الموضوعات التـي تقترن بالأشيـاء الغيبية ، مثل الإرتباط بالإيمان بالله لقولـه تعـالـى :{ **لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ.)** [1] ، يـدل هذا على الأهتمـام البالــغ بهـذا اليــوم العظيـم الــذي لا يقـل أهميـة عـن الإيمان بالله ، حيث أننا نجد الله سبحانـه وتعالـى يكـرر هذا الأرتبـاط بـه في موضـوع آخـر فيقـول الله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُـونَ بِاللّهِ وَالْيَـوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً** } [2] .

ويكثر تردد هذه التسميـة فـي القرآن الكريم بأسمـاء متعددة منها يـوم البعث ، والنشور والـقيامة ، والساعة ، والديـن ، والحساب ، والجمع والتغـابـن ، والقـارعة ، والطـامة الكبـرى والآزفـة والحشر ، والنبـأ العظيـم .

إن الألـفــاظ المعــبر عنهــا فــي الـقرآن الكريـم عـــن يــوم الآخـر ترتبـط بالثــواب والعقـاب

---

1- البقرة : 177.

2- النساء: 59.

الذي هو جزاء المحسن على إحسانه ، والمسيء على إساءته ، وعلى الإنسان أن يعمل وأن يجد في عمله بإخلاص ليفوز بالدارين ، دار الدنيا ودار الآخرة ، كما ورد في قوله تعالى : { **أَعَدَّ اللّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } (1) .

ومن سلك هذا السبيل فإنه :" أقام الدين فاستقامت له الدنيا ، وانقاد إلى الله فانقاد له عباد الله ، وأخذ كتاب الله بقوة ، فمشى على نوره إلى سعادة في الدارين وأرشده إلى أن سعادة الدنيا عز وسلطان ، وعدل وإحسان ، وأن سعادة الآخرة حياة لا نصب فيها ولا نهاية ، واطمئنان لا خوف معه ولا كدر في أثنائه ، ورضوان من الله أكبر" (2). هذا ما توحي الآية الكريمة السابقة إليه ، فهو عهد من الله الذي لا يخلف وعده . لذلك نلاحظ أنه أوكل مهمة التبليغ إلى أولئك العلماء المتضلعين بالرسالة ، لنشرها على عباد الرحمن دون زيادة ولا نقصان ؛ لأن " عهد الله في أعناق علماء الدين لعهد ثقيل وأن أمانة الإسلام في نفوس علمائه لعظيمة ، وإنهم لمسؤولون عليها يوم تنشر الصحائف في هذه الدار ، وفي تلك الدار " (3).

تلك هي التوجيهات التي دعا إليها نبي البشر إلى الاقتداء بها ، حرصا منه سبحانه

---

1- التوبة: 89.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 222/4.

3- المرجع نفسه ، 340/3 .

وتعالى على نجاحهم ، مبينا لـهم سبيل الخيـر فيما وجهوا إلـى العمل بـه ، والشر فيما نـهى عنه لأن يـوم الآخر أو البعث هو " من دلائـل قدرة الله على البعث الأخيـر ، ومن الحجج الدافعة على منكريـه ولكنهـا – مـع ذلـك – قريبـة الخطـورة فـي أذهـان المتفائليـن مثلـي بالبعـث الأول فـي هذه الحيـاة الدنيـا .

تلك الآية هي قوله تعـالـى : { **ضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ** } [1] . لاحت لـي آيـة البعث مـن القرآن عندمـا لاحت لـي آيـة الإنبعـاث ... فأجلت بصيرتـي فـي الأولـى ، عندما أجلت بصري فـي الثانية فما زادت الثـانية الأولى إلا تمكينـا وتـثبيتـا " [2].

هكذا تتضح هذه الدلائـل ، وتتجلى المسافات والأبعاد عن الحقائق الغيبية التي أثبت لنا القرآن العظيم صحة وقوعها ، وأن الإيمان بها مثل الإيمـان بالله واليوم الآخر في ترتيب لفظي واقعي ، وتسلسل منطقي ممكن الوقوع ، وغيـر مستحيل استحالة قطعية ، ويمكن استجلاء ذلك عن طريق الإحساس المرهف والشعور العميق ، والإلهام بعظمة الخالق في هذا الكون وأنـه سبحانه القادر على كل شيء ، وإذا أراد شيئـا فإنما يقـول لـه كن فيكـون .

---

1- يس : 78- 79 .
2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 235/3.

### 3- القضــاء والقـدر:

قبل التطرق إلــى جملة الـقضاء والـقدر ، لا بد من التعرض إلــى تعريف كل كلمة على حـده . فالـقضــاء هو " الحكم ، وأصلـه قضاي لأنــه من قضيت ، إلا أن اليــاء لما جاءت بعد الألـف همزت والجمـع أقضيـة "[1] ، أمـا القـدر فهـو " الغنــى واليســار " وهو مـن ذلك لأن الله كـلــه قـوة " [2] . ولكـي يكون الإنسان فــي سبيل ربه حقا ، يجب أن يقر بالقضاء والقدر ، لأن هذا الأمر ، يتعلق بصدق الإيمان وتمامه ، وهو من الخضوع الضمني لله ، والإقرار له بالقـوة والعظمة ، والإعتراف بالرسول صلى الله عليه وسلم . هذا مـن المؤكدات التــي لا تجعلنـا مؤمنيـن إلا إذا ألحقنـا إيماننـا بوحدانية الله ، والإقرار بالقضاء والقـدر ، فيما يتعلـق بخيـره وشره وأن ذلك كله من الله .

وقد ورد الكثيـر من الآيـات الكريمة ، تلفت انتباهنـا إلــى القضــاء والقـدر بصريح العبارة فــي مثل قوله تعـالــى : { **مَّا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا** }[3].

فــي هذا السياق ، نلاحظ أن بعض الكتاب يعبـرون عن الإجحاف والتعسف المسلط على الأمة الجزائريــة من طـرف الاستعمار، الذي جثـم على البـــلاد ، وســلب كل شيء حتى

1- ابن منظور ، اللسان ، 2463/6.
2- المرجع نفسه ، 76/5.
3- الأحزاب : 38.

القوانين التي كانت سائدة في أوساط المواطنين ، وأحل محلها قوانينه التي لا تصلح إلا لأغراضه الشخصية ، دون ما ينفع السكان الأصليين ، إذ يقول العربي التبسي : " لا تجد هذه المؤسسات من قوانين بلاد كهذه ومن أحكام الجزائر ما يسهل لها الوجود والظهور ، فإن ظهرت بحكم القضاء والقدر ، وباستعداد الشعب الفطري "[1].

فمن هذا النص الذي يلمح إلى القضاء والقدر ، بالنسبة لما يصدر من تصرفات الاستعمار الفرنسي . والقضاء الذي يعنيه الكاتب في هذا الصدد هو ما يدعى في الحقيقة بالحكم على الشيء والقطع على ما يمكن أن يليق بذلك ، وأحق أن يقطع عليه ، فيعود مرة إلى إبداع الأشياء ، لتحقيقها على ما هي عليه ؛ لأن الذي خلق الخلق هو الحكيم العليم والحكمة هي إصابة الحقيقة ، والذي يصدقه قوله تعالى :{**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاء أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاء الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ**} [2].

ومحل الشاهد لدينا في هذه الآية :{**فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ**}. لذلك يجوز وصف أفعال الخلق بالقضاء ، أي أنه خلقهن وحكم بهن كقوله تعالى :{**قَالُوا لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَى مَا جَاءنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالَّذِي فَطَرَنَا فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**} [3].

---

1- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، حمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ص157 .

2- فصلت : 12 .

3- طه : 72 .

وهو يعنـي بصراحة الحكم ، ومن هنا صدر على تسمية العالم بالـقاضي، لما يتمتع بـه من اتـزان فـي الأعمال ، وإعطاء كل ذي حق حقه.

إلا أن مـا جاء فـي النـص ، هو الاعتقاد السائد لدى السلطة الحاكمـة للبلاد من الفرنسيين الراغبة فـي محـو كل مـا يمت بصلة لذلك الشعب المغلـوب على أمره ، وطمس معالم بناء شخصيته ليضمحل ويندثـر من الوجود ، وإن بقي على الحياة يكون تائها لا هو من هؤلاء ، ولا هو من أولئك ، لأنه أصبح مـجرد من كـل مقوماته الانسانيـة ، التـي هي البنـاء الأساسي لكيـان الفرد والمجتمـع .

وقـد تناسى أولئك الحكام المتعجرفـون المتسلطون على رقـاب الأهالـي ، بأن إرادة الله هي أقـوى وأعلـى مـن كـل شيء ، مصداقا لقولـه تعـالى : {**قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاء إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** } [1] . وما ذلك على الله بعسيـر ، لأنه الجبار العليم الخبيـر ، يدرك كل الأشياء وأنه يمهل ولا يهمل .

وهكذا نجـد تلك القدرة التـي بثها الله فـي رجالـه الصالحين مـن أبنـاء تلك الأمـة ، الذين قاوموا ذلك الإستدمار بشتى الوسائل ، على الرغم مـن قيامـه بإحباط جميـع المحاولات المستعملة من طرف أولئك الأحرار ، الذين أنـار الله عقولهم بقضائـه وقدره ، فكان على يدهم التحرر من العبوديـة ، والحصول على الإستقلال التام لذلك الوطن والمواطنيـن المسلوبي الإرادة .

---

1- آل عمران : 47.

## 4- صفـات المؤمنيـن :

إن العلي القديـر يدعو المؤمنـين إلـى التحلي بصفات الإيمـان الأساسية ، التي جاءت فـي كتابه العزيز ، الذي أنزله على عبده النبي الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ليبلغهم الرسالة ، ويدعوهم إلى الهداية ، التي إرتضاها الله لعباده كافة ، ليسعدوا في الدنيا و الآخرة إن هم تمسكوا بما فضلهم به الله على جميع الأمم السابقة ، حيث يصف الله أمة القرآن بقوله تعالى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** } (1).

فالتمسك بكتاب الله الذي " اشتمل على مجموعة من الأحكام إصطلح على تسميتها بالأخلاق ، لذلك سمي القرآن " كتاب أخلاق " لأنه يوجه حياة المسلم نحو الأفضل ، بإرشاده إلى الصفات الحسنة التي يجب التحلي بها للظفر بالحياة السعيدة ، وتحذيره من الصفات السيئة التي يجب التخلي عنها ، للابتعاد عن الشقاء والتعاسة " (2).

والأخلاق الكريمة هي التي مدح الله بها نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى : { **وَإِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظِيمٍ** } (3) ، وهو الغرض نفسه الذي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم به نفسه في قوله : { **إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**} (4).

---

1- آل عمران : 110.

2- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ، 61/1 .

3- القلم : 4 .

4- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص192.

إن من مقاصد دعوة رجال الإصلاح في الجزائر هو غرس تلك الصفات الحميدة المستمدة من روح القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة فـي قلوب الشباب الجزائري المسلم خاصة والأمة الجزائرية عامة ، لأن تشبعهم بالتكويـن القرآنـي يبعدهم عن تلك الفوضى ، التي يتخبط فيها من لـم يتخذ الأخلاق القرآنية منهاجا لحياتـه ، وطريقـا سديدا لمستقبله .

وقد حـاول هؤلاء العلماء الأجلاء استغلال كل المناسبات المتـاحة لهم ، لشرح تلك الصفـات الأخلاقيـة الحميـدة ، وتبسيطهـا ووضعهـا فـي متناول الفئة المتعلمة ، لتجنيبهم تلك المغالاة التـي تدعــوا إليهـا تلك الطغمـة الاستعماريــة بمسـاعدة الفئـة الجاهلـة ، التي تتلاعـب بهـا الطبقـة الاستعمارية الحاكمة ، فتوجهها كيفما شآت ، وحيثما رغبت خدمة لأغراضها الدنيئة .

وقد ورد عن أحمد الشرباصي قوله : " لقد تعرض كتاب الله تعالـى لأصول الأخلاق التـي يريد الله لعباده أن يتحلوا بهـا ، وأن يستجيبوا لروحها ، ولذلك هدف حديث القرآن عن الأخلاق إلـى غايـة سامية جليلة ، هي أن يكـون المسلم المؤمـن المتخلـق بمكارم الأخـلاق صـالحا لتلقي الإشراقـات الروحية ، والفيوضات الإلهيـة التـي تجعله يسيطر بروحه على بدنـه ويسمو بنفسـه فـوق حسـه ، ويستجيب لعقلـه أكثـر ممـا يستجيب لعاطفتـه ، ويحـسـن الوفـاق بـيـن لبـه وقلبـه " (1).

وهــكذا تحمـل أولئـك الكتـاب عبء الحديث عـن الصفـات التـــي يجـب أن يلـــتزم بـــهـا

---

1- أحمد الشرباصي ، موسوعـة أخلاق القرآن ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، ط : 1 ،1971، ص: ن.

المؤمن للولوج في خضم تلك الفترة المتصارعة عناصرها ، فئة تحاول إحلال النور وفئة تحاول إسدال الظلام ، ليبقى الأهالي على جهلهم ، فتسلح المصلحون بخير زاد ، دعموا به أقوالهم الصريحة تارة ، وغير الصريحة تارة أخرى ، وضربوا الأمثال بأفضل المواقف المشرقة للاهتداء إلى العبر ، التي يجب أن تؤخذ نبراسا لمن دخلت في قلبه الرحمة ، وفهم الأهداف والوقائع . تلك أهم الصفات التى سنتعرض لها فيما يأتي :

### 4-1- التقوى :

إن التقوى من صفات الأخلاق الإسلامية الأصلية الفردية منها والاجتماعية ، التي رفع الله من شأنها ، وجعلها من المهام الأساسية المفروضة ، ومن الفضائل الواجبة " مرتبطة بطهارة القلب ، والتجرد من الأهواء ونزواتها الحيوانية التي تدفعنا إلى تحقيقها وإشباعها بأية طريقة سواء " [1].

فهذه الصفات الحميدة ، قد نجد أن لها " صلة بين التقوى والبر الذي هو جماع الفضائل ومجموعة أعمال الخير" [2]. ولذلك يقول تعالى : { **يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوْاْ الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُواْ الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُواْ اللّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** } [3]، إذ أن لها ارتباط بالصبر حيث جاء في قوله تعالى : {**لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ**

---

1- بكير بن سعد ، أضواء على الأخلاق الإسلامية والمعاصرة، دار البعث قسنطينة الجزائر، 1984، ص40 .

2- أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، ص208 .

3- البقرة : 189.

**وَالْمَلآئِكَـةِ وَالْكِتَـابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَـالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ** } [1].

وقد ارتبطت فـي آيــات أخـرى بالتوكل وغيـرها من الصفات الأخلاقية الحميدة ، التـي توضح لنـا بأن " التقوى حصانة وصيانة ، والتقوى رعاية ووقايـة ، والتقوى قوة وفتـوة ، والتقوى بر وخيـر والتقوى إحسان وإتقان ، والتقوى وفـاء وصبـر " [2].

تلك هي الركائز الأخلاقية التي تستوجب على الإنسان التحلي بها ، وهو الأمر الذي أدى بأحد دعاة الإصلاح الجزائريين أن يشيد بهذا المنشد الأخلاقي والتمسك به ، لأنه يعتبر بمثابة الزاد والذخيرة التي يستطيع استغلالها عند الحاجة ، ويدافع بها عند اشتداد النوائب وبذلك تهدأ النفس المطمئنة ويرتاح الضمير ، وعليه ترسل الرحمة ، فيكون عندها الاستقرار والهدوء والارتياح .

لأن المتصف بهذه الصفة الحميدة ، يكون مزودا بالعظمة والقـوة والسؤدد. والنـص التالي يكشف لنـا ثمرة التقوى إذ يقـول فـي ذلك محمـد البشير الإبراهيمي : " أوصيكم بتقوى الله فهـو العدة فـي الشدائد والعـون فـي الملمات ، وهي مهبط الروح والطمأنينـة ، وهي منـزل الصــبر والسكينـة وهـي مبعـث القــوة واليقيـن ، وهي معـراج السمو إلـى السمـاء ، وهي التــي تثبت الأقدام فـي المزالـق ويربط على القلوب في الفتـن " [1].

لقد اشتمل هذا النــص على العديـد مـن المحامـد التـي يكون أساسها التقـوى ، التــي هي الأمتداد الحقيــقي لمـن أراد أن يسمـو عـن الدنايا والرذائـل ، لأن ما جاءنا على لسان هذا المصلح ، وقد اعتمد صاحبه فـي نصحه وتوجيهه لنا على ذلك القبس المنيـر ، ألا وهو كتاب الله المبيـن متأثرا بقوله تعـالـى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** } [2].

---

1- البقرة : 177.

2- أحمد الشرباصي ، موسوعة أخلاق القرآن ، ص210-211 .

هــذه دعــوة وتوجيه منـــه سبحانـه وتعـالـى للخلـق الـذي أنــار الله عقلـه وهـداه إلـى الإيمان بـه ، والعمل بما أمر بـه ، واجتنـاب ما نهـى عنـه ، ليصيـر مسلما حقا كما أمر ، وهـو مــا قصـده الإبراهيمـي ، ولـم يكـتف بهـذا فقـط ، بـل نجـده تعـدى ذلك إلـى رؤيــة أخـرى ألا وهي قولــه تعـالـى : { **الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَـاتٌ فَمَن فَـرَضَ فِيهِـنَّ الْحَـجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللّهُ وَتَــزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْـوَى وَاتَّقُونِ يَا أُوْلِي الأَلْبَـابِ** } [3].

فهـو يـذكـر فـي نصــه أن التقـوى عدة وزاد يتزود به أولئك الذيـن وهبهم الله القلـوب النيـرة والعقول الصـافية ، وهو مـا يدعـو إليـه عبد الحميد بن باديـس مدعما قول الإبراهيمي الســابــق

1- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 291/2 .
2- آل عمران : 102.
3- البقرة : 197.

الذكر قائلا : " وأن لا فضل لأحد إلا بتقوى الله ، ومن يتقي الله فهو أنفع لعباد الله " [1].

ففي هذا النص تأكيد وتوضيح بأن الإنسان الصالح هو الذي لا تغره الحياة الدنيا لأن تقواه لله تحيله إلى أن يكون بشرا سويا ، يقبل على عمل الخير فينفعه ، وينفع غيره ويكون عند الله من الذين وصفهم بقوله تعالى : { **الَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَياةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ لاَ تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } [2]. فالله في هذه الآية يبشر المؤمنين المتقين بالمفازة العظمى في الحياة الآجلة والعاجلة بقوة إيمانهم . وفي آية أخرى يذكر الله تعالى حفظه للمؤمنين المتقين قائلا : { **وَأَنجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**} [3].

هكذا يخبرنا القرآن الكريم بأن هناك علاقة مؤكدة تأكيدا منطقيا بين الإيمان والتقوى التي تظهر من خلال تلك البصمات المؤثرة في حياة الأفراد والجماعات .

فالإنسان المسلم ذو الأخلاق السامية لا يؤثر فيه ذلك التقلب " الزمان والمكان بل يرصد نفسه على التمسك الدائم بمكارم الأخلاق القرآنية التي تبعدنا عن الرياء ، والنفاق وتدفعنا إلى الإخلاص والإحسان اللذين يكملان فضيلة التقوى " [4]. مصداقا لقوله تعالى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** } [1].

فالنص القرآني يكشف لنا الغطاء ويزيح اللثام عن الأمة الإسلامية ، التي تختلف عن الأمم التي سبقتها في الدعوة إلى توحيد الله سبحانه وتعالى ، لكونها تتميز بصفات أخلاقية
عالية ، من ضمنها القيام بفعل الخير والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، ودوامهم على الإيمان بالله .

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 547/3.

2- يونس : 63-64.

3- النمل : 53.

4- بكير بن سعد ، أضواء على الأخلاق الإسلامية، ص43.

## 2-4- الصبــر:

هـو فضيلة مـن فضائـل الشخصية الإنسانية المستقيمة القائمة على ركيـزة الإيمـان بالله وهوكما عرفه ابن مسكـويه بأنه "مقاومة النفــس الهوى ، لئلا تنقـاد لقبائح الأشياء " أو هي : " احتمال الكـد" [2]. وهو ما ذهب إليه تـقريبـا بن الربيع فـي تعريـفه التالي : " هو مقاومة النفس للهوى عن مغالبته "[3]. والشخـص المتمسك بصفة الصبر يعتبر ذلك لديه " انتصارا على النفس الأمـارة بالسـوء ، وإذا ما حيـزت هذه الفضيلة كانت في مواجهة الرذائــل عبـارة عـن : نــبات باعث الديـــن فـي مقابلــة باعث الشهوات كما يقـول الإمــام الغـزالي " [4].

---

1- آل عمران : 110.

2- محمد عبد الستـار نصار، دراسات في فلسفة الأخلاق ، دار القلم الكويت ، ط: 1، 1982، ص245 .

3- ناجي الـتكريتي ، الفلسفة السياسية عند ابن الربيع ، دار الأندلس بيروت لبنان ، ط : 3 ، 1983 ص67 .

4- محمد عبد الستـارنصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، ص245 .

ولما كانت هذه الصفة من أرقى الصفات الأخلاقية ، وصفها المولى جل شأنه بأحسن الأوصاف " في نيف وسبعين موضعا ، وأضاف أكثر الدرجات إليه " [1]. حيث قال تعالى : { **وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ**} [2].

فهذه الآية تشير إلى أن من يتصف بهذه الصفة الحميدة ، يكون مميزا عن غيره ويصبح من الراشدين الذين يهدون بأمر ربهم ، لأن الصبر هو عبارة عن إشراقة نورانية تعد " من معالم العظمة وشارات الكمال ، ومن دلائل هيمنة النفس على ما حولها ولذلك كان " الصبور " من أسماء الله الحسنى ، فهو يتمهل ولا يتعجل ويبطئ بالعقاب إن أسرع الناس بالجريمة ، ويرسل أقداره لتعمل عملها على اتساع القرون ، لا على ضيق الأعمار وفي نطاق الزمن الرحب لا في حدود الرغبات ... ، والمشاعر الثائرة " [3]. نجد ذلك مجسدا في قوله تعالى : { **وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ** } [4]. صحيح هناك بعض من الناس يودون دائما الإسراع في تنفيذ الحكم ، وهذا خطأ منهم ، لأن في العجلة الندامة ، كما هو وارد في المثل السائر .

لذلك نجد أن الحديث النبوي الشريف يقول في هذا الصدد : **"وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرًا وَأَوْسَعُ مِنَ الصَّبْرِ** " [1].

---

1- المرجع نفسه ، ص245.
2- السجدة : 24 .
3- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ، 1985 ، ص131 .
4- الحج: 47.

فالحديث يدعونا إلى السلوك السوي ، الذي يزيد لنا قوة وكمالا ؛ لأن " الصبر من عناصر الرجولة الناضجة ... ، فإن أثقال الحياة لا يطيقها المهازيل ، والمرء إذا كان لديه متاع ثقيل يريد نقله ، لم يستأجر له أطفالا أو مرضى أو خوارين ، وإنما ينتقي له ذوي الكواهل الصلبة والمناكب الشداد !! كذلك الحياة لا ينهض برسالتها الكبرى . ولا ينقلها من طور إلى طور إلا رجال عمالقة وأبطال صابرون"[2] ، ليؤدوا مهامهم على أحسن ما يرام .

ولأهمية هذه العظة الأخلاقية نلاحظ أن أحد أعمدة الإصلاح الجزائري ألا وهو عبد الحميد بن باديس يدعو إخوانه في الجمعية الإصلاحية إلى الالتفات إلى العهد الذي تعاهدوا عليه للحفاظ على الجمعية ، وتوسيعها ، وكل ذلك الجهد المبذول لا يتأتى إلا عن طريق فضيلة الصبر ، فيوجه لهم النداء قائلا : " أيها الإخوان قد تعاهدنا في مثل هذا العيد من السنة الماضية ، تعاهدنا على خدمة مبادئ الجمعية وتوسيع نطاق أعمالها ، ونشر هدايتها ونصر كل عامل من رجالها ، بصبر وتضحية وثبات وقد وفينا – بفضل الله – بهذا العهد أو بما استطعنا في السنة الماضية "[3]. هكذا كان الصبر والثبات لتأدية الأعمال الصالحة لبناء الجزائر وايقاضها من غفوتها التي سلطت عليها من طرف الاستعمار مستندا في كلامه ذلك إلى قوله تعالى :{ **وَلَوْ نَشَاء لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ، وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ** }[1].

---

1- مسلم ، صحيحه ، بشرح النووي ، دار الفكر بيروت ، د- ت ، 1983 ، 145/7.
2- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص131 .
3- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 564/3 .

هكذا كـان الغرض مـن طرف رائد الإصلاح فـي الجزائـر، مقتفيـا أثر القرآن الكريم فـي اختبـاره زملا ئـه في الجمعية ليعلم الصـابريـن منهـم الذين يستطيعـون أداء المهمـة المـلقاة علـى
عاتقهم لتبليـغ رسالة الإصـلاح إلـى من يهمه الأمـر فـي هذا الوطـن الذي يعانـي من ويـلات التجهيل والتخـلـف، فصمدت تلك الفئة مـن رجـال الإصلا ح فـي جمعيتهـا، كما يصرح عنهـا رائدالنهضة عبد الحميد بن باديس بقولـه:" والجمعية – بحمد الله – ثابتة لهم صابرة لامتحان الله بهم.وقد وعدهاالله عاقبـة الصابريـن ورد عنها كيد الظالمين والحمد لله رب العالمين" [2].

هكـذا كـان الوفـاء من طرف رجال الجمعية ، والصمود فـي وجـه أعدائهم معتمديـن على ما وعدهم الله به من النصر . الذي وعد الله به المؤمنين الصابرين ، أليس هو القائـل فـي قوله تعـالى : { **قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ** } [3].

ذلك هو الجـزاء الذي يتحصل عليه من أدرك وتفهم هذا القـول العظيم ، واقتدى بهذا القـول الإلـهي ، الذي يكون " قد كشف الزمـان على الحقائق ، وحقت كلمة الله فكانت العاقبـة للحق والصبر والتقـوى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عـزم الأمور ، اللهم قد صبرنا فآتنـا

1- محمد: 30، 31.
2- ابن باديس ، حياته وأثره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 551/3 .
3- الزمر: 10.

عقبى الصابرين ، اللهم قد غفرنا فأشهد " [1].

هذه هي أفكار المصلحين من أبناء الأمة الجزائرية ، المنتمين إلى جمعية الإصلاح الوطني ، المتشبعين بأفكار القرآن الكريم ، التي تدعو إلى الخصال الحميدة ، والفضائل الكريمة التي تبدو واضحة جلية ، وهو ما نستشفه من هذا النص الأخير ، والنصوص التي سبقته ، المتأثرة بالقرآن الكريم ، الذي تشبع به أولئك الكتاب المصلحون ، من مثل قوله تعالى : { **لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُواْ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُواْ أَذًى كَثِيرًا وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ** } [2].

تلك هما الصفتان الحميدتان اللتان وردتا في هذه الآية الكريمة ، والمتمثلتان في صفتي الصبر والتقوى ، اللتين لهما الفضل الأكبر في بناء أخلاق الإنسان ؛ لأنه" كلنا يعلم أن النجاح والسعادة ، نتيجتا الصبر على المكاره ، والسعي المتواصل مع الثبات في المبدأ" [3] يقود المرء إلى الغاية المرجوة والهدف المنشود ، والاستقرار الدائم .

ورد عن الإمام محمد الغزالي أنه : " سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلاءً ؟ قال : " **الأَنْبِيَاءُ ، ثُمَّ الأَمْثَلُ فَالأَمْثَلُ ، يُبْتَلَى النَّاسُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِمْ . فَمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ اشْتَدَّ بَلاؤُهُ ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلاؤُهُ ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيُصِيبُهُ البَلاءُ حَتَّى يَمْشِي عَلَى الأَرْضِ مَا عَلَيْهِ خَطِيئَةٌ** " [1].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 147/1.

2- آل عمران : 186.

3- محمد ناصر ، رمضان حمود ، حياته وآثاره ، ص238 .

هكذا كان وصف الرسول صلى الله عليه وسلم لأولئك الأشخاص الأقوياء الإيمان الذين يستطيعون تحمل نـوائب الدهر. والقوة هي السبيل إلى الوصول إلـى" العظمة والاعداد التي أوحت لقائد أمريكي كبير أن يقول : " لا تسأل الله أن يخفف حملك ولكن إسأل الله أن يقوى ظهرك "[2]. فالقائد هنا يـدعو الفرد إذا تـوجه بالرجاء ، فاليطلب ماهو أجدى وأنفع ألا وهـو الـقوة ، التي هي من صفات العظمة . لأن " الصبر لنوائب الدهرمحمود ، ولكن الخضوع للذل والهوان دنـآءة وخسة " [3].

من هذا المنطق ، نستطيع القول بأن صاحب هذا النـص تأثر بالثقافة الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم ، ونخـص بالذكر قـوله تعـالى :{ **وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ** } [4] وكذلك قولـه تعالى : {**وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِن مِّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُم مِّن بَعْضٍ فَانكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلاَ مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَن تَصْبِـرُواْ خَيْـرٌ لَّكُـمْ وَاللّهُ غَفُـورٌ رَّحِيمٌ** } [1].

---

1- محمد الغزالي ، خلق المسلم ، ص131 .

2- المرجع نفسه ، ص132 .

3- محمد ناصر ، رمضان حمود ، حياته وأثاره ، ص292 .

4- النحل : 126.

ومن هاتيـن الآيتيـن المبرزتيـن لفائــدة الصبر ، التي أوضحـــها سبحانه وتعالــى عند الوقــوع فــي المصائب والمكـاره ، التي من المفروض علينـا حتما التزام طريـق من شأنه أن يوصلنا إلى السؤدد والفلاح وذلك بالتمسك بصفة الصبـر ، وهو المنهاج الذي حاول جماعـة الإصلاح الدينـي والاجتماعي والسياسي بالجزائر أن يلقنـوه لشعبهم الذي وعى ذلك فـي ظرف زمني قصير ، وبذلك نجد الشعب الجزائري هب عن بكرة أبيـه لدفع الإعتداء السافر ، من طرف المغيرين المعتديـن على حقوق غيرهم بدعوى نشر الحضارة ، التي تعد عبـارة عن ذر الرماد فـي العيـون لتغطية أهدافهم الاستيطانيـة والاستعبـادية .

وذلك ما نلمســه من هذا النص الذي وجهه الإبراهيمي إلـى أولئك المعتديـن قائلا إننـا قد رأينـا " العابثيـن بمقدرات الأمم كيف تكون عواقب العبث ولكن الله سلم وألهم الرشد فأريناهم كيف يكـون الصبـر فـي الشدائد وكيف يكون التنبـه للمكائـد وأذقناهم مرارة الخيبـة وغصص اليـأس وكنا نحن الفائزيـن " [2]. هكذا كان الإقحـام لأولئك الذين يدعون الذكـاء والفـــطنة ، والتحضر علـى سواهم من السكـان الأصلييـن ، والنص مقتبس من قـوله تعــالى : { **وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ، جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ، سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ** }[1]. فـالآيـة الكريمة تحث على الصبر عند المكاره رضاء لوجهه سبحانـه ، وعليهم الالتزام بفضائـل الأخلاق الكريمـة ، كالإنفاق فـي وجوه الخيـر ، وغيرها من الصفات الحميدة .

فإن عقبـى من اتصف بالصبر ، طبقا لمـا ورد في هذه الآيـة هو جنـات عدن التـي أعدت للمتقين ، وهي من المفازات التـي ينالهـا عباد الله الصالحيـن ، الذين يدافعـون عـن الحق ويطبقونه على أنفسهم قبل أن يطبقـوه على غيرهم ، ليكونوا القدوة الحسنة والمنـارة الراشدة إلى الهـدى والصواب . وفـي هذا السياق نجـد رمضان حمـــود يتحدث فـي هذا الشأن ويقـول إن :"مـرارة الصـبر ممزوجة بحــلاوة الظفـر " [2].

---

1- النسـاء : 25.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 213/1 .

هكذا يكون وفـاء الصابرين مصداقـا لقوله تـعالـى :{ **إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ** } [3].

وفـي هذه الآيـة الكريمة دليل واضح ، وتأكيد راسخ لقول محمد البشـير الإبراهيمي نائب رائد النهضة عبدالحميد بن باديـس رحمهما الله ، بأنهم الفائـزون ، وأعداء الوطن هم الخاسرون بدليل قولـه تعـالى : {**وَالْعَصْرِ ، إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ، إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**} [4]. هكذا ترشدنـا الآيـة الكريمة ، إذا كنـا من الراغبيـن فـي تجنب المهالك أن نعمل العمل الصالح النافـع لنـا ، ونوجه بعضنا بعضا إلـى مراعاة حقوقنـا وحقوق غيرنـا ، ونرعاها إلـى يـوم الديـن ، معتمديـن فـي قيامنـا بهذا العمل على النصح والنصيحة الخاليـة من الرياء والنفاق ، و الأعمال الهدامة ، ملتزميـن التـأني ، والتدرج فـي أسلوب عملنا وداعيـن غيرنا من الأبناء والأحفاد ، إلى الاقتداء بهذا القبس الأخلاقي المنيـر .

---

1- الرعد : 22-24.
2- محمد ناصر ، رمضان حمود ، ، ص273
3- المؤمنون : 111.
4- العصر: 1-3.

وهو ما أكده القرآن الكريم بأن الثواب الأكبر ، والجزاء الأفضل للصابرين المنصوص عليه في قوله تعالى : { **مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ** } [1].

وهكذا يستمر القرآن العظيم في توجيهنا إلى السلوك السوي ، الذي يحقق الجزاء الأوفى لمن إتصفوا بهذه الصفة التي إرتضاها الله لعباده الصالحين . مثل ما هو منصوص في هذه الآية الكريمة.

---

1-- النحل : 96.

**4 - 3- الجهـــاد:**

كلمة الجهاد تعنـي بذل الجهد أو " المبالغـة واستفراغ الوسع في الحرب أو اللسان أو مـا طـاق مـن شيء " [1]. وقد تنــاولـه القرآن الكريم وحــث عليـه فـي آيــات عديدة وجعلـه "فـي الإسلام ذروة سنامه ، وسياج مبادئـه ، وطريــق الحفـاظ على بـلاد الإسلام والمسلمين"[2] . لأنـه يعد مــن أفضل مبــادئ الأمــة الإسلامية ، الذي يقودها إلــى حيـاة العزة والكرامــة ، وإدامة سيادتها ، ونشر دينها الإسلامي ، ذلك الدين القيم. " لهذا كـان فريضة محكمة ، وأمـرا ماضيـا إلـى يوم القيامـة ، ومـا ترك قوم الجهـاد إلا ذلـوا ، وغـزوا في عقـر دارهم وخذلهم الله ، وسلـط عليهم شر النـاس وأراذلهم" [3] .

وفي هذا يقول الله تعالـى فـي محكم تنــزيلـه:{ **وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ** } [4] وقال أيضا : { **إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ** } [1].

---

1- ابن منظور ، اللسان العرب ، 135/1 .

2- وهبة الزحيلي ، الفقه الإسلامي ، مطبعة ابن حيان بدمشق ، ط : 3 ، 1980 ، ص304 .

3- المرجــع نفسه ، ص304.

4- الحــج : 78.

وقد جاء في السنـة النبوية الشريفـة أحاديث كثيـرة تكشف لنا فضل الجهـاد ، إذ نجد أنـها جعلتـه فـي المرتبـة الثانيـة بعد الايمـان بالله وبـالرسول صلى الله عليـه وآلــه وسلم ، عندما سئـل رسول الله صلى الله عليـه وسلم : أي الأعمـــال أفضل ؟ قــال : " **إيمَـانٌ باللَّهِ وَرَسُولِـهِ قيـلَ ثُمَّ مَـاذَا ؟ قَالَ : الْجِهَادُ فِي سَبيلِ اللَّهْ ، قيـلَ ثُـمَّ مَـاذَا ؟ قَـالَ : حَــجٌّ مَبْـرُورْ** " [2]. وقـال الرسول صلى الله عليه وسلم أيضا فـي حديث آخر : " **لَغَدْوة أوْ رَوْحَةٌ فِي سَبيـلِ اللَّهِ خَيْـرٌ مِـنَ الدُّنْيَا وَمَـا فيهَـا** " [3].

وإذا ما دققنـا النظر في هذه الأحاديث النبويـة الشريفـة وحاولنا التقرب منها ، وتحليلها نلاحظ أن محمد السعيد الزاهري كان متأثـرا بها وبالآيـات السالفة الذكر ، ويتضح لنـا ذلك من النص التالـي : " هل أدلكم على النجـاة مما نحن فيـه ؟ : تــؤمنـون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ، وتتخـذون لكم معهـدا إسلاميا تتعلمـون فيه الإســلام وتدرسون فيه كتاب الله ، وسـيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم . فإن فعلتم فعـسى أن تكونـوا من المهتديــن ، وإن لم تـفعلوا فلن تــفلحـوا إذن أبـدا " [4].

---

1- التوبـة : 111.

2- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص700 .

3- مسلم ، صحيحه: 13، 14 /26 .

4- محمد السعيد الزاهري ، الاسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص67 .

فالكاتب فـي هذا النص يتوجه بسؤال صريح إلى الأمة الإسلامية قاطبة ، وإلى الشعب الجزائري خاصة ، الـذي حاول المستعمر الـفرنسي أن يزيل اسمهة وأن يطمس شخصيته الجزائرية الإسلامية وأن يجعله بلا هويـة تاريخيـة تـذكر ، لكي يسـهل عليه التنكـر لأصلـه وذلك بإحـلال ثقافته ولغته محـل اللغـة الوطنية الأم ، وبذلك يستطيع بكل سهولة ويسر أن يسخره كيفما يشاء ، ويستغله استغلا لا فضيعا، وهو ما كان واقعا فعلا آنذاك .

لذلك كان الطـرح بهذا الشكل الذي يبـرز لهم فضيحة المستعمر ، وفي نفس الوقت يحـاول الكاتب إيقاظهم من ذلك السبات العميق ، ليوجههم إلى أفضـل السبل مسلكا، وأيسر الطرق نجاحـا ، مجيبا على تلك الإشكاليـة العالقة أمام هذه الأمـة الجزائرية المسلوبـة الحـق المغلوبة على أمرها ، المنهوكة القوى قائـلا لهم : إن خلاصكم مما أنتم فيـه ، لا يتأتـى إلا بالإيمـان الحقيقي الخالص لله وحده ، وبرسالة خاتـم أنبيائه محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع رايـة الجهاد عالية في سبيل نصرة الشرف والكرامة ، وإحقـاق الحق ، بكل ماهو في متنـاول الإنسان من المال وجهد وغيره ، مما يساعده على التحرر، والحفاظ على كرامته .

ولم يــقتصر الجهـاد عند الكاتب في جعل النـفس رخيصة في سبيـل الله ، والدعم بالأمـوال،والأ نفس ، بل يتعداهـا إلى فعـل الخيـر ، وإنشـاء مؤسسة قائمـة بذاتهـا ، تخصص لتعليم رجـال المستقبل الإسـلام ، ومدارسة كتاب الله دراسة وافيـة ، تبيـن للدارس ما عليه من حقـوق وواجبات نحوه ، ونحو أبنـاء ملته ووطنه ، وكذلك دراسة السيـرة النبوية الشريفة المخصصة لتوجيه العبـاد إلى السلوك السوي ، سواء ما تعلق بالحيـاة الدنيـا أو الآخرة.

فإن من وعى وأدرك هذا التوجيه الحي السليم ، واتعظ بهذه الموعظة الحسنة وعمل بها إلى يوم الدين هذا ، فإنه لا محالة يكون من المرشدين إلى طريق النجاح والفلاح ذلك هو الصواب والفطنة التي ألهم الله بها العديد من المصلحين الجزائريين ، من أمثال صاحب النص السالف الذكر ، الذي تشبع من قبس الذكر الحكيم الوارد قوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الذِينَ ءَامَنُوا هَلَ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ، تُومِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمُ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ، يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ** } [1].

بهذا النداء الإلهي الموجه للمؤمنين الذين صدقوا الله ورسوله ، وآمنوا بالله حق إيمانه بطرح الأسئلة عليهم كالتالي : هل أدلكم على تجارة رابحة ؟ تخلصكم من عذاب شديد مؤلم هو القيام بالجهاد ضد أعداء الدين بالمال والنفس لرد الإعتداء، ونصرة الحق ، وبذلك يستحق القائم بهذا العمل الجليل من ربه جزيل ثوابه [2]. وهذا ما كان يقصده ، ويهدف إليه محمد البشير الإبراهيمي أن : " الجهاد أيها المسلمون – لفظ قليل – تحته معنى جليل ، هو صرف القوى الروحية والعقلية والفكرية ، تظاهرها القوى المادية ، إلى تحقيق غرض مما ينفع الناس ويتفاوت شرف الجهاد بتفاوت ذلك الغرض في النفع فإذا لم يكن الجهاد غاية ، ولم يكن فيه نفع كان جهدا ضائعا وسعيا عقيما، أما إذا كان وصفا تطلقه الألسنة كما هو واقع في الشأن زماننا هذا ، فهو نفاق يصطنعه الطامعون ، وتزوير يتعلل به الفارغون" [1].

---

1- الصف : 9- 13.

2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 374/3.

فالكاتب يوضح للمسلمين في قوله هذا ، معنى كلمة الجهاد ومدى سموها ، إذا ما وجهت كل الدعائم الأساسية ، التي تتخللها القوى المادية ، إلى ما يفيد الإنسان . ويضيف الكاتب بأن قدر الجهاد وشرفه يختلف نسبيا حسب الهدف المنشود ، فإن كان من أجل التقرب إلى الله فجزاؤه نعيم الجنة ، وإن كان من أجل المادة فإنه يكون عنده جهد لا يعود عليه بالنفع ، ويذهب سدى ، وأما إذا كان من أجل التظاهر والتفاخر أمام الناس ، فإنه يعتبر بالنسبة لمن قام بذلك زورا وبهتانا ونفاقا ، وبالتالي يصبح ضرره أكثر من نفعه.

ويمضي محمد البشير الإبراهيمي في توضيح معنى الجهاد الحق قائلا : " أما الجهاد الذي غايته تثبيت الحقائق الإلهية في الأرض، وغرس البذور الروحية في الوجود فلغته سماوية لا تحمل معاني التراب ، متسامية لا تسف إلى ما تحت السحاب ، وأما المجاهدون في سبيل الله ، فلا يعدون الربح والخسارة في آرائهم ، ولا يدخلون الوقت – طال أم قصر – في حسابهم " [2].

هكذا كان الكاتب يحاول إشعار الشعب الجزائري بمرتبة هذه الكلمة وقيمتها لإرساء الأسس السليمة القيمة ، والقواعد الراسخة التي سنها الله لخلقه في الأرض ، ليقوموا بالدفاع عن أنفسهم ، راضين بما منحهم الله من الربح أو الخسارة ، ومقبلون على ما أمروا به من الجهاد في سبيل الله ، دون الإدبار ، حتى النصر أو الاستشهاد مصداقا لقوله تعالى : **{ وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ، فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ، يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ }** [1].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 216/4 .

2- المرجع نفسه ، 276/4.

هكذا يخبرنا القرآن بكل وضوح أن المجاهد في سبيل الله سيحصل لا محالة على إحدى الحسنيين : إما نعمة الإستشهاد في سبيل الله أو الإنتصار على الأعداء . وفي هذه الآيات الواضحات تصريح وتوضيح إلى أولئك الذين يعتقدون أن المجاهدين في سبيل الله إذا ماتوا وتخلصوا منهم سيصبحون مندثرين ، خاسرين لحياتهم الدنيا . ولكن القرآن الكريم يُقحم هؤلاء الذين يدَّعون ذلك التأويل الخاطئ . قائلا لهم لا تعتقدوا بأن أولئك المجاهدين الذين استشهدوا في سبيل الله أمواتا بل بالعكس مما تدعون ، فإن ذهبت أجسادهم فأرواحهم بقيت ترفرف في السماء ، فرحة مستبشرة بما خصهم به الله من نعمته .

وقد حاول الإبراهيمي أن يوجه الجزائريين إلى سبل الجهاد وأسسه القاعدية التي يجب مباشرة العمل بها إنطلاقا من الجهاد الجزئي إلى الجهاد الكلي ، الذي يأتي عن طريقه التحرر والاستقلا ل المنشود ، الذي يسود فيه نشر الفضائل ، والعدل والمساواة بين أفراد المجتمع حيث يقول : " فأعلى مراتب الجهاد وأصله الذي تتفرع منه فروع الجهاد فى النفس حتى تستقيم على صراط الحق والفضيلة وتستعد لما بعد ذلك من أنواع الجهاد الخارجي عن النفس " (1). بهذا التوجيه السليم ، والأسلوب الرفيع المهذب الملفت النظر إلى قيم الجهاد ومراتبه السامية ، وكيفية التدرج الذي يجب على الفرد انتهاجه ، لكي يمكنه من الوصول إلى أعلى مراتب الجهاد المنشودة .

---

1- آل عمران : 169-171.

ويستمر الإبراهيمي في استعراض موضوع الجهاد معتمدا في ذلك على الدستور الإلهي ومستوحيا أفكاره منه إذ نجده يقول : " تكررت في النصوص القرآنية كلمة ( الجهاد بالنفس ) في معرض الأوامر التكليفية ، والأوامر الدينية بمعانيها الكاملة إنما نتوجه إلى أصحاب النفوس الكاملة التي اطمأنت للإيمان بالله ، والإيقان بالحق الذي يدعو إليه والرضاء بأحكامه الدينية والقدرية ، وجعل الحياة المحدودة مطية للحياة الخالدة . وما وصل إليها أصحاب هذه النفوس إلى هذه الدرجة من الكمال إلا بعد جهاد في النفوس ، هيأها للجهاد بالنفس ثم دفعها إليه " [2]. فالإبراهيمي في هذا النص يهدف إلى ما يهدف إليه القرآن الكريم من أن موضوع الجهاد يندرج ضمن الأحكام التكليفية والدينية ، وهو موجه إلى الأفراد الذين يتصفون برجاحة العقل ، ورحابة الصدر ، وبعد النظر ، والإعتقاد السليم ، والسير قدما نحو الهدف الأفضل ، الذي يؤدي به في الأخير إلى محطة الحياة السعيدة الآمنة .

أما عن تكرار كلمة الجهاد بالنفس ، فهي مستوحات لدى الكاتب من النصوص القرآنية العديدة من ضمنها قوله تعالى :{ **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**} [1]. وجاء أيضا في هذا الصدد قوله تعالى : { **لاَ يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَن يُجَاهِدُواْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ** } [2].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 217/4.
2- المرجع نفسه ، 216/4-217 .

فالآيـة الأولى تبيـن لنا المجاهدين الصادقـين ، الذيـن يترفعـون عن الدنيـا المادية ، ويميلـون كل الميل إلـى الدفاع والاستماتة من أجل رفـع الظلم وإقامة العدل في الأرض ، واستتباب الأمن وإحلال السكينة ، وهو ما يدفع المؤمنون حسب الآيـة الثانية إلى عدم الإستئذان وطلب الترخيص لهم برفـع السلاح ورد المعتديـن عنهم ، من طرف سيد المرسليـن محمـد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وبهذا التوجيه الإله الواردعن طريق القرآن المنير لسبيل الهدى ، حـاول الإبراهيمي شرح وتوضيح للشعب الجزائـري الذي يرزخ تحت أغلال الاستعمار في هذا الموضوع قائـلا : " هو ما جـاء به الإسلام وسماه جهادا وهو قتـال المعارضين لدعوته ، الواقفيـن فـي سبيلهـا ، بعد تبليغهم الدعـوة ، وتمكينهم من النظر فيهـا بالعقل والرويـة وأنظارهم إلـى المدة الكافيـة لذلك فإن لم يقبلوهـا بعد ذلك ولم يقفـوا فـي طريقها تركـوا وشأنهم ، ولا إكـراه فـي ديـن الإسلام بالنـص القرآني القاطـع " [3].

ففي هـذا النـص الـذي يـدعـو فيه صاحبه الجزائـريين إلى التعبئـة التامـة لرفـع الظلم والأعتـداء عـن أنفسهم عمـلا بقوله تعـالـى : { **وَقَاتِلُـواْ فِي سَبِـيلِ اللّهِ الَّذِيـنَ يُقَـاتِلُونَكُـمْ وَلاَ تَعْتَدُواْ إِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبِّ الْمُعْتَدِينَ** } [1].

---

1- الحجرات : 15.

2- التوبة : 44 ، ينظر سورة النساء : 94. وغيرها .

3- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 364/4 .

هذه دعـوة من الله إلى الخلـق كافة للدفـاع عن أنفسهم ورفع الظلم عنهم في حدود مـا سطر لذلك ، دون مغالات أو تجـاوز للحدود المعمول بها.

لقد انطلقت صيحات داعية لشحذ الهمم ،ودفع الظلم ، والعمل على إجلاء الاستعمار من البلاد وهو مـا يصرح به مصلح آخر مـن جماعـة الإصلاح بالجزائر المتشبعين بالقرآن الكريم وهو العربي التبسي موجها خطابـه إلى الأهـالي قائـلا : " ونحن نتجاهل كل حل لا يفي بالرغبة كاملـة ونواصل كفاحنا ما دمنـا ، وما دامت هذه الحكومة مصرة على باطلها، تنتحل له كل يـوم أسباب البقاء ، وتلتمس وجـوه الحيل وتستنجد هذا الفريـق منـا ليكون عونـا لهـا علينـا" [2].

فصاحب النص يرفض الحلول الجزئيـة ، ويدعو إلى مواصلة الجهـاد ، لإزالة الظلم وإبطال الباطل ودفع الغبـن والاستعباد ، هذا مالم يذعن المستعمر إلى المطالب الشعبيـة ، المتمثل في مطـالبة الاستعمار المغادرة من وطنه ، وتسليـم مقالد الحكم إلى أهله الأصلييـن .

فالكاتب هنا نلاحظ عليه سمة التأثير بالقرآن الكريم وخاصة قوله تعالى: { **أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ، الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ** } [1].

---

1- البقرة : 190

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة ، جمع ودراسة : شرفي أحمد الرفاعي ، 178/1.

إن ما ورد هنا يدعو إلى إباحة الجهاد ضد الطغاة المعتدين ، وإن كل من قاموا بالكفاح ضد الظلم تكون نتيجة قيامهم بهذا العمل هو الغلبة والنصر المبين ، لأنهم من الذين أبعدوا من ديارهم بغير حق، وحرموا من أراضيهم وممتلكاتهم . لذلك لايمكن التقاعس عن الجهاد؛ لأن التخلي عن ذلك ، يؤدي حتما الى حدوث الفوضى العارمة التي سينجر عنها إختلال النظام الذى ينجر عنه هدم الصوامع ، والمساجد وبيع ، وهتكت الأعراض ، وكل القيم ، وغيرهامن الأماكن المقدسة ، إلا أن إرادة الله تقف حائلا ضد هؤلاء الطغاة المعتدين فلا تمكننهم من مبتغاهم لأنه هو القوي العظيم ، ناصر الحق ، وإنه على نصرهم لقدير ؛ لأن الحرب في الحقيقة ليست في صالح البشر .

ويحاول الإبراهيمي أن يوضح لأمته رأي الإسلام في هذا الشأن ، لأنه يدرك نتائج الحرب قبل إحلالها ، وأنها لا تبقي ولا تذر إلا الدمار والتعاسة والشقى واليتم ، وكل السلبيات غير المرغوب فيها فيقول : " إن رأي الإسلام في الحرب أنها مفسدة لا ترتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها ، وأعظم مفسدة هي الوثنية التي تعطل العقول وجميع المواهب التابعة لها المنصرفة بأطرها ، وإذا تعطل العقل تعطلت ثمراته وفوائده ، وأصبح الناس في حكم المجانين ، وتسلطت عليهم الأوهام وأصبح نظرهم إلى الحقائق زائغا منحرفا ، وحسبهم نتيجة لذلك أنهم يؤهلون أشياء كلها أحط من الإنسان ، ومنها ما هو من صنعه " [1]. وكأنه استسقى الكاتب هذه الدعوة أو ذاك التوجه من قوله تعالى : { **كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ** } [2].

---

1- الحج : 39-40.

" إن القتال في سبيل الله فريضة شاقة . ولكن فريضة واجبة الأداء ... لأن فيها خيرا كثيرا للفرد المسلم ، وللجماعة المسلمة ، وللبشرية كلها. وللحق والخير والصلاح "[3]. والآية الكريمة تخبر المسلمين بما أمرهم الله ألا وهو الجهاد ، الذي يبدو صعب المراس نظرا لما يتطلبه من قوة الدفاع ، ولما يتعرض له صاحبه من المخاطر والمجازفات بالأرواح ، ومع ذلك ففي حالة الضرورة لا مفر منه ، لأنه الوسيلة الوحيدة التي يستطيع الإنسان دفع الاعتداء بها على نفسه ، وعلى قومه لرد الاعتبار وإثبات الشخصية ، والكرامة الإنسانية .

وإن كل ما فرضه الله على عبده فيه سعادة تغمره ، بعد تطبيقه لتلك الدعوة التي وجه إليها ، ومثال ذلك ، ما أشار إليه الإبراهيمي في نصه السابق ، فأعظم مفسدة الوثنية التي هي الرجوع إلى الجاهلية الأولى ، والتي حاربها الإسلام ، لما فيها من تجميد الفكر وتعطيل المواهب ، التي تؤدي إلى فسح المجال للعقم الكلي للأمة في جميع مناحي الحياة وعندهاتكون في موضع القطيع دون راع ، وهو مايسهل على العدو قيادتها ونشر مذهبه ، ودمجها في الوسط الذي يحلو له بكل سهولة ويسر ، ومع ذلك فهؤلاء المعتدين الذين يعملون كل ما في وسعهم لزرع أشواكهم في أوساط المجتمع ، أظلهم الشيطان وأعمى أبصارهم عن رؤية الحق المبين ، وأصم آذانهم لسماع الدعوة إلى الصراط المستقيم ، وغفلوا عن نداء الحق الذي جاء في قوله تعالى : { **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ** }[1].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 364/4.

2- البقرة : 216.

3- سيد قطب ، في ظلا ل القرآن ، دار الشروق القاهرة ، ط :35 ، 2005 ، 223/1.

هذا وعد من الذي لا يخلف وعده الحق ، وأنه يمحق أهل الشرك ، ويدعم الذين يدافعون من أجل العدل والمساواة ، والأخوة الإنسانية في الله ، وسيورثهم أرضه ، لأنهم من عباده الصالحين الممتثلين لأمره ، ولا يشركون به شيئا لأنه رب التقوى ورب المغفرة . ومن عصى أوامره ونواهيه ، فقد ظل ظلا لا بعيدا ، وسيشقى طول حياته لأن اللعنة نزلت به وأضحى من الذين طردوا من رحمة الله ، وحق فيهم الجهاد في سبيل الله حتى الإبادة النهائية وهو حكم الله فيهم ، لطغيانهم وجبروتهم السافر على مخلوقات الله من جنسهم .

ونخلص إلى أن كلمة الجهاد شرعت من أجل الذود عن حياض المستضعفين المعتدى عليهم من قبل الأعداء المستدمرين لكل ما هو على وجه الأرض . سواء ما تعلق بالحقوق الإنسانية ، أو الحريات الفردية أو الجماعية ، والجهاد شرع لإزهاق الباطل ونبذه ، وبث السلم والسلام ، ونشر الرحمة والحب بين بني البشر، و إسعادهم بالعدل والمساواة .

---

1- النور: 55.

ومن هذا المنطلق ، نجد أن الإبراهيمي وغيره من المصلحين الجزائريين قد قاموا بالدور الفعال في توصيل مفهوم كلمة الجهاد إلى الأوساط الشعبية الجزائرية ، وتوعيتهم به
وكان لدورهم الأثر الكبير في حمل المجتمع على مقاومة العدو الجاثم على بلادهم ، مدة قرن وثلاثين سنة من الزمن ، فتكلل بعدها جهادهم بالنصر المبين والحرية والإستقلال .

## 4-4- العبـــادات :

ومعنى العبادة في اللغة " الطاعة مع الخضوع "[1] لما أمر الله به ، ونهى عنه للخضوع لأمره والقيام بعبادته أحسن قيام مصداقا لقوله تعالى : { **وَمَا خَلَقْتُ ٱلجِنَّ وَٱلإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ . مَآ أُرِيدُ مِنْهُمْ مِّنْ رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ يُّطْعِمُونِ . إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينْ** }[2].
ومعنى ذلك ، أن هناك " الوظيفة المعينة التي تربط الجن والإ نس بناموس الوجود هي العبادة لله ، أو هي العبودية لله وأن يكون هناك عبد ورب ، عبد يَعبد ، ورب يُعبد . وأن تقسيم حياة العبد جلها على أساس هذا الاعتبار "[3].

لذلك فهي ليست منحصرة عند موضوع الصلاة والصيام ،" بل هي تشتمل كل جوانب الحياة ، فالصلاة عبادة ، والصدقة عبادة ، وعمل الخير عبادة ، والإصلاح بين الناس عبادة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عبادة ، بل إن من سعى للعمل ليكف نفسه عن سؤال الناس ويعفها ، إعتبر رسول الله صلى الله عليه وسلم سعيه هذا جهاد في سبيل الله " [1].

---

1- ابن منظور، لسان العرب ، م : 3 ، ص 273.
2- الذاريات : 56 - 58 .
3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م : 6 ، ج : 26-30 ، ص3387 .

وعندما سأل الرسول صلى الله عليه وسلم عن إنسان يعمل بجد ونشاط مامكانـة هذا الشخـص عند الله ؟ فقـال عليه الصلاة والسلام : { **إنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْـنِ شَيْخَيْـنِ كَبِيرَيْـنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعُفُّهَـا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ** } [2].

وتوضيحا لهذا الموضوع يجب عرض بعض النصوص النثريـة لرجـال الإصلاح الجزائرييـن الذين خاضوا غمـار الجهاد بالكلمة ، ونخص بالذكر منهم على سبيل المثـال لا على سبيل الحصر ، محمد البشـير الإبراهيمي الذي يقـول : " كان الصحابة لاستعدادهم القوي لتحمل رسالة الإسلام بقـوة يحرصون على أخذ همات العبادات من فعلـه صلى الله عليه وسلم ، كما يحرصـون على التمثيـل بأخلاقـه والتقليـد لـه فـي معاملتـه لله ومعاملتـه لخلقـه ، وعلى التــأسي بـه فـي الأفعـال والتــرك فـي شـؤون الديـن لعلمـهم أن الفعـل هـو المقصد والثمـرة ، وأن الأقـوال فـي معظـم أحوالهـا ، إنما هي أدوات شـرح ، وقوالب تبليـغ وآلات أمـر ونهـي ، ووسائـل ترغيب وترهيب وأن فــي قـول قائلهـم : " أنــا أشبهكـم صلا ة برسـول الله " ، لدليل على تغلغل هذه النظرة في مستقر اليقين من بصائـرهم ، وأنهم كانـوا يتشددون في أخذ الصـور العملية

---

1- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص 125.

2- المرجع نفسه ، ص125.

من أفعالــه صلى الله عليـه وسلم كما هـي ، ويتحرجون مــن التقصير فيهـا "[1]. بهـذا السلـوك السـوي ، الذي كان الصحابة عليهم رضوان الله وسلامـه ، يتبعون سبيله صلى الله عليـه وسلم لأخذ كل الكيفيـات التطبيقية اللازمة في عبادتهم لربهم دون الاكتفاء بالنظري لأنها مصدر توضيح للفعل الممارس فعلا أمـام الأنظـار . وهناك فرق شاسع بين عبـادة الصحابة ومن جاء بعدهم من المسلميـن الذين آمنوا بربهم ، وذلك لبعد المسافـة بينهم وبيـن الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما يؤكده الإبراهيمي في حديثـه : " وقد كانوا يفهمون العبادة بـهذا المعنـى : أن تعبد الله كما شرع على الوجـه الذي شرع فالكيفيات داخله فـي معنى التعبـد ، لذلك لـم يحدث السلف زوائد في العبادات من أذكار وغيرها بدعوى أنهـا زيـادة في الخير كما عمل الخـلف وكانوا يـفهمون يـسر الديـن بمعناه السامي ، وهـو لا إرهـاق فيه ولا إعنات ، وإنه ليس في المقادر الزائدة عن إقامة التكاليف أو في المعاذير الصحيحة العارضة للتكاليف لا كما نفهمه نحن تساهلا وتطفيفا" [2].

هكذا كان السلف الصالح من الصحابة رضوان الله عليهم يؤدون عبادتهـم التي كانت قد وصلت إليهم من منابعها الأصليـة ، وهو القرآن و السنة التي كان مصدرها أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعالـه .

وقـد وجـه الإبراهيـمي فـي هـذا الشـأن دعـوة إلـى أبنـاء الأمـة الجزائريـة يحثهم فيها على

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 146/4.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 4 / 146-147 .

التمسك بعبادة الله وحده ، وتنفيذ ما فرضه عليهم دون التهاون فيه وذلك في قوله : " حثوا إخوانكم على إقامة الفرائض الدينية والاجتماعية التى أضاعوها كالزكاة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر والتواصي بالحق والصبر والرحمة والتعاون على البر والتقوى والتآلف والتحابب مستندين في ذلك كله على كتاب الله وحديث نبيه مستدلين بنصوصها على النهج السلفي " [1].

وبهذه الدعوة الإصلاحية الموجهة للمجتمع الجزائري ، فيما يخص التوجيه الديني لعبادة الله المفروضة على المسلمين بدليل قوله تعالى :{ **مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ أَسْمَاء سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ أَمَرَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**} [2].

ففي هذا تصريح مؤكد بأن الأمر والحكم لله تعالى ، الذي استوجب على العباد الخضوع لإرادته التي إرتضاها لهم دينا صالحا . إلا أن ما يلفت الإنتباه ويدعو إلى الحيرة والقلق ، هو جهل السواد الأعظم من الناس لهذه الفائدة العظيمة ، مع العلم أن من قام بأداء شعائره الدينية كاملة نزولا عند أمر ربه يجزيه عنه خير الجزاء ، حيث يكون الاستناد في تنفيذ ذلك معتمدا على الأمر اليقين ، في التبليغ ، فإذا ما وجد خلافا في ذلك يجب الرجوع إلى المصادر الأساسية للعبادة ، والتي يدعو إليها الإبراهيمي في قوله : " وكان **أَلِيمٌ** } [1].

العلماء يردون كل ما اختلفوا فيه من كل شيء ، إلى كتاب الله وسنة رسول الله ، لا إلى قول فلان ورأي فلان ، فإذا هم متفقون على الحق الذي لا يتعدد . ولقد أنكر الإمام مالك على ابن المهدي – وهو قرينه في العلم والإمامة – عزمه على الإحرام من المسجد النبوي فقال ابن المهدي : إنما هي بضعة أميال أزيدها ، فقال مالك : أو ما قرأت قوله تعالى : { **لَا تَجْعَلُوا دُعَاء الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاء بَعْضِكُم بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ**

---

1- المرجع السابق ، 3/180-181.

2- يوسف : 40.

وأية فتنـة أعظم من أن تسول لك نفسك أنك جئت بأكمل مما جـاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ... ثم تلا قوله تعـالـى : { **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلاَّ مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِالأَزْلاَمِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ الْيَوْمَ يَئِسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن دِينِكُمْ فَلاَ تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ** } [2]. وقـال كلمته الجامعـة التي كـان عليها لألاء الوحـي وهي قوله : " فما لم يكـن يومئـذ دينا فليس اليوم بدين " [3].

فالإبراهيمي في نصه هذا يذكر أن المعارضة فيما يخص العبادات بالزيادة أو النقصان من قبل رجال العلم مثل الذي صدر عـن الإمـام مالك رضـي الله عنـه لجديرة علـى المحافظـة على العبادات التي شرعها الله على عباده،ودوام صلاحيتها ونظافتها من كل شائبة تلحق بها.

---

1- النور: 63.

2- المائدة : 3.

3- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 149/4.

فالعبادات شرعـها الله لتوضيح العقائـد الإيمانيـة ، وتخصيص المساجد بيوتـا لإقامـة الشعائر الدينيـة ، ومظهرا من مظاهر إجتماع المسلميـن بها لإقامـة الصلاة وغيرها من المهـام التي تفيد الإسلام والمسلميـن ، وهو ما يبـرزه الإبراهيمي فـي قولـه : " إن الإسلام إنما شرع العبادات لتكون شواهـد وبينـات على العقائـد الإيمانيـة ، ثـم جعل المسجد بيتـه ليكون مـظهـرا لتلك الشـهـادة ، فكـل ما يقـع فيه من صلاة واجتماع لها ومجالس مدارسة ، وخطب فهو إعــلان لتلك الشهـادة فيجب أن تتظـاهر هذه الأشياء كلها على الحق وأن يكون على أسـاس
الحق حتى تكون شهادتها حقـا على عقائد الحـق " [1] .

هذه لفتـة إلـى علو نجم العبـادة ، لأنـها حق فرضت من الخالق على خلقه لما فيها من فوائد جمـة تعود على من إلتـزم بأدائها بنشاط وحيويـة ، وشعور بالسعادة ، والراحة النفسية نتيجة لما قام به مـن الواجـب لإرضـاء خالقـه ، الذي يجعله محـررا مـن قيـود التبعيـة لغير الله واللاحقة لمـن يـقـوم بتأديتها كما أمـر الله .

وقد جعل القرآن الكريم نظامـا خاصا ، وأوقاتا معلومة للعبادات ، ويبرز الإبراهيمي ذلك بقولـه : إن " الأوقـات الفاضلة وأفضلها شهـر رمضان ؛ لتلاقـي عدة عبادات فيـه ، من الصـوم والصدقـة والتراويح والتهجد ، وكل عبادة منهـا ذات أثـر في النفس " [2].

---

1- المرجع السابق ، 203/2 .

2- المرجع نفسه ، 314/2 .

ولأهمية هذا الشهر العظيم الذي أنزل الله فيه القرآن الكريم على رسوله صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمات إلى النور هداية منه سبحانه وتعالى ورحمة لخلقه ، كما جاء في قوله تعالى : { **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ** } [1]. ومعنى الآية الكريمة ، أن شهر رمضان هو منبع الرحمة والغفران والتوبة النصوحة المباركة ، وهو الحد الفاصل بين عبادة الأوثان ، وعبادة الرحمن ، وفيه نزل الحق وزهق الباطل ، إن الباطل كان زهوقا بنزول القرآن الكريم الذي سمي بالفرقان الذي فرق بين ديانة الشرك ، وديانة الإسلام .

ويصور الإبراهيمي عبادة الصيام في هذا الشهر بأنها تختلف عن سواها من العبادات لبعدها عن المغريات التي تتوجه إليها النفوس والأنظار ، موضحا ذلك بقوله : " وهذا صوم رمضان ... عبادة دينية محضة ، وهي أبعد العبادات عن الماديات التي تغرى بتدخل الطامعين في شؤونه ، فهو أشبه بالفقير الذي ليس معه من المال ما يغري اللصوص بالاعتداء عليه ، إذ ليس له من الأوقاف ما يقيمه كالصلاة والمساجد ، ولا يفتقر في إقامته وأدائه إلى سفينة أو طائرة تنقل إليه ، ولا إلى رخصة انتقال تثير غريزة التحكم " [2].

---

1- البقرة : 185.

2 – محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر، 174/2.

إذن فعبادة الصيام تكون بين العبد وربه ، لذلك فهي عبادة روحانية لا تحتاج إلى مساعدة أو وساطة للقيام بها .

ولذلك نجد أن العبادات في الدين الإسلامي الحنيف تختلف في الإتجاهات والمقاصد ويمكن الإطلاع عليها عن طريق النصوص ، أو بمجرد استعمال النظر العقلي ، ومنها ما يتطلب التأمل والاستنباط ، وهو ما أشار إليه الإبراهيمي في حديثه : " لكل عبادة في الإسلام حكمة أو حكم ، يظهر بعضها بالنص عليه أو بأدنى عمل عقلي ، ويخفى بعضها إلا على المتأملين المتعمقين في التفكير والتدبر ، والموفقين في الاستجلاء والاستنباط "[1]. بهذا الأسلوب المتبع تنكشف فوائد العبادات ودرجاتها من ناحية القوة والضعف .

ثم يضيف الإبراهيمي في كلامه عن العبادات بأن الهدف الأسمى والجوهري يتجه نحو تطهير النفس البشرية من الدنس العالق بها قائلا : إن " الحكمة الجامعة في العبادات كلها هي تزكية النفس وتطهيرها من النقائض الروحية ، وتصفيتها من الكدرات ، وإعدادها للكمال الإنساني ، وتقريبها للملأ الأعلى وتلطيف كثافتها الحيوانية ، وينفرد الصوم من بين العبادات بأنه قمع للغرائز عن الاسترسال في الشهوات التي هي أصل البلاء عن الروح والبدن وفطم أمهات الجوارح عن أمهات الملذات ، ولا مؤدب للإنسان كالكبح لضرواة الغرائز والحد من سلطان الشهوات عليه " [2]. بهذا الشرح الوافي لفائدة عبادة صيام رمضان المعظم التي يقوم بتأديتها الإنسان المؤمن ليتقرب من خلالها إلى الله سبحانه وتعالى .

---

1 - المرجع السابق ، ص574.

2- المرجع نفسه ، ص574 .

نلاحظ في حديث الإبراهيمي هذا ، أنـه جعل من عبادة الصوم الوسيلة الأولى لوضع حد فاصل للسيطرة على الغرائز الانسانية وعدم السماح لها في التمادي ، على ما يجلب على فاعلها غضب الإله ، الذي ينتج عنه اللعنة الأبدية. ولذلك يفترض غلق جميع السبل التي تغري الإنسان بعبادة الصيام التي تقوم سلوكه ، وتعوده على الصبر الذي يمده بـقوة الإيـمان الحـقيقي والتي تنشئه تنشئة حسنة ، وتربيه تربية سليمة ، فيستطيع حينها تحمل نوائب الدهر التي تتعرض له أثناء ممارسته للحياة اليومية .

وبذلك يستطيـع كبح جماح النفس ، واضعـا نصب عينيه نورا من قبس الذكر الحكيم الذي يقـوده إلـى الهدايـة الربانيـة التـي جـاء فيهـا قولـه تعـالـى : { **لَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً أَنِ اعْبُدُواْ اللّهَ وَاجْتَنِبُواْ الطَّاغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فَانظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ** } [1]. فمعنى الآيـة الكريمـة التي يخبـر الله فيها بإرسال الرسول لكل أمـة لتبليـغ الرسالـة لعبـاده المؤمنيـن داعيا فيها بأن الخضوع والطاعـة لا يكون إلا لله وحده ، رب العرش العظيم ، وأن يتجنبـوا العصيـان والمروق عن هدى الرحمـن.

ومن أجل الحفـاظ على الكيـان البشري ، نلاحظ أنه يفترض على الإنسان التمسك بالنظـام الإلهي الذي لـم يتـرك شاردة ولا واردة إلا ووضـع لها قانونـا يدعـو فيه للتـي هـي أقـوم

1- النحل : 36.

ولذلك فمنهم من استجـاب فهداه الله ومنهم من كـــفـر فأضلـه الله [1].

وإضافـة إلى كل ما سبـق ذكره ، نرى أنه من الصعب تحديد المفهـوم الإسلامي للعبادة وحصرها فـي خصوصيـة متفردة ومستقلة بذاتهـا ، لأن كل عبادة يقـوم بهـا الإنسان لا بد وأن يتوجه فيها بنيـة خالصة إلـى الله تعـالـى .

وإذا ما حاولنا البحث عن القواعد الأساسية للعبادات نجد أنها منحصرة فيما جاء فـي الحديث النبـوي الشريف ، الذي قال فيـه صلى الله عليه وسلم : { **إنَّ الإِسْلاَمَ بُنِـيَ عَلَى خَمْسٍ: شَهَـادَةَ أنْ لاَ إلَـهَ إلاَّ اللَّـهَ. وَإقَـامِ الصَّـلاَةِ ، وَإيتَـاءِ الزَّكَـاةِ ، وَصِيَـامِ رَمَضَانَ وَحَـجِّ ٱلبَيْتِ** } [2].

تـلك هـي المنطـلقـات الرسميـة للعبـادات المفـروضة ، التـي لا يمكـن أن تنفصـل عـن بعضهـا ، وعلى المسلم أن يقـوم بها جميعـا، ليتم دينه ، الذي ارتضـاه الله له .

## 4- 5- الشـــورى :

لقـد ورد فـي تعريـف الشـورى أو المشـورة بضم الشين مفعولة لأنها مصدر ، وشاوره ومشاورة وشوارا ، وكـذلك القـول فـي " استشاره : طلب منه المشورة [3]. وأشار الرجل يشيـر إشـارة إذا أومـأ بيديـه أو ما أشار عليه بالـرأي.وأشـار يشيـر إذا ما وجه الرأي " [4].

---

1- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 126/2.

2-- مسلم ، صحيحه ، شرح النووي ، 177/1 .

3- ابن منظور، لسان العرب ، 446/4.

4- المصدر نفسه ، 437/4 .

نفهم من هذا التعريف بأن الشورى هي البحث عن الرأي الصالح لحدث طارئ ومهم لذلك من المفروض أن يعرض على أهل الحل والعقد. وهو الأمر الذي دعيت إليه أمة الإسلام عن طريق نبي الهدى في قوله تعالى :{ **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** } [1]. وهذه دعوة موجهة من الله وحيا لمعلم البشر محمد صلى الله عليه وسلم في كيفية إتخاذ القرار أثناء المواقف كالحرب وغيرها من الأمور التي لم ينزل عليه فيها وحي ، ليستظهر برأي أصحابه ولما فيه من الدعوى إلى التعاون والمشاركة في الرأي حيث ورد عن الحسن رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم :

" **مَا تَشَاوَرَ قَوْمٌ قَطُّ إِلاَّ هَدَوْا لِأَرْشَدِ أَمْرِهِمْ** " [2].

وكذلك ما ورد في سيرة حبيب الله محمد صلى الله عليه وسلم عندما علم بخروج قريش للدفاع عن قافلتهم التجارية بزعامة أبي سفيان بن حرب ، " فاستشار على الناس وأخبرهم عن قريش ، فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ، ثم قام المقداد بن عمر وقال : يارسول الله ، إمض لماأمرك الله فنحن معك ، والله لانقول لك كماقالت بنوا إسرائل لموسى، وهو قوله تعالى:" **قَالُواْ يَا مُوسَى إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُواْ فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ".**[3]ولكن إذهب أنت وربك فقاتلا إنامعكما مقاتلون ، فوالذي بعثك

---

1- آل عمران : 159.

2- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، تحقيق محمد مرسي عامر ، دار المصحف القاهرة ، ط : 2 ، 1977 209/2 .

3- المائدة : 24.

بالحق لو سرت بنا إلى برك الغماد[1]. لجادلنا معك من دونه حتى تبلغه. فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له به "[2].

هكذا كان معلم الخلق يستشير أصحابه في كل المهمات التي لم ينزل فيها الوحي ، وكان يأخذ برأي أصحابه ، وكانت لهم أراء سديدة وموفقة ، عادت على الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه بالنصر المبين ، كما هو الأمر ببدر الكبرى وغيرها من المواقع الكثيرة التي تزخر بذكرها السيرة النبوية الشريفة ، وسيرة الخلفاء الراشدين من بعده ، وغيرهم من الخلفاء والأمراء الذين جاءوا من بعدهم ، واقتفوا أثارهم في الشورى فأصلحوا َ أمرهم وسادوا على غيرهم بهذه السنة الحميدة . وفي مثل هؤلاء جاء حديث النبي صلى الله عليه وسلم : " **إِذَا كَانَتْ أُمَرَاؤُكُمْ خَيَارُكُمْ وَأَغْنِيَاؤُكُمْ سَمْحَاءَكُمْ وَأَمْرُكُمْ شُورَى بَيْنَكُمْ فَظَهَرُ الْأَرْضِ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ بَطْنِهَا** "[3].

فالحديث الشريف يخبر بأن الأقوام الذين يعملون بأمرالشورى ، فإن إستمرار بقائهم ودوامهم في الحياة أفضل من زوالهم ؛ لأن في زوالهم خسران مبين للأمة الإسلامية .

ولكي يكون للأمة الإسلامية كيان في الوجود لا بد لها من الرجوع إلى الله ورسوله والاطلاع على السيرة الحميدة ، والتاريخ المجيد الذي أدى بالدولة الإسلامية إلى أن تكون

---

1- برك الغماد : موضع باليمن .
2- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص439-440.
3- المرجع نفسه ، ص439 .

خير أمة أخرجت للناس ، لأن من ضمن تلك الطرق المتبعة في حكمهم اتباع نظام الشورى مصداقا لقوله تعالى : { **وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** } [1]. وبهذه الطريقة التي أشار إليها القرآن الكريم المتمثلة في الشورى التي حاول رجال الإصلاح الجزائريين أن يتمسكوا بها في التعامل فيما بينهم ، ثم بثها في نفوس أبناء أمتهم لتبقى هي المصدر الأساسي لقيام نظام الحكم السليم .

وذلك ما نلاحظه في قول ابن باديس إبان الاستعمار الفرنسي بالجزائر ، الذي سلط عليه وعلى الجمعية ما سلط من القمع ، ومحاولات الإفشال لأداء المهمة المنوطة بهم ، التي تتمثل في نشر القيم الإسلامية ، ومحاربة الجهل والذل ، لذلك فهو يقول لهم : " وسيكون لنا جميعا من إقامة سنة الشورى أعظم مرشد ، ومن نورها أهدى هاد ، وسأصدرها من رأيها الموافق للمصلحة العلمية رفضا أو قبولا " [2].

من هذه المنهجية السليمة في سلوك منهج الشورى التي أشار إليها ابن باديس للاقتداء بها نزولا عند قوله تعالى : { **قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ**} [3]. وفي هذه الآية الكريمة دليل واضح على أن العمل بالشورى من طرف الحكام من السلوكات الإيجابية المفيدة . نلاحظ أن هذه الآية الكريمة تقدم نموذجا لحكم تلك الملكة التي تطرح مشكلة على مساعديها ليجدوا لها حلا موفقا ، وأبت أن لا تقوم بأي شيء

---

1- الشورى : 38.

2- محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس الإمام عبد الحميد بن باديس ، ص294 .

3- النمل : 32.

إلا إذا أشاروا عليها بالرأي الراجح والمعقول ، وهو نفس الهدف الذي نجده فـي حديث ابن باديس السابق ، الذي حاول فيه أن يرتكز على النظم المستمدة دائما من الشريعة الإسلاميـة الغراء ، ومن الحكم والأمثـال الواردة فـي القرآن الكريم ، التي تنطوي على صور حية وتوجيهات ذات مستقبل لا يخلوا من الدفع نحو التقدم والازدهار بالنسبة لمن إنتهـج نهج القرآن الكريم .

وبهذا الأسلوب المتبع في تنشيط جمعيـة علماء المسلميـن في نظام الشورى الذي أضفى عليها هالة من التقديـس والاعتزاز من طرف أعضائها، والتفاف الشعب حولها، استطاعت في برهـة مـن الزمن أن تـقدم للأمـة الجزائريـة عملا جليلا ، يعيـد لهـا مجدهـا التليـد ، ويمحـوا كـل ما علق بالأمـة الجزائرية من التنصيـر ، والإندماجية المسلطة ، من أجل مسخ الشخصية الجزائريـة ، وتشويـه الدين الإسلامي بوسائله الجهنمية ، التي تتمثل في رجال الطرقية الذين فسح لهم الاستعمار مجالا واسعا ، ودعما معتبـرا خدمة لأغراضه الإستعباديـة والتضليلية.

ولكن إرادة الله كانت وما تـزال قائمة ، إذ بعث في نفـوس رجال الإصلاح روح الإيمـان الصادق بالله وحـده ، فاجتمعـوا فـي جمعيتهم الطاهـرة ، وتشاوروا فـي أمرهـم فتوحدت كلمتهم عمـلا بقولـه تعالـى : { **فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ** } [1]. فاستعانـوا بالله ، وقاموا بثـورة ضد كل العادات والتقاليـد البالية

---

1- آل عمران : 159.

ففتحوا المدارس في أنحاء القطر الجزائري لتعليم الأبناء حب الوطن ، والدين الإسلامي النظيف الخالي من البدع و التدجيل ، فكانوا خير خلف لخير سلف ، ومن هؤلاء الطلبة كان الإمداد لثورة نوفمبر 1954م التي تكللت بالنصر المبين .

**4 – 6 - صفات أخرى :**

لقد حاول رجال الإصلاح لجمعية علماء المسلمين بالجزائر التعرض فعلا لمجموعة من الصفات التي يجب أن يتصف بها كل من آمن بالله واليوم الآخر ، والقضاء والقدر . ليتمكن الإيمان الصحيح من الولوج في قلوب المؤمنين ، حسب ما تتطلبه الظروف النفسية المحيطة بحياة الشعب الجزائري الموجه عادة حسب سياسة المستعمر .

وقد ورد الكلام عن هذه الصفات في الحقيقة والواقع ، وقيل أنها تبدو " واحدة من حيث مصدرها وأصلها ، متنوعة من جهة موضوعاتها ، ومن ناحية أخرى ، فإن الذين يقولون بوحدتها إنما يعنون بذلك الترابط التام بين موضوعاتها ، بحيث لا يختلف واحد من هذه الموضوعات بناء على أنها مؤسسة على العقل والإرادة الخيرة أو طهارة القلب . وإذن فتنوعها يقصد به تعدد صورها وأشكالها أو إن قلت : تعددت موضوعاتها " (1). هذا من جهة ، ومن جهة أخرى ، نجد أن ما تمليه تلك المناسبات ، يهدف إلى إبراز الإحساس النفسي الذي ينتاب ذلك الشخص المصلح ، وما يحيط به من تلك الظروف التي يعيشها الشعب الجزائري ، الذي هو بأمس الحاجة إلى من يأخذ بيده ، ويوجهه التوجيه

1- محمد عبد الستار نصار ، دراسات في فلسفة الأخلاق ، ص240-241 .

السليم. لأن الحياة السائدة أصبحت تتحكم فيها سياسة الاستعمار، التي تهدف إلى مسخ التعاليم الإسلامية ، أو بعض الصفات الخلقية، وإحلال بعض السلوكات غير اللائقة التي تؤدي حتما إلى التجهيل والاستعباد (1).

لذلك حاول رجال الإصلاح التوضيح بأن الأمة الإسلامية كانت ولا تزال أفضل الأمم على وجه الأرض ، وأن الأمر الذي جعلها ترتقي إلى أعلى المراتب ، هو ذلك السلوك المنتهج في التربية والتعليم ، وهو الذي نجد الإبراهيمي يدعو إلى الإلتزام به ، مع تلقينه لمن سيخلف الآباء والأجداد ؛ لأن في تعليمهم لهذه الصفات الحسنة يؤدي حتما إلى اكتمال رجولة ذلك النشء لذلك فهو يقول : " ربوهم على الرجولة وبعد الهمة ، وعلى الشجاعة والصبر وعلى الإنصاف والإيثار ، وعلى البساطة واليسر ، وعلى العفة والأمانة ، وعلى المروءة والوفاء ، وعلى الاستقلال والاعتداد بالنفس ، وعلى العزة والكرامة ، وعلى التحابب والتسامح وعلى حب الدين والعلم والوطن والوالدين والمعلم "(2).

إن في هذا الحديث العديد من الفضائل الحميدة التي إن تمكن الشعب الجزائري من فهمها وعمل بها فإن عمله ذلك يكون من الأعمال الصالحة ، مصداقا لقوله تعالى :{ **مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**} (3).

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، 87/1 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 165/3.

3- النحل : 97.

فمعنى الآية موجه إلى الذين آمنوا بالله كافة دون التمييز بين الذكر والأنثى لأن الشرط الوحيد هو الإيمان بالله ،. وكل من تتوفر فيه تلك الشروط فحياته تكون سعيدة ، ويعمه الخير العميم ، جزاء ما قام به من الأعمال الصالحة التي من ضمنها التمسك بالدين الإسلامي الذي يصفه عبد الحميد بن باديس بأنه هو" الذي يحترم الانسانية في جميع أجناسها فيقول الله تعالى : { **وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً** }[1]. ويقرر التساوي والأخوة بين جميع تلك الأجناس ويبين أنهم كانوا أجناسا للتميز لا للتضيل ، وأن التفاضل بالأعمال الصالحة فقط. فيقول : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ** }[2].

ويدعو تلك الأجناس كلها إلى التعاطف والتراحم بما يجمعها من وحدة الأصل ووشائج القرابة القريبة والبعيدة "[3]. مستدلا على هذه الصفات بقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا**}[4].

---

1- الاسراء : 70 .

2- الحجرات : 13.

3- من تراثنا الإسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، دار البعث والنشر قسنطينة الجزائر، ط : 2 ، 1985 111/4 .

4- النساء : 1 .

إن الدين الإسلامي عند عبد الحميد بن باديس هو الذي:"يقرر التضامن الإنساني العام بـأن الإحسان إلى واحد إحسان إلى الجميع والإساءة إلى واحد أساء[1] إلى الجميع "[2] مسترشدا فـي ذلك بقولـه تعـالى : { **مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاء تْهُمْ رُسُلُنَا بِالبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَلِكَ فِي الأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ** } [3] .

ثم يضيف ابن باديـس في حديثـه عن إحتـرام الأديـان من قبل الديـن الإسلامي مذكرا بأنـه : " يعترف بالأديـان الأخرى ويحترمها ويسلم أمر التصرف فيهـا لأهلهـا "[4]. مدعما ذلك بقوله تعـالى : { **لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ** }[5].

ففي هذه الآيـة الكريمة ، دعـوة إلى إحترام الأديـان وتـقديسها بصفـة عامة ، مع وجود تخصيـص للمسلم الذي يفترض عليـه أن يتمسك أكثر فأكثر بدينـه الإسلامي القويـم ، لاشتمالـه على كافـة الأديان السماوية . فالمسلم لايليـق له أن يتخلى عن الكل ، ويتمسك بالجـزء . الذي يتمثل في اتباع ديـن غيره ، الذي يشتمل على شذرات طفيفة من الصفات الأخلاقيـة وغيرهـا من المثاليات الإنسانية السامية التي لا تكفي لبنـاء الشخصية الكاملـة .

---

1- هكذا في الأصل ، والصواب : إساءة .
2- من تراثنا الإسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .
3- المائدة : 32.
4- من تراثنا الإسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .
5- الكافرون : 6.

ويستمر ابن باديس في حديثه عما يمده الدين الاسلامي من السلوكات الخلقية لبناء التكامل الإنساني من أجل نشر الخير ونبذ الشر، إذ أنه : " يقرر شرائع الأمم ويهون عليها شأن الاختلاف ، ويدعوها كلها إلى التسابق في الخيرات "[1]. معتمدا في هذا على قوله تعالى : { **وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ** } [2].

إن في هذه الآية توضيحا بأن هناك شرائع ومللا سبقت شريعة محمد صلى الله عليه وسلم . وإن التعدد في الشرائع ، هو الذي جر إلى التفرق والتشتت ، وعدم التمسك بالشريعة الواحدة ، وهذا بلاء ابتليت به الإنسانية ، وأن ما ينفع الإنسانية في هذه الحالة هو التوجه إلى ما يسعد الإنسانية من عمل الخير ، ونبذ الشر .

ويستمر ابن باديس في الكشف عن الصفات التي يتقدم بها الدين الإسلامي بأنه :" يأمر بالعدل العام مع العدو والصديق " [3]. أثناء الأحكام الصادرة من الحكام والقضاة ، لنشر الإخاء والوئام بين الناس جميعا ، مستدلا على ذلك بقوله تعالى : { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ** } [1].

---

1- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

2- المائدة : 48.

3- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

والأمر في هذا ، هو الحث على نزاهة إصدار الأحكام واستقامتها دون المساس بحقوق الغير أو إعتماد فكرة الإقصاء. ويتابع ابن باديس في عرضه لنبذ بعض الصفات المذمومة مذكرا بأن الدين الاسلامي هو الذي " يحرم الاعتداء تحريما عاما على البغيض والحبيب"[2]. مستندا في هذا العرض على قوله تعالى :{ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُحِلُّواْ شَعَآئِرَ اللّهِ وَلاَ الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلاَ الْهَدْيَ وَلاَ الْقَلآئِدَ وَلا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُواْ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَن تَعْتَدُواْ وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ** }[3]. فالآية الكريمة هنا تلزم المسلمين على التعامل مع الغير بالتي هي أقوم ، دون المساس بحقوقهم المشروعة.

هذا ويضيف فضيلة أخرى هي الدعوة إلى " الإحسان العام " [4].

كما في قوله تعالى : { **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**}[5]. ففي الآية أمر للبشرية بالتعامل فيما بينها بالإستقامة

---

1- المائدة : 8

2- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

3- المائدة : 2.

4- من تراثنا الاسلامي ، أثار الإمام عبد الحميد بن باديس ، 111/4 .

5- النحل : 90.

والإعتدال ، وفعل الخير بالإحسان إلى من يستحق ذلك .

وعلى غرار ما سبق ذكره من الصفات الحميدة ، نجد الإبراهيمي يجعلها من الفرائض الدينية التي لا يمكن للمسلم أن يتخلى عنها قائلا : " حثوا إخوانكم على إقامة الفرائض الدينية والاجتماعية التي أضاعوها كالزكاة ، والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر، والتواصي بالحق والصبر والمرحمة والتعاون على البر والتقوى والتآلف والتحابب ، مستندين في ذلك كله على كتاب الله وحديث نبيه مستدلين بنصوصها " [1]. هكذا كانت دعوة السلف الصالح إلى الرجوع في كل شيء إلى المنبعين الأساسيين كتاب الله وسنة نبيه لا غير ، دون زيادة أو نقصان.

فإذا ما أخذ المؤمن هذه التعاليم وعمل بها حسب حديث الإبراهيمي فإنه يكون من عباد الله الصالحين الذين اقتفوا أثار الأولين ، الذي قال فيهم الله تعالى : { **كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ** } [2]. فالآية الكريمة تخبر بأن الأمة الإسلامية في سالف عهدها كانت من أفضل الأمم ، لأنها كانت تفعل الخير، وترشد الناس إلى الإحسان ، وتنهاهم عن الأعمال الذميمة ليكونوا مؤمنين حقا كما أراد الله أن يكونوا ، لا كما يرغب الاستعمار .

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 3/180-181 .

2- آل عمران : 110.

## 4-7- بعض الصفـات السلبيـة :

تطرقنـا فيما سبـق إلى عرض بعض الصفـات الإيجابيـة التي دعى إليهـا رجال الإصلاح فـي كتاباتهم ، التي يفترض أن يتحلى بهـا الإنسـان المثالي ، ومع ذلك لم ينس هـؤلاء الإصلاحيون استعراض بعض الصفـات السلبية ، التي تسبب ضررا للأفـراد والمجتمعات وتنخـر قواهم وتعبث بهـم ، وتكـون سببا في عدم اسعادهم في حياتهم اليومية ، كالظلم الذي هـو " وضع الشيئ في غير موضعه "[1]. وللتوضيح أكثر لهـذه الصفة . " حديث الوضوء : فمن زاد أو نقـص فقد أسـاء وظلم ، أي أسـاء الأدب بتركه السنة والتأدب بأدب الشرع وظلم نفسه بما نقصها من الثواب بترداد المرات في الوضوء " [2].

فالدعـوة هنـا تحثنـا إلـى الأعتـدال ، والاستقامـة بإتمـام السنة بكيفيـة سليمـة لكي يكـون المرء عندهـا من الذيـن قـال الله تعالى فيهـم : { **الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ** } [3].

فالآيـة الكريمـة تعنـي أولئـك الذيـن لـم يلبسوا إيمانهم بالكفـر ولا الشرك الـذي يعتبر مـن المعصيـة العظمى لقولـه تعـالـى : { **وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ** } [1].

---

1- ابن منظور، لسان العرب ، 373/12.

2- المرجع نفسه ، ص373 .

3- الأنعام : 82.

فالآيـة هنـا تنهى عن الإشـراك بالله لأن في ذلك اعتـداء وتجـاوزا علـى سلطة الخالـق جلت قدرتـه وسمى على أن يشرك به ؛ لأن في الشرك كفرا وعصيـانا ونتيجة ذلك ما يـؤدي إلى الخروج عن النظام المعمول بـه في شرعتناالإسلامية السمحاء.

وقـد أوضـح الإبراهيمي صفـة الظلم وعقباهـا حسب تعليـق القـرآن الكريم عليهـا قائـلا : " إن الفائـدة الكبـرى التي يعلقها القـرآن على السيـر في الأرض والوقوف على آثـار الأمم البائـدة في الإعتبار بحـال الضالين وعقبى الظالميـن ليعلم المعتبـر أن الظـلم هو سوس المدنيات فيقيم العـدل ، وإذا جـاء العـدل جـاء العمـران ، وإذا جـاء العمران قامت المدنيـة وكان العـدل سياجها وهـذه هي مدنية الإسـلام " [2]. فالحديث هنا يدعـوا إلى ما يرشدنا إليـه القرآن الكريم وهو الوقـوف على تاريخ الأمم البائـدة، وأثـرها الذي أندثر، وزال نتيجـة إقامتهـا الحكم على الظلم والطغيان ، المؤدي فـي الأخير إلى تخريب عروشهـا، وحضارتـها التـي أقامـتها وحقت عليهـا لعنـة الله إذ يقـول فـي كتابه العزيـز :{ **وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أُوْلَـئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَى رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الأَشْهَادُ هَؤُلاء الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى رَبِّهِمْ أَلاَ لَعْنَةُ اللّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** } [3].

وعلى هذا الأساس يمكن أن يتخـذ الفرد من تلك الحضارات المندثرة عبـرة تجعله يستعيد رشده ،ويتعض من تلك الأحداث الحضارية ، ويحاول أن يصلح من أمره ، وذلك بإقامة العدل ونشره ؛ لأنه أساس بناء الحضارات أو المدنيات التي ينشـدها الإسـلام ، مثـل ما هـو وارد في القرآن الكريم وفي قولـه تعالـى :{ **إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ** } [1].

---

1- لقمان : 13 .

2- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 260/1.

3- هود : 18 .

ونجدفي هذه الآية عدة عظات أخلاقية يحث فيها القرآن المسلمين إلى التمسك بها ولكن ما يهمنا هنا في هذه الآية هو الدعوة من القرآن الذي يعنيه الإبراهيمي لإقامة العدل من الحاكم المطلع على تقصير الحكام الذين سبقوا ، ولم يرفعوا الظلم ، فباءوا بغضب من الله وكانت عاقبة أمرهم هو الزوال ، فصاروا عبرة لمن اعتبر ، فرفع الظلم والجور كما يذكر ابن باديس عن " الذين يحترمون الإنسانية في جميع أجناسها وجميع أديانها ويرحمون الضعيف وينصرون المظلوم ويقاومون الظلم والاستعباد " [2].
لأنهم أدركوا مغبة الظلم وفهموا قوله تعالى : { **وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُم بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ** } [3].
ومعنى الآية أن الظلم منبوذ ومرفوض ، لذلك فإن الله لا يعين صاحبه على الوصول إلى أهدافه الظالة، ولن يكون له ناصر لأنه عاث في الأرض فسادا .
وأصبح من ذلك الصنف الذي ينعته العربي التبسي من الاستبداديين المتمثل في الاستعمار الفرنسي قائلا : " ولقد حاربت قوانين الظلم وإدارة الطغيان المدارس ، والدين واللغة

---

1- النحل : 90.
2- محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس بن باديس ، ص101.
3- الحج : 71.

وقصدها من ذلك ، أن تهدم منا العزم ، وأن تنفر منا الغني ، والقائد ، والباشاغا والموظف .ولقد وصلت إلى بعض غرضها في غير فل للعزيمة الصادقة . وما بقي هنا ومعنا إلا أهل الله أهل الجنة إن شاء الله " [1]. الذين يعتمدون على قوله تعالى : {**وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ**}[2]. ومعنى الآية أن أولئك الظالمين يعتقدون بأنهم الأعلون ، ونسوا أن هناك من هو أعلى منهم ، يعلم خائنة الأعين، وما تخفي الصدور ، وأنه سيقتص منهم طال الأمد أو قصر .

ويضيف العربي التبسي في الشرح والتوضيح عن ذلك الاستعمار الفرنسي المعتدي على أناس أبرياء همهم الوحيد هو أن يكون لهم كيان بشري في وطنهم المسلوب لذلك فهو يقول : " والحق إن هذه الدولة أقترفت في العصر الحديث ما لم يقترفه فرعون في القديم "[3]. مصداقا لقوله تعالى : { **إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ** }[4].

فالحقيقة والواقع أن الدولة الفرنسية في الجزائر السليبة ، قد فعلت في الشعب الجزائري أكثر مما نسب إلى الطغمة العاتية التي فرقت ، وشتت الأهل والأقارب ، وأن تصرفها ذلك يتمثل في تصرف فرعون الذي كان من المفسدين في الأرض .

---

1- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية ،جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي ، 193/1.

2- إبراهيم : 42.

3- المرجع السابق ، 193/1.

4- القصص : 4.

ثم ينتقل بنا العربي التبسي إلى عرض قيمة الظلم في مرحلتنا الحالية قائلا : " والظلم اليوم بغيض إلى كل الشعوب والأمم ، ويكفي الظالم خذلانا وفضيحة أنه لا يستطيع أن يسمى منكراته وموبقاته بأسمائها الحقيقية . بل يضطر إلى إعطائها أسماء مستعارة قد تكون أضداد أسمائها الحقيقية " [1]. نلاحظ على المعتدين اليوم يخفون سيطرتهم على الضعفاء بمسميات فلسفية أو قل إن شئت سياسية تحت ستار نشر التقدم والحضارة الزائفة ، القائمة على الظلال والتظليل . ناسين أو متناسين قول الله تعالى : {**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ**} [2]. ومعنى الآية أن كل ما بني على باطل فهو باطل . لذلك جاءت الآية تحرم كل أعمال الرذيلة البارزة منها أو المستترة ، لأنها تجر على فاعلها الويل والثبور .

ويذكر الإبراهيمي في حديث له مستغربا من ذلك الاستعمار الفرنسي بالجزائر الذي نصب نفسه هو الحاكم وهو المحكوم . في قوله " وإنه - والله – لوضع غريب ، وقبيح أن يكون الحاكم الفرنسي هو المشرع والمنفذ والمرجع في كل شيئ وأن يكون المسلم الجزائري من هذا الوضع في دائرة مفرغة ، يبتدئ من حيث ينتهي وينتهي من حيث يبتدئ ، ويشتكي من الظلم إلى الظلم " [3]. هذا هو الوضع الذي عاشه الشعب الجزائري أثناء الاحتلال

1- العربي تبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية ، جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي ، 197/1.

2- الأعراف : 33.

3- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر، 183/2.

الفرنسي ، ثم يضيف االإبراهيمي على الوصف السابق قائلا : " أراد في الأول أن يظلم النـاس ولا يتظلمون وأن تبسط يداه فيهم بالضر والشر ولا يتكلموا ، وأن تكون آية الحق منسوخة لأجله " [1]. تلك هي الحقيقة التي ارتضاها المستعمر لنفسه ، وأن يكون السكان الأصليون عبيدا له ، يسلط عليهم كل أنواع العذاب والذل والهوان والاستبداد.

ولم يترك فرصة للين والرحمة ، كما يصفه ابن باديس في حديثه بأن : " الجانب الذي يظلم ويجد المظلوم معه متنفسا لشكواه خير وأشرف من الجانب الذي يظلم ويخنق ويبكم الأفواه ويكسر الأقلام ولا يعرف ظلمه إلا بما يتسرب – غيضا عليه- من أفواه الباكين والمشردين والاستعمار كله شر ولكن في الشر ما يختار "[2].

ذلك هو الواقع المعاش بالجزائر ، وذاك هو الاستعمار المستبد بالشعب الجزائري ولكن الله لن يخلف وعده ، من ذلك ما جاء على لسان نبي الرحمة عليه الصلاة والسلام [3] : " **إنَّ اللَّهَ لَيُمْلي لِلظَّالِم** " [4]. فَإِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْ ثُمَّ قَرَأَ قوله تعالى : { **وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ** } [5]. ومعنى هذا أنه جلت قدرته لا يمهل الظالم ، والدليل على ذلك إزالته لقرى كاملة نتيجة لظلم أهلها

---

1- المرجع السابق ، ص465 .

2- محمد الطاهر فضلاء ، قال الشيخ الرئيس عبد الحميد بن باديس ، ص375 .

3- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص315 .

4- أي : ليمهله ، أي لم يخلصه من العذاب .

5- هود : 102 .

وذويها وجورهم ، وإن عقـابه سبحانـه وتعالـى أقـوى وأعظم ، جـزاء بما فعلوا مصداقـا لقولـه تعالـى : {**وَجَـزَآؤُا سَيِّئَـةٍ سَيِّئَـةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَـا وَأصلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اَللَّهِ إنَّـهُ لاَ يُحِبُّ اَلظَّالِمِيـنَ ، وَلَمَنِ اِنْتَصَرَ بَعْدَ ظَلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَـا عَلَيْهِـم مِّـنْ سَبيـلٍ، إنَّمَـا اَلسَّبيلُ عَلَـى اَلذِيـنَ يَظْلِمُـونَ اَلنَّـاسَ وَيَبْغُـونَ فِـي اِلاَرْضِ بِغَيْـرِ اِلْحَـقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**}[1]. ومعنـى ذلك أن القرآن الكريـم يدعو إلـى الدفـاع ، والاستماتة من أجل الحفـاظ على الكرامة الإنسانيـة والحث على معاقبـة الظالم بمثله ، متى وقع الاعتداء ، ومـن مال إلى العفو ، فلـه جزاءه عند الله .

وأما من أراد دفع الظلم عن نفسـه ، وانتصر بعد ذلك ، فعليـه بالتوقـف عند حد الانتصار ، دون مواصلة العقاب ، وأمـا عن الذيـن يستمـرون فـي الاعتـداء ويفسدون في الأرض بغيـر موجب شرع ، فأولئك جزاؤهـم عند الله العقـاب الشديد ، جزاء بما كانوا يعتـدون .

---

2- الشورى : 40-42.

# الفصل الثـاني

## أثر القرآن الكريم في المعجم اللغوي

**تمهيـد:**

القرآن الكريـم هو الكتاب المنـزل من الله سبحانه وتعالى على خاتم الأنبيـاء محمد رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، " منجمـا في ثلاث وعشريـن سنـة " [1]. لكي يكون من السهل استيعابـه من طرف المسلميـن ، ويستعدون لتقبله ، دون كلل أو ملل منه ، نتيجة لما يتضمنه من توجيهات تربوية وأخلاقية عالية ، نزولا عند قوله تعـالى : { **وَقُرْآناً فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلاً** } [2]. حقا فالقرآن يعتبر المعجزة الكبرى الخالدة مصداقا لقوله تعالـى : { **إِنَّـا نَحْنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْرَ وَإِنَّـا لَهُ لَحَافِظُونَ** } [3]. أي أنه بـاق إلـى أن يـرث الله الأرض ومن عليهـا مـن الإنـس والجـن دون تحـريف أو تصـحيف ، فهـو الحـق المبيـن والعـدل المنصف ، مصـداقا لقولـه تعـالـى : { **لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ** }[4]. إنه طـريـق الهـدى لخير الدنيا والآخرة ، يحتوي على نظم وقـوانيـن حكيمة ورشيـدة ، تصلـح الأمم وتشفيها من أمراضها النفسية والإجتماعية قـال تعـالــى : { **وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاء وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إَلاَّ خَسَارًا** } [5]. أي أنه يحتـوي على دستـور ربـاني يـفوق كل الدساتير البشريـة لأنه صادر من الحـق ورب العرش العظيم

---

1- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الاسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط:10 ، 1986 25/2 .

2- الإسراء : 106.

3- الحجر: 9

4- فصلت : 42 .

5- الاسراء: 82.

الذي قـال : {**وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِـي الآخِرَةِ إِنَّـا هُدْنَـا إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاء وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَـا لِلَّذِيـنَ يَتَّقُـونَ وَيُـؤْتُـونَ الزَّكَـاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَـا يُؤْمِنُونَ** }[1]. وقد كان للقرآن الكريـم أثـر عظيم وبالـغ الأهميـة ، إذ أنه وحد العرب على اللهجـة التي يغلب طابعهـا على جل القبائـل الشماليـة في الجاهليـة . ألا وهي لهجـة قريش ، التى نزل القرآن الكريـم على لسان حالها، ومحـا الفـوارق التي تقف حائلا ضدها وبذلك كملت لهـا السيادة على اللهجات الأخرى. نتيجة كثرة التلاوة آنـاء الليـل وأطراف النهار . " وأخذت هذه اللهجـة تعم بـين القبائل الجنوبية متغلغـلة في الأنحـاء الداخلية التي كانت لا تزال تتكلم الحميـرية . ولما فتحت الفتوح ، ومصرت الأمصار أخذت لهجتـه تسود فـي مشارق العالـم الاسلامي ومغاربـه . إذ كانت تلاوته فرضا مكتوبـا علـى كـل مسلـم" [2]. وهو ما يستشف من قوله تعـالى:{ **أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا**} [3]. أي أنه يجب أن يقـرأ القرآن قـراءة مسترسلة وواضحة وإخراج الحروف من مخارجهـا الحقيقيـة ليسهل فهمـه على السامع والمتلقـي أيضـا ، وجـاء قوله تعـالى : {**وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ، قَـالَ رَبِّـي لِمَ حَشَرْتَـنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيـرًا ، قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى**} [4].

---

1- الأعراف : 156.
2- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الاسلامي ، 31/2 .
3- المزمل : 4 .
4- طه : 124 -126.

أي أن من لم يـهتـم بالقرآن الكـريم ، وأعرض عنـه ، فإنـه سيكـون من الخاسريـن فـي الدنيا والآخرة بسبب هجـره للقـرآن الكريـم وعـدم الاهتمام بـه ، لذلك " تحـول المسلمـون في جمهورهم إلى حفظـة القرآن ، يتلوه كبيرهم وصغيرهم ممـن سكنوا منهـم الصحاري البعيـدة ورؤوس الجبـال ، مما جعلهم ينطبعـون بطوابعهـم اللغويـة " [1]. هذا نتيجة لتلك الدعـوة القرآنية التي حفزت المسلميـن إلى التوجه إليـه ، والتمسك به ، والإهتداء بهديـه لأنه نور المتقيـن ، وشفاء المعتليـن ، ونصرة للمضلوميـن ، وسبيل خير المؤمنـين .

ومما لا شك فيـه أن الأدب العربـي لم يكن أقل حظا من هذا التأثـر بالقرآن الكريـم الذي قدم له الكثير والكثير مما يفتقر إليه أولئك الكتاب والخطباء والشعراء من فصاحة وبلاغـة وبيان ، التي تعضد أقوالهم ، وتجدد أفكارهم ، وتبهر أسمـاع غيرهم ، وتذهل عقول أعداء الإسلام والمسلمين ؛ لأن " كـلام الإسلاميين مـن العرب أعلى طبقة فـي البلاغة وأذوقها من كلام الجاهلية في منثورهم ومنظومهم...ومحاوراتهم والطبع السليم والذوق الصحيح شاهدان بذلك للناقد البصير بالبلاغة والسبب فـي ذلك أن هؤلاء الذين أدركوا الإسلام سمعوا الطبقة العالية من الكلام فـي القرآن والحديث ، الذين عجز البشر عن الإتيان بمثليهما لكونهما ولجت في قلوبهم ، ونشأت على أساليبها نفوسهم ، فنهضت طباعهم وارتقت ملكاتهم في البلاغة على ملكات من قبلهم من أهل الجاهلية ممن لم يسمع هذه الطبقة ولا نشأ عليهـا"[2] .

---

1- شوقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، 31/2 .
2- ابن خلدون ، المقدمة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط : 5 ، 1984 ، ص579-580.

وفـي خضم هذه الفترة التـي يتحدث عنها بـن خلدون ، والتــي تعـج بالبحـوث اللغويـة والبلاغيـة في القرآن الكريم ، والأساليب والمعانـي القرآنية ، نلاحظ عدم وجود كتابة أو مؤلف يفـرد لدراسة أثـر القرآن في الأدب العربي القديـم سواء تعلق الأمر بالشعـر أو بالنثـر .

أما بعد هذه الفتـرة التي تسمى بعصر النهضة الحديثـة فلم يكن في وسع الأدبـاء والكتاب الوصول إلى إحداث شيئ جديد يخـص دراسة الأثر القرآنـي في الأدب العربي الحديث ، الذي يفتقر إلى هذه الدراسة ، التي لا شك أنها تعضده ، وتضفي عليه هالة من التقديـر ، والرونق والحيـاة الفنية لما يشتمل عليه من الامداد الذي لا ينضب .

وإذا ما حاولنا المقارنـة بين ما كتب قديمـا فـي النثر، وما قيل فـي الشعر القديـم نجد أن لهما علاقـة التقارب في الأخذ من النبع الذي لاينتهي ، ولا ينقص منه شيئا ، ألا وهو القرآن الكريم والحديث النبـوي الشريف ، الذي بهما يستقيـم عمل كل أديب تمسك بمدارستهما وتفطن للضعف الذي يصيب كل من يهجرهما ، سواء تعلـق الأمر بالإعجـاز البيانـي ، أو باللغـة أو الأسلوب الفني الخلاق .

مما سبـق ذكره نستطيع التطرق إلى الحديث عن الأثـر الفنـي للقرآن الكريم في النثـر الجزائري الحديث ، ولكن قبـل ذلك لا بد من الحديث عن اللغـة لأنها هي اللبنـة الأساسية لكل تشكيـل.

1- **1- اللغــة :**

إن اللغـة هي أهم وسيلة اتصال بين بنى البشر ، كما أنها أداة تفكيـر يستطيع الإنسـان بو اسطتها نقـل إحساسه وشعوره إلـى غيـره " فـاللغـة وظيفـة عضويــة فـي الإنســان وهي كذلك أساس طبيعي للفضائل والصلات الإجتماعيـة والسياسية . ووحدة اللغـة الكلمات وهي بمقاطعها نتيجـة لحركة صوتيـة ، ولكن هذه الحركة الصوتية في الحقيقـة عملية عقليـة ، إذ مجرد نطـق الكلمة يدل على شــيء ما ، فيحدث في الفكر حركة ما . وهذه الكلمات رموز لمعانــي الأشيـاء ، أي رموز لمفهوم الأشيـاء ، الحسيـة أولا ، ثم التجريديـة المتعلقـة بمرتبـة أعلى من الحـس " [1].

فاللغة لها دور فعـال في التواصل ، والترابط بيـن أفراد البشر " ومن ثم تظل اللغـة دائما أوضح وأقـوى وأدل ظـاهـرة تتجمع فيها كل سمات الوجـه الحضاري الذي تعيشه الأمـة وليس مبالغة أن يقـال : إذا أردت التعرف على الإطـار الحضاري لشعب من الشعوب في زمـن من الأزمان ، فادرس لغته ، ففي عروق اللغة – إذا صح هذا المجاز- يعيش نبض العصر" [2] وهو ما يستدعي من الباحث الاطلاع على اللغـة لأنها هي التي تمـده بالمعلومات عن الحيـاة النفسيـة للكائن الإنساني ، الذي يـؤدي بعدها إلـى إكتشاف جانب لا يستهـان به من المدلول اللغوي لذلك قيل عنهـا إنهـا " رمــوز لحالات نفسيــة ، هي مادة الفــكر ، فالصــوت اللغـوي وظيــفـة

---

1- غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة والعودة بيروت لبنان ، د-ط ، 1973 ، ص41 .

2- عز الدين اسماعيل ، الشعر العربي المعاصر ، دار العودة بيروت لبنان ، ط:3 ، 1981، ص175 .

عقلية لها دلالاتها على الكلام النفسي الداخلي . وهذه الحالات النفسية التـي تثيرها اللغة ليست فردية محظة ، بل هي وضعية اصطلح عليها ، فمعانيها المشتركة بين الناس هي التي تعطيها كل قيمتها اللغويـة " [1].

ولهذا نلاحـظ عدم التجانس في التعامل مع الرمـوز ، لأن تلك الحـالات النفسية التي تنتاب الناس ، ليست منسجمة حسب المستويـات التـي تبعث علـى انتقاء الرمز المعبـر عنـه ويعد الكتاب والمؤلفـون والشعراء من الذيـن كانت لهم الأولويـة والسبـق فـي استغلال الرمـوز للوصـول إلـى الغايـة المنشودة لإدراج اللغـة فـي المكانة التـي تجعلها لغة التعبيـر الـتربوي الهادف الذي يـؤدي إلـى أسباب النجاح .

ومن هذا المنطلـق "يولـي الدارسون والنقاد أهمية كبيرة للغة ومكانتها في العمل الأدبي باعتبارها العنصر الأول في كل عمل فـني يستخدم الكلمة أداة للتعبير ، وهي باعتبارها أول شيء يصادفنـا ، وبالتالي أول شيئ ينبغي علينا الوقوف عنده عندما نتحدث عن الأدب"[2].

وبذلك يكون التفكيـر بالكلمات التي يرتكز التعبيـرعليها، على أساس أنها عبـارة لرموز ما لأنها " فـي الواقع رموز لتجارب أفادها الإنسان بالحس. والذاكرة تحتفظ بمجموعة التجارب الحسية. وهذه الذاكـرة تـتوافر فــي الإنسـان " [3]. الـذي أمـده الخالـق بصفــة تميـزه عـن غيـره

---

1- غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص41 .

2- محمد ناصر ، الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الاسلامي، بيروت لبنان ، ط :1 ، 1985 ، ص275 . نقلا عن الدكتور : عز الدين اسماعيل ، الأدب وفنونه ، ص31 .

3- محمد غنيمي هلال ، النقد الأدبي الحديث ، ص41 .

من باقي المخلوقات ألا وهي العقل الذي يميز به الأشياء بعضها عن بعض ، دون الوقوع في الخطأ أو الزلل " لأن المقياس الذي يرجع إليه في الحكم على اللغة وصوابها قد يرجع إلى طبيعة الأشياء في العلوم ، أو إلى المقاييس المنطقية التي يهتدي إليها المنطق . أو إلى أسس الفن كما يهدي إليها العقل السليم . وطريق الإهتداء إلى الحكم الصحيح هو تحليل اللغة بما يتضمن تحليل الكلمات وتحديد معانيها ، والبحث في الجمل وصحتها بوصفها بنية رمزية للحقائق . وكذلك تحليل الفكر كما هو مدلول عليها في اللغة " [1].

واللغة في حقيقة الأمر هي التي تهدف إلى ربط العلاقة بين الأفراد ، وتستمد حياتها عن طريق التعامل واستخدام الأدباء لها ، وبذلك يحصل لها نوع من التحديد الفكري المتميز سواء تعلق الأمر بالمفردات اللغوية أو غيرها ، لأن المجتمع الخالي من وسائل الحركة والتجديد والاقتباس والتنسيق مع المصادر الأساسية ، فإنها تصير لا محالة إلى الجمود أو الانقراض أقرب .

ولمحاولة فهم خصوصية ارتباط اللغة بالفكر نجد أن " العلاقة بين اللغة والفكر وطيدة فاللغة تقدم للفكر تعاريف جاهزة ، وتصف الأشياء بخصائصها حتى لا تتداخل مع غيرها وتساعد المفكر في عمله ، إذ تزوده بصيغ وتعابير معروفة ، وتضع تحت تصرفه أساليب مدروسة" [2].

---

1- المصدر السابق ، ص44 .

2- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، الشركة الوطنية للنشر الجزائر، ط : 2 ، 1980 ص78.

ومن هذا المنطلق يتبين الترابط الواضح بين اللغة والفكر وما تقدمه للمفكر من مساعدة لأداء مهمته الأدبية وما ينتابه من " رحلات نفسية متطورة مستمرة وتجارب شعورية متجددة ولهذا لا يمكن للغة أن تبقى جامدة والحياة في تطور ، ولا أن تكون دائما قوالب جاهزة إنما يقوم هو بعملية تطوير وابتكار ، يتناسب مع تطور مشاعره وتدفقها " [1] .

وهكذا نجد أن فضل اللغة يبدو في الكلمة التي كانت في البدء " الفكرة وهي الثقافة وهي المعرفة ، وهي المهارة ، بل كانت " الكلمة " هي التي ترفع عارفها إلى مكان الصدارة وتخفض جاهلها إلى الدرجات الدنيا من سلم المجتمع " [2].

ولذلك يفترض على الكلمة لكي تقوم بالمهمة المنوطة بها ، أن تكون هي المعبرة عن الرمز اللغوي الدال على المعنى ، وأن يكون الكاتب من المطلعين على أسرار اللغة ، والكشف عن خفاياها، ليكون من السهل عليه التعبير عن مشاعره ، حسب ما تقتظيه الحاجة الملحة ؛ لأن " الذي لم تسلم إليه اللغة أسرارها لأعجز من أن تثير أي حالة شعورية " [3].

ولكي يبلغ المرء مجدا لا بد من أن يحسن ما يقول ؛ لأن : " جمال الكلمة ذاته مفتاح للأبواب المغلقة ، يفتح الطريق إلى مناصب الدولة ، ويفتح الخزائن بالرزق الغزير. كان يكفي لصد الرجل عن قضاء غايته ألا يكون موهوبا بالنطق الجميل ،... ويقول عمر بن عبد العزيز

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص 128 .

2- زكي نجيب محمود ، تجديد الفكر العربي ـ دار الشروق ، بيروت لبنان ، ط : 7 ، 1982 ، ص230 .

3- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، ص 128 .

في هذا " إن الرجل ليكلمنـي في الحاجـة يستوجبها فيلحن فأرده عنها ، وكأنـي أقضم حب الرمـان الحامض ، لبغضي استمـاع اللحن ، ويكلمنـي آخر فـي الحاجـة لأستوجبها فيعرب فـأجيبـه إليـها إلتـذاذا لـما أسمـع مـن كلامـه "[1].

لكل ذلك يستوجب من الكاتب أن يولي عنايتـه واهتمامه بسلامـة اللغـة ، ولأفكارها الهادفـة ، ذات المغزى الحقيقي التي يكون مصدرها التعبيـر بالكلمة التي لا تنفصل عن عمليـة التفكيـر ذاتها ، الذي قـال عنها : " دي تراسي " " إن تكويـن الأفكار وثيـق الصلة بتكويـن الكلمات ، فكل علم يمكن رده إلى لغـة أجيدت صياغتها ، ومعنى قولنـا عن علم معيـن إنه تطور وتقدم ، هو أن ذلك العلم قد ضبطت لغتـه ، لا أكثر ولا أقل ، ضبطا يتم إما بتغييـر ألفاظـه ، وإمـا بأن يجعـل الألفـاظ القائمـة أدق فـي معانيهـا "[2].

إن هذا الدور الذي تقـوم بـه الدلالـة اللفظية فيمـا يخـص الإقتباس والتضمين الذي لا يعتبر عيبا ، وكذا " تكرار ألفاظ وكلمات ...، إنما المهم هو كيفية إجادة استعمال هذه المفردات والتصرف فيها بما يكفل الأداء الجيد والتعبير الصحيح البعيد عن مزالق التكلف والغموض وطمس معالم شخصيـة "[3].

---

1- زكي نجيب محمـود، تجديد الفكر العربـي ، ص232.
2- المرجع السابق ، ص211.
3- محمد ناصر بوحجـام ، أثـر القرآن في الشعر الجزائـري الحديث ، ص130 .

إن محاولة المقارنـة بيـن لغة القرآن الكريم وغيرها من اللغات الأخرى ، سواء ما تعلق بقـوة_الدلالة المعبرة ، أو ما يتميز به القرآن من الإعجـاز البيانـي والبلاغي ، الذي يعود مصدره إلى ما نلتمسه من الخصائص التـي امتاز بها الأسـلوب القرآني ، و المزايـا التى تتـوافر فيه حيث أصبح له طابعا معجزا في لغتـه ، وبلاغته ، الأمر الذي استرعى وجهـة نظر العلماء فراحوا يبحثـون فيها بيـن مقل ومكثر ، فتوصلوا فى الأخيـر إلى الإعتراف بأنهم عاجزون عن الوصول إلى الأسلوب القرآنى الرفيع ، ولكنهم حاولوا قدر المستطـاع أن يتقربـوا من ذلك الأسلوب ولو على وجـه التمثيل ، وما لا يدرك كله لا يترك أقلـه [1].

ومسحة القرآن مـن ناحيـة اللفظ التـي تظهـر فـي الإتساق والإئتلاف بأسلـوب فائـق لا يمكن أن يضاهيه كلام بشر مهما بلغ مبلغـا يؤدي به إلى توافر عوامل الإبداع [2]، وتتجلى هذه المسحة القرآنيـة العجيبـة فـي نظامه الصوتي وجمالـه اللغوي :

أ- ومعنى نظـام القرآن الصوتي ، هو ما يشعرنـــا بـــه مـن التآلف فـــي حركاتـه وسكناتـــه

ومداتـه وغناته ، الأمر الذي يستدعي الإستماع إليه ، ويجذب النفـوس ، وهو ما لا يستطيع أن يبلغ إليـه أي كلام آخر سواء كان منظومـا أو منثـورا .

---

1- محمد عبد العظيم الزرقانـي ، مناهل العرفـان في علوم القـرآن ، دار الفكر مصر ، 309/2 .

2- المرجع نفسه ، ص309 ، ينظر محمد الصالح الصديـق ، البيـان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائـر 1989، ص234.

ب- جمال القرآن اللغوي : هو ما يسترعي انتباه القارئ أو السامع للقرآن الكريم في وضع الحروف ، ونظام الترتيب للكلمات التي تختلف كل الإختلاف عما تآلف الناس عليه في كلامهم والدليل على ذلك هو إذا تلي القرآن أمامك وسمعت لحروف الكلمات المتلوة على المسامع خارجة من مخارجها الأصلية ، فإنك تحس بنشوة وسعادة تغمرك من جراء ضم هذه الحروف إلى بعضها البعض ، ومن خلال ذلك تلاحظ على هذه الحروف أن فيها ما ينقر وما يصفر وما يخفى وما يهمس ، وهذا يجهر إلى غير ذلك مما هو وارد في علم التجويد [1] . وبعض هذه الخصائص هي :

1- إرضاؤه العامة والخاصة ، وذلك لأن القرآن الكريم إذا تلي على العامة شعروا بعظمته وجلاله ، وفهموا منه حسب مداركهم واستعدادهم . وكذلك الخاصة إذا قرأوه أو تلي عليهم أحسوا بالراحة والثقة التامة التي تثلج صدورهم وتنير قلوبهم بأنوار الإيمان والاستئناس بالله تعالى وأنهم بين يدي كلام ليس كمثله شيئ من كلام البشر [2].

فالقرآن الكريم موجه لجميع الخلق على اختلاف أصنافهم و مداركهم العقلية والثقافية ويؤثر فيهم كافة ، لأنه يخاطب العقل بأدلة واضحة لا تعقيد فيها ، مثل ماهو موجود في تلك البراهين التي يتقدم بها الفلاسفة لإقناع غيرهم [3].

---

1- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 312/2 ، ينظر : ابن الشيخ الحسن سفيان المعجزة القرآنية ، دار الشهاب باتنة الجزائر ، ط : 1 ، 1983 ، ص121-122 .

2- المرجع نفسه : ص113 .

3- بلقاسم بغدادي ، المعجزة القرآنية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر، د-ط ، د-ت ، ص584-585 .

2- إقناعه للعقل والعاطفة معا : لأن القرآن الكريم يتوجه إلى مخاطبة العقل والقلب ونجده يضم في طياته الحق والجمال التي هي غاية لا يرتقى إليها بشر مهما بلغ من العلم . ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى : {**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاء اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ** } [1]. ومعنى هذه الآية أنها تبين الإستدلال العقلي على البعث ، كيف يهز النفوس ويثير العاطفة وكذلك ما جاء في قوله تعالى : {**أَفَلَمْ يَنظُرُواْ إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ، تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ، وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ، رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ** } [2]. نلاحظ في هذه الآية الكريمة جمال ساحر، وإعجاز باهر يشعر به الإنسان ذو العقل السليم ، ويقتنع بتلك الأدلة الواردة فيها [3].

3 - جودة السبك في القرآن الكريم: أي أنه بلغ في هذا المجال أسمى الدرجات بالنسبة لتماسك وترابط أجزائه وتماسك كلماته وجمله وآياته وسوره، مع طول نفسه، وتنوع مقاصده ، وتلوينه في الموضوع الواحد. والدليل على ذلك هو أنك إذا ما أخذت مصحفا وفتحته دون قصد في آية معينة وقرأت ما وقعت عليه عيناك وتأملته تلاحظ عليه أنه

---

1- فصلت : 39 .

2- ق : 6- 11 .

3- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 114/2 .

وحدة مترابطة الأطراف متآلفة الأوصال، ومتساندة الأعضاء، حيث قال فيه جل شأنه [1]: { **وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ، قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ**} [2] .

4- البراعة القولية في تصريفه أوالكثرة الفنية في الكلام ، ومعنى ذلك أن القرآن الكريم يأتى بالمعنى الواحد بألفاظ وطرق متعددة ، وبقدرة عالية تتوقف عندها أنفاس بلغاء البيان وفصحائه ، والبرهان على هذا الأمر واضح لا يغيب عن الإنسان الذكي البصير، لدى تلاوته للقرآن الكريم .

ويمكن الإستدلال " على أن القرآن معجزة بأسلوبه ، إن التأليف في البيان العربي ولد ونشأ وأينع وترعرع في جو القرآن "[3].

هذه بعض الخصائص المتعلقة بلفظ القرآن الكريم التي تبرز لنا التلاؤم الواضح بين الشكل والمضمون والجزالة اللغوية وقوة متانتها.

" إن القرآن الكريم يستثمر دائما أقل ما يمكن من اللفظ ، في توليد أكثر ما يمكن من المعاني : تلك ظاهرة بارزة فيه كله ، يستوي فيها مواضيع إجمالية التي يسميها الناس مقام الإيجاز ، ومواضع تفصيلية التي يسمونها مقام الإطناب ، ولذلك نسميه إيجازا كله ، لأننا نراه

---

1- المرجع السابق ، 2/315-316 .

2- الزمر : 27-28.

3- محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، ص235.

في كلا المقامين لا يجاوز سبيل القصد ، ولا يميل إلى الإسراف ميلا ما ، ونرى أن مراميه في كلا المقامين لا يمكن تأديتها كاملة العناصر والحلى بأقل من ألفاظه ولا بما يساويها ، فليس فيه كلمة إلا وهي مفتاح لفائدة جليلة ، وليس فيها حرف إلا جاء لمعنى" [1].

وعلى ضوء هذا المسلك الذي توصف به اللغة القرآنية التي قيل عنها بأنها :" مختارة منتقاة بما يناسب أغراضها ، وبما يؤثر في النفس الإنسانية ، ويستميلها إلى الإستجابة والإذعان"[2]. و أصبحت اللغة قد فتحت أمام الكتاب والأدباء مجالا واسعا ، في التصرف في أفانين القول المستوفية للأغراض الهادفة ، والإبتعاد عن القوالب الجاهزة والأدوات اللفظية ، التي تثقل من كاهل المتلقي ، واستعابه لها ، نظرا لما تحتوي عليه من الإبهام والإنغلاق.

وتسهيلا لمهمة البحث في مجال إكتشاف علاقة التأثر بلغة القرآن الكريم ، فضلنا أن نقوم بتجزئة هذا البحث إلى عناوين فرعية ليتسنى لنا الوقوف على التأثر ، وما هي الأسس القاعدية التي إستند عليها ؟ .

---

1- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 2/ 326.
- محمد الصالح الصديق ، البيان في علوم القرآن ، ص235
2- محمد عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان في علوم القرآن ، 326/1 .

## 2- أسمـاء القـرآن في النثـر

إن المتتبع لأثر القرآن في النثـر الجزائري الحديث يلاحظ لفظـة " القرآن " ذاتـه ، التي وردت في النصوص النثريـة لكتاب النثر ، التي لم تكن بطبيعـة الحال جديـدة بالنسبة لعصر النهضـة بل وردت منذ عصرصدر الإسلام واستمرت بعده مع مرور الزمـن ، لذلك لم تكن غريبة على كتاب العصر الحديث ، فهم على درايـة وإلمام بمشتقات تلك اللفظة ودلالاتـها.

وعند عودتنـا إلى بعض المصادر اللغوية ، ونخص بالذكر ما جـاء عن الصحاح للجوهري لكلمـة " قرأت " الشـيء قرآنا بمعنى جمعتـه وضممت بعضه إلى بعض ، ومنه قولهم : وما قرأت النـاقة جنينا أي أنهـا لم تضم رحمهـا على ولد .

وفيما جـاء كذلك فـي هذا الصدد : قرأت الكتاب قـراءة وقرآنـا ومنه سمي القرآن . وقال أبو عبيـــدة : سمي القـرآن قرآنا لأنـه يجمــع السور فيضمها ، وجــاء فـي قولـــه تعالى : { **إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَـهُ وَقُرْءَانَـهُ** }[1]. أي جمعـه وقراءتـه ، وكذلك ما جاء فـي قولـه تعالــى: { **فَـإِذَا قَرَأْنَــاهُ فَـاتَّبِـعْ قُرْءَانَــهُ** } [2]. بمعنى قراءتـه [3].

فهذه اللفـظـة المعبـر عنهـا بـالقرآن ومجيئهـا بكثـرة لربـط الصلـة بيـن القرآن والنثر التـي لا تتوقف عند هذه المفـردة بالنسبـة لكتـابـات رجـال الإصلاح فـي الجزائر بطبيعـة الحـال ، فلفظـة

القــرآن وردت فــي العديـد مـن آيــات الـذكـر الحكيـم بأسمــاء أخــرى مـغـايـرة وهــي تهـدف

---

1- القيامة : 17 .

2- القيامة : 18.

3- الجوهري ، الصحاح ، دار العلم للملايين بيروت ، 1948 ، 65/1 .

إلى نفس التسمية كالفرقان ، والذكر ، والتنزيل ، والوحي ، والكتاب ، والنور ، ويذكرها كتاب رجال الإصلاح في كتاباتهم بأنها أسماء للقرآن أو صفات له ، نذكر منها على سبيل المثال ما ورد في الإشادة بتعليم اللغة العربية التي تيسر لنا فهم القرآن الكريم الذي نجد أن عبد الحميد بن باديس يتحدث عن تلك الإشكالية التي تطرح على شكل سؤال يذكر فيه لفظة القرآن قائلا : " وبأي شيء يفهمون هذا الدين ويصلون منه إلى ما فيه من تربية وتهذيب إلا باللغة العربية لغة القرآن العظيم ؟"[1].

وفي الإتجاه نفسه الذي يتساءل عنه ابن باديس ، نلتقي مع الإبراهيمي الذي يشير بأن فهم الإسلام لا يتأتى لنا إلا عن فهم الآيات القرآنية ، مشيرا إلى ذكر لفظة القرآن ، الذي وحد بين الديانات ، واتباع نهج النبي المبعوث من الإله الواحد الأحد في قوله : "وهذا هو الإسلام الواحد متجليا في آيات القرآن . دينا واحدا جاء به نبي واحد عن إله واحد "[2].

وإذا ما انتقلنا من لفظة القرآن إلى غيرها مما ورد عن كتاب النثر في عصر النهضة التي نجدها في خطبة الإفتتاح للدروس العلمية الإسلامية لابن باديس الذى استعرض فيها بعض الصفات التي وصفت بها لفظة القرآن الكريم حيث يقول : " هو الذكر الحكيم ، هو النور المبين هو الصراط المستقيم هو حبل الله المتين ، فمن تمسك به نجا ومن تركه كان من الهالكين "[3].

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 563/3.

2- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 90/1.

3- عبد الحميد بن باديس ، أثار الإمام ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط : 1 ، 1985، 171/1.

تلك هي بعض الصفات التي وصف بها القرآن الكريم مثل لفظة الذكر التي وردت في قوله تعالى : { **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ** }[1]. أي أنه يخاطب سبحانه وتعالى : محمدصلى الله عليه وسلم بعظمة شأنه سبحانه الحافظ لهذا القرآن ، وليس لأحد القدرة أن يزيد فيه أو ينقص أو يبدل أو يغير مهما كان شأنه [2].

وفي الإنتقال من لفظة " الذكر" إلى لفظة " النور" التي وردت في قوله تعالى: { **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** } [3]. أي أنهم اتبعوا ذلك القرآن المنير الذي شرع شريعته المجيدة فأصبحوا من الفائزين بالسعادة السرمدية [4]. التي لا يمكن أن ينالها إلا أولئك الذين هداهم الله لنوره ، والاطلاع على كتابه ، واكتشاف أسراره ، وعظمة شأنه ، وإحكامه ، ورصانة بلاغته ، ذلك هو الكتاب المبين الذي يعبر عنه محمد البشير الإبراهيمي بلفظة الكتاب ويعني به القرآن الكريم الذي جاء بـ : " اللسان العربي فهو لسان هذا الدين الذي نزل به كتابه وهو- يعد-ترجمانه الحاذق الذي نقل الإسلام وما فيه من عقائد سامية ، وحكم غالية

---

1- الحجر: 9.

2- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 106/2

3- الاعراف : 157.

4- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 476/1.

عالية ، وأسرار جليلة وآداب قيمة إلى أمم أجنبية عن لغة هذا الدين ، وأخذهم بها أخذة السحر بكيفية تريهم أن الدين هو اللغة ، وأن اللغة هي الدين فبينما هما دين ولغة إذ هما شيء واحد " [1].

وهذا هو الربط الذي حاول الإبراهيمي أن يقيمه بين اللغة والدين ، ويحاول من خلال ذلك الوصول إلى إستنتاج التوحيد والتماسك بين اللغة والدين ، كما ورد لفظ الكتاب في مثل قوله تعالى : {**وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ**}[2]. ومعنى الكتاب هنا هو القرآن لأن الله يقول للرسول صلى الله عليه وسلم ، وإني أنزلت إليك يا محمد القرآن بالعدل والصدق الذي لا ريب فيه ومصدقا للكتب السماوية التي سبقته ، ومؤتمنا عليه وحاكما على ما قبله من الكتب [3]. كما يذكر الزمخشري بأنه الرقيب على سائر الكتب السماوية لأنه يشهدلها بالصحة والثبات [4].

وبهذه الأدلة الواضحة من القرآن الكريم نجد أنه تصح تسميته بالكتاب وأنه من

---

1- الإبراهيمي ، أثاره ، 35/1.

2- المائدة : 48.

3- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 346/1.

4- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، تحقيق مرسى عامر ، دار المصحف القاهرة ، ط : 2 ، 1977 . 30/2

الصفات التـي أطلقت عليـه لتعبر على أنه هو القرآن الكريـم ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الفرقان وهو النور المبـين وغيرها من الصفـات التي ذكرنا بعضا منهـا ، مما يوصف بـه الذكر الحكيم والذي كان له أثر كبير على أقلام الكتـاب الجزائريين الإصلاحيين ، ويتضح ذلك في المحـاولات التي بادروا بها فيمـا يخص الأسلوب القرآني ومـا يخص مفرداته مثل الصفـة والموصوف التي ظهرت في أسلوب أولئك الكتـاب الإصلاحيـين التي سنتعرض لها فيما يلي :

### 3- الصفة والموصـوف

إن الحديث عن المفـردة القرآنيـة والطابـع الذي طبعت بـه ، يحق لنا فـي عجالة الوقـوف عنـد لفظ الصفـة في القرآن العظيم ودورها في النثر الجزائري الحديث ، الذي حاول فيـه الكتاب أن ينتهجوا تلك الدقة التي لاحظوها في المعنى والوصف الذي يجعل الموصوف أكثرحضورا فـي الذهن والوجدان ، وهو ما يـؤدي إلى أن يكون الوصف جزءا من التلاحم العضـوي فيما يخص التعبير ، ولا يمكن أن يكون وصفا زائدا[1] .ولو وقع الحذف بالنسبة لهذه الصفة لأصبح الموصوف دون جدوى للتأثير فـي الواقع ، وصارغير واضح الدلالة وهو نفس الإتجاه الذي نجـد أن محمد كامل جمعة يذهب إليه في قولـه :"ومن وسائل القوة استخدام الصفات التـي تترك فـي نفس القـارئ أثرا جماليا إلـى جانب قـوة دلالتهـا ، والصور التـي تثيـرها في خيـال القـارئ " [2].

---

1- شلتاغ عبـود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص119 .

2- بوحجـام ، أثـر القرآن ، 154/1 .نقـلا عن محمد كامل جمعـة ، الأسلوب ، مكتبة القاهرة الحديثة، ط: 2 ، 1963 ص82 .

وإذا ما رغبنـا في زيادة الوضوح أكثر بالنسبـة للوصف وكل ذلك نجده لا يخـرج عن التعريف الذي ذهب إليـه من أن الوصف هـو " ذكر بعض الأشيـاء تخص الشيئ وليست ثابتـة على حده ، كما يقـال فـي الدار إنهـا الواسعة أو الضيقـة أو المبنيـة بالحصى والآجر وكما يقـال فـي الرجل الطويـل الأسمر الأقنـى ، وكل هذه الأوصاف لا تأتـي على الحـد بل يشرك الموصوف بهـا غيـره فيها ، ومثل ذلك التجليـة التـي يستعملها الحكام والكتاب فيمن لم يعرفـوه باسمـه وعينـه ونسبـه فيكـون وصفهم الرجل بحليتـه مقنعا فيما يمكـن الإحتيـاط إذا لـم يجدوا سبيـلا إلـى غيـر ذلك "[1].

ونتيجـة لذلك التأثيـر النفسي التـي تتركها تلك الصور فـي خيـال القارئ نجد أن الكثيـر من الكتاب الجزائرييـن الذين تأثـروا بهذا الأسلوب الوارد فـي التراكيب القرآنيـة حاولوا تقليدهـا من ذلك مثلا : خلقـا جديدا ، حسابـا شديدا ، العذاب الشديد ، زبر الحديد ، سواء السبيل والصبـر الجميل ، الصراط المستقيم ، صرحـا سامقـا وغيرهـا ، وهو ما نجـده قد استعمل بكثرة لدى جُل الكتاب الجزائريـين .

إن الوضـع السائد بالنسبة للحياة الاجتماعية والسياسية ، والاستبداد القائم من طرف الاستعمار الفرنسي، هو الذي دفع الكتاب الجزائريين إلى الكتابة والإبداع ، ونشر الثقة في النفس والأمـل في المستقبل ، لأن المعانـاة التي تعيشهـا في حاجة إلى ما يذللها ، ولا يتأتى ذلك إلا بالصبر والتجلد ، وهو المجال الوحيد الذي يـؤدي إلـى الإنتصـــار ، ولأجل ذلك كـان من الأجدر

---

1- قدامـة ، نقد النثر ، دار الكتب العلمـة بيروت لبنـان ، 1982 ، ص22 .

استعمال المفردة في المجــال الذي يخفف عن النفس تلك الحالـة من المعانـاة فكانت لفظـة " الجميل" التي تلائم كلمة " الصبـر" ، لأن هذا التعبيـر هو الذي أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يتمسك به عندمـا يصاب بالأذى من طرف كفـار قريش الـذين يقفـون ضد دعوتـه بالمرصاد فــي قوله تعالـى : { **فَاصْبِـرْ صَبْـرًا جَمِيـلاً** }[1]. لأن جزاء الصبـر الجميل هـو النصر الذي وعده الله بـه على المعتدين.

وكذلك ما جـاء على لسان يعقـوب عليه السلام بعد الاحتيـال الذي صدر من أبنائـه عندما زعموا أن الذئب أكل أخاهم يوسف الذي ألقـوا به في غياهب الجُبْ فالتقطـه بعض السيارة ، وفي هذا ما جاء في قوله تعالى: { **وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**}[2]. لذلك وعد بالتعـويض لـمن اتصفـوا بهـذه الصفـة الفاضلـة التـي لهـا الجزاء الأوفى مـن الله ، والذي عبـر عنه فـي قوله تعالـى : {**قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ**}[3].وفـي هذا دليل على الحث بالألتزام على الصبـر بالنسبة لمن يعاني المضايقة من أعداء الديـن والوطن من طرف المستعمريـن وأعوانهـم ، لذلك نجد الإبراهيمي يـدعوا إلى الإلتزام بهذه الفضيلة لمن أراد تفويت الفرصـــة على الإدعاءات

1- المعـارج : 5 .
2- يوسف : 18.
3- الزمر : 10.

الاستعمارية الكاذبة في قوله : " والصبر الجميل إذ تقولت السياسة . والعزيمة الصادقة إذ ساور البأس " [1]. وهكذا نجد أن الإبراهيمي يرغب المواطنين باتباع المنهج الإلـه الذي يوفى الذي يوفى أصحابه أجرهم.بغير حساب ، وهو عهد تعهد به للذين صادقوا الله على الإلتزام بأوامره ، وإجتناب نواهيه في شتي مجالات الحياة الاجتماعية ولم يتخل كتاب النثر الجزائري عن النعوت القرآنية واستعانتهم بصفاته في رسم معانيه ، ومحاولة تحري الدقة ، وهذا الإبراهيمي يوضح للأفراد من رجال الدين أن يكونوا متحررين من القيود المفروضة عليهم وأن على " الحكومات الإسلامية وجماعة المسلمين لا تكيد لدينها بل تنصح وتسدد وتقارب ولا تختار للوظائف الدينية إلا أصحاب المؤهلات العلمية المستكملين للشروط الدينية ؛ لأن وراء الجميع رقيبا عتيدا من الدين وأمام الكل حسابا شديدا يوم الدين "[2]. بخلاف ما هو واقع في الجزائر في اختيار رجال الدين من طرف حكومة متسلطة ، وأن هؤلاء الرجال ليسوا من الأصناف المرغوب فيهم ، لعدم توفر الشروط المطلوبة ، و اللازمة فيهم .

والإبراهيمي استعمل في نصه هذا كلمة الوصف (الشديد) المقتبسة من القرآن التي جاءت في قوله تعالى:{ **وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا** } [3] .ومعنى الآية الكريمة أن هناك عقابامن الله سبحانه وتعالى للطالين بأنواع من العذاب الساحق من مثل

---

1- الإبراهيمي ، عيون البصائر، 169/1.
2- المصدر نفسه ، 75/2.
3- الطلاق : 8 .

الجوع والقحط وغيره [1]. وهذا الذي جيئ به ليكسب موصوفه وضوحا ودقة وتأثيرا .

وكذلك ما جاء على لسان ابن باديس في مقال له بعنوان " ما هكذا عهدنا أدب صروف " الذي جاء فيه الرد على صروف موضحا له بأن مدينة عاد هي قصة وردت في القرآن الكريم ، وهي قصة واقعية فعلا ، وليست قصة خرافية كما يعتقد صروف وأن الله " كان يخوف العرب أن يحل بهم ما حل بالأمم قبلهم ، ولقد خلت قبلهم أمم كثيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد "[2].

وصفة هذه الجملة أي العذاب الشديد جاءت في قوله تعالى : { **الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ**}[3]. وهذه الصياغة لها أصول قرآنية تكررت في عدة أوصاف قرآنية مثل : (شديد العقاب) و(شديد العذاب) عدة مرات [4].

وهكذا ترد صفات أخرى من مثل : زبر الحديد ، خلقا جديدا ، الصراط المستقيم وهي مما استوحى من القرآن الكريم ، وساعد الكتاب على تضمين مقالاتهم ، وخطبهم مادة لغوية ثرية تتميز بالدقة ، والوضوح في التعبير.

وعن صفة الإنكار والجحود ، والإحباط الذي وقع لأمة الإسلام والمسلمين الذين بلغتهم صور عكسية كما يذكر ابن باديس أن الإسلام صور لهم " تصويرا عكسيامخالفا لحقيقته

---

1- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 402/3.

2- ابن باديس ، حيانه وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 495/3.

3- ق : 26.

4- البقرة : 165 ، المائدة : 2.

فابتعدوا عنه وأصبحوا عالة عليه. فلا بد من مواصلتنا السعي لرفع مستوى هؤلاء المسلمين العقلي والروحي على النمط الذي يرضيه روح الإسلام وبهذا يخلق الله الأمة خلقا جديدا يمكنها من إستعادة مجدها بين الأمم "[1].

ولقدوردت لفظة الصفة والموصوف من طرف صاحب النص التي استمدها من الأسلوب القرآني في عبارة " الخلق الجديد" التي اقتبست من قول الكفار الذين لم يومنوا بأنهم مبعوثون خلقا جديدا بعد موتهم ، وضلوا على ضلالهم يهزؤون بهذا الخبر الوارد عليهم لأن تصورهم بهذا الأمر كان قاصرا ، وأصبح في نظرهم من المستحيل ، قال الله تعالى : { **انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُواْ لَكَ الأَمْثَالَ فَضَلُّواْ فَلاَ يَسْتَطِيعْونَ سَبِيلاً ، وَقَالُواْ أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا** }[2]. و في هذا الآية ما يشير بأن المشركين المكذبين لا يجدون مسلكا إلى الهدى لأنهم لم يؤمنوا بالبعث ، وخاصة إذا ما أصبحوا ذرات مفتتة كالتراب ، ويتساءلون هل سيبعثون إذا ما صاروا إل تلك الحالة من الفناء ، وكان الجواب أن الأمر حاصل ولو كنتم من الأجسام الصلبة كالحديد أو الحجارة في آية أخرى [3].

ويرد الإبراهيمي العبارة نفسها في مقال له بعنوان : "من مشاكلنا الاجتماعية "، وفي فقرة يتحدث فيها عن الشباب الجزائري المثقف بثقافة غيره من أبناء الأمة الإسلامية الذين " قد يزيغ بعضهم الزيغة الكبرى فيتزوج بأجنبية ، ينفق عليها ما ينشىء إبنة عمه

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 495/3 .
2- الإسراء : 48- 49.
3- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 163/2.

خلقا جديدا متعلما مهذبا مدبرا منظما ، ولا نلوم أولئك ولا هؤلاء ، لأن الحضارة الغربية
فسدت أذواقهم "[1]. والتساؤل المطروح هنا بالنسبة لهذين المصلحين بهذه الطريقة التي لا تمت بصله للإنكار الذي تعمده كفار قريش ، بل نجدعكس ذلك تماما ، إذ كان هدفهم هو البعث الجديد الذي من سماته التفاؤل للمستقبل المنتظر من عودة الشباب الجزائري إلى ثقافته الإسلامية التي تربطه بالشخصية الوطنية ، وتحرره من التبعية الثقافية التي أراد المستعمر نشرها في أذهان شباب الجزائر ، الذي حاد أو أوشك أن يحيد. وإذا ما تمعنا النظر في كيفية الأسلوب المتبع في العصر السابق للعصر الحديث ، المتصف بكثرة ألوان البديع الذي أصبح رائجا لدى المثقفين والكتاب ، وأعجبوا به أيما إعجاب من مثل الجناس والطباق والتقابل والتورية وغيرها من الموضوعات البديعية إلا أن ما يلاحظ على كتاب النهضة هو ما إستولى على نفوسهم من تلك الهموم التي حلت بهم وبمجتمعاتهم ، التي جعلتهم يحاولون التخلي عن ذلك الأسلوب المتبع من طرف سابقيهم ، وهو محاولة تجنب الارتباط بالتنميق والتعلق بالشكل والزخرف اللفظي . لأن هذه العناصر البديعية ، التي جاءت في القرآن الكريم إنما كان ذلك من أجل توضيح البيان القرآني .

وهو ما نجده في الوقت نفسه بعيدا كل البعد عن الزخرف والتنميق اللفظي ، مثل ما هو الأمر في التعابير التي وردت في القرآن الكريم التي تحتوي على أشكال بديعية عالية ، انجر عنها
وقوع بعض الكتاب الجزائريين تحت تأثيرها ، كالطباق والتقابل وغيرها مما سنتحدث عنه فيما يلي :

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 324/2.

1- 4- **الطبـاق** :

إن أصل الطباق هو الجمع في الكلام بين الشيء وضده ، لتوضيح الغاية من جهة وتعميق الفكرة و التأثير في المتلقى من ناحية أخرى . وهو من قبل تجاور المفردتين أو تباعدهما .

ولا نقصد بذلك ما ذهب إليه فقهاء اللغة من إطلاق اللفظ على المعنى وضده ، مثل ما هو الأمر في لفظ " الجون " الذي يطلق على الأبيض والأسود ، و " أسر" المتمثل في الإخفاء وضده وغيرها من الألفاظ الواردة في هذا الشأن (1).

وما نحاول إستعراضه هنا هو المقابلة بين اللفظ وضده من لفظ آخر ومجيئهما معا في سياق واحد . ومن ذلك ما ورد في كلمة ألقاها الإمام عبد الحميد ابن باديس بعنوان : " ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان " إذ يذكر أن ما جمع بين الجزائريين هو الدين الإسلامي الذي وحد بين هذا الشعب الأبي منذ عشرات القرون ، وربط بينهم في كل الملمات وجعلهم أمة جزائرية واحدة قائلا :

" إن أبناء يعرب وأبناء مازيغ قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرنا ، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرضا ، وتؤلف بينهم في العسر واليسر ، وتوحدهم في السراءوالضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام ، وقد كتب أبناء يعرب وأبناء مازيغ آيات اتحادهم على صفحات هذه القرون

---

1- علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، ط:7، 192/7.

بما أراقوا من دمائهم في ميادين الشرف لإعلاء كلمة الله ، وما أسالوا من محابرهم في مجالس الدرس لخدمة العلم "[1].

نلاحظ في هذا النص محاولة عبد الحميد بن باديس الرد بالأدلة والحجج المقنعة على من يحاول زرع الفتنة بين أبناء الأمة الواحدة ، حتى يتسنى لهم الاستمرار والبقاء في هذا الوطن الذي لا ينبغى أن يدنس من طرف العملاء وأتباعهم .

أما عن الناحية البلاغية فإننا نجد الكاتب إلتزم بنقل المعاناة التي يعانيها الشعب الجزائري من الفرنسيين ، كما جاء في قوله تعالى : {**شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِيَ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُواْ الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ اللّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**}[2]. ومعنى ذلك أن الله يريد التخفيف بهذه الرخصة ورفع المشقة ، وفي قوله { **يُرِيدُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلاَ يُرِيدُ بِكُمْ ٱلْعُسْرَ** }[3]. فيه من المحسنات البديعية ما يسمى بطباق السلب الوارد في الآية الكريمة التي تقيد بها الكاتب في إستعماله لكلمة التضاد أو التقابل بين كلمتا " العسر واليسر" ، وإن كان الكاتب في نصه قدم العسر قبل اليسر تماشيا مع ما ورد في قوله تعالى : { **إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ، إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا** }[1].

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 483/3 .
2- البقرة : 185.
3- البقرة : 185.

ومعنـاه أن بعد الإحراج والضيق لا بـد وأن يأتـي الفرج وبعد الشدة لا بد وأن يكـون بعـده مخـرج [2].

كما نجد طبـاقا آخر في جملـة : " وتوحدهم في السراء والضراء " ، الذي إقتبسـه الكاتب من قوله تعالـى : {**الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ**}[3]. ومعنى "السراء والضراء " فـي حالة كثرة الخير واليسر وفـي حالـة الشدة والضيـق والعسر ، وفي كلتا الحالتيـن يجب أن ينفقـوا ما استطاعوا عليـه سواء كان ذلك كثيـرا أو قليـلا [4].

ونجد التعبير نفسه ينص على الطباق الذي هو من المحسنات البديعيـة ، وفيما يخص الاقتبـاس من القرآن الكريم الذي تتضمنه النصيحـة التي قـام بتوجهها الإبراهيمي لمجلس الجمعيـة الجديدة في التقريـــر الأدبـي الذي قدمـه أمـام الوفـــود القادمـة من أنحـاء الوطـن الجزائـري من أجل التعـاون والتلاحم ، لإستكمال المسيـرة المقدسة ، ومطالبـة الحقـوق المشروعة لرفـع الظلـم وذلك فـي دعوته :" وأوصيكم بالتضامن في السراء والضراء ، والتعاضـد فـي الأراء والأعمال فـإن التخاذل أول مراتب الخيـبة "[5]. تلك هي الوصية التــي أوصـى بهـا الإبراهيمي مـن ضمـن

---

1- الشرح : 5- 6.

2- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 576/3 .

3- آل عمران : 134.

4- الزمخشري ، تفسير الكشاف ، 200/1.

5- محمد البشير الإبراهيمي ، أثاره ، 355/3.

عدة وصايا تدور جلها حول الأهداف السامية ، ومن جملتها الالتفاف حول التضامن الذي يرسخ القواعد الأساسية لبناء الشخصية الوطنية ، والذود عنها بكل ما أوتوا من حنكة وتدبير وسلامة الذوق لرفع الهمة.

وجاء في نص آخر لابن باديس بعنوان : " الجنسية القومية والجنسية السياسية " وفي الفقرة التي يتحدث فيها عن البرلمان الفرنسي الذي استحوذ على نفوذ الشعب وتسلط على رقابهم ، يدعو فيه الأمة الجزائرية إلى الاستيقاظ من السبات العميق ، والتفطن إلى المكائد التي تحاك ضدهم ، وأن يتوكلوا على ما دعاهم إليه رب الخلق ، وأن يستعملوا عقولهم في كل ما يواجههم ، وما يحاك ضدهم ، من جراء تلك التصرفات السلبية من طرف البرلمان الفرنسي ، حيث يقول لابد " وأن نتحقق أن الموقف الذي يقفه البرلمان الفرنسي ، يوم تعرض عليه المسألة هو الذي يوجه الأمة الجزائرية إحدى الوجهتين فالمستقبل بيده والأمر لله من قبل ومن بعد "[1].

والعبارة الواردة في النص " والأمر لله من قبل ومن بعد " هنا طباق مقتبس من قوله تعالى: {**فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ**}[2].

ومعنى ذلك أن الأمر يعود في كل شيء لله في الأول وفي الآخر ، من قبل الغلبة [2] ومن بعد الغلبة ، وتلك الأيام نداولها بين الناس ، وليس الأمر إلا بقضاء الله وقدره .

1- ا بن باديس ، حياته وآثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 354/3 .

2- الروم : 4.

3- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 471/2 .

وهو ما يدعو الشعب الجزائري أن لا يقنط من رحمة الله جراء تصرفات البرلمان الفرنسي الذي ذكره ابن باديس في نصه ، بل عليه بالسعي بشتى الأساليب والوسائل لإزاحة ذلك التسلط والإستبداد الذي حل بهم وبأهاليهم .

**2- 4- المقابلة :**

والمقابلة هي : " المواجهة والتقابل مثله . ومقابلة الكتاب معارضته "[1]. وهي نوع من الطباق خصص بهذا الإسم لأنه " يؤتى فيه بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يؤتى بالمقابل ذلك على سبيل الترتيب "[2]. والتجاور الذي ينسق الألفاظ فيما بينها؛ لأن : " للعادات اللفظية أثرًا... لا يقل عن ... أهمية ، وهو أنها أحيانا تضع للفكر قوالب وصيغا جاهزة. فلقد يخطر ببالنا فكرة وعندما ننتقل بها من حيز التصور إلى مرحلة التعبير نهيئ لها الكلمة المناسبة . إلا أن تلك الكلمة قد تكون ملازمة لغيرها ، بحيث لا تكاد تفارقها في أكثر ما نسمعه من الأحاديث ، أو نقرأه من المقالات ، فلا نجد مناصا من إستعمالها معا ، حتى ولو أن الفكرة لا تقتضي منها إلا الكلمة الأولى " [3].

ويبدو من هذا الطرح إلتزام الكتاب من الأعضاء البارزين في جمعية علماء المسلمين الجزائريين تضمين نصوصهم عبارات متجاورة على غرار ما ورد في النصوص القرآنية مثل :

1- الجوهري ، الصحاح ، 1797/5.

2- أحمد مصطفى المراغي ، علوم البلاغة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1984 ، ص299 .

3- حنفي بن عيسى ، محاضرات في علم النفس اللغوي ، ص179.

الأمربالمعروف ، والنهي عن المنكر، والضعف والقوة ،والحي والميت، والحياة والآخرة والسراء والضراء، والعسرواليسر...إلخ.واعتمادهم للأسلوب المقتبس من القرآن الكريم الواضح في النثر الجزائري الحديث لدى أولئك الذين ساقهم الله لنصرة المظلومين ، وإحقاق الحق وإبطال الباطل ، والدعوة إلى المساواة والعدل مثل ابن باديس ، والإبراهيمي ، والعربي التبسي ومحمد السعيد الزاهري وغيرهم ممن أنار الله عقولهم بالعلم النافع الذي يعتبر من السلاح المهم لكل أمة.

فابن باديس في خطابه الذي ألقاه في الاجتماع العام لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بنادي الترقي بالجزائر العاصمة ، نجده يتعرض إلى الحديث عن أهداف الجمعية ، بما فيه فريضتي الأمر بالمعروف ، وإحياء ما كان عليه السلف الصالح ، والارتباط بالمنهج الذي جاء به الإسلام الواضح المستمد من القرآن ، وذلك في قوله : " إن جمعيتكم تفخر بأنها قامت بإحياء فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في وقت قل القائمون فيه بهاتين الفريضتين وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هما مرجع الفضائل الإسلامية ومنبعها وقامت بإحياء هدى سلفنا الصالح في وقت طغت فيه البدع والأهواء على ذلك الهدى حتى خيف عليه الإندثار . وأن أول من رفع صوته بكلمة الحق في هذا الوطن وبلزوم الرجوع من بنيات الطريق إلى نهج الإسلام الواضح ، وبوجوب إلتماس الهداية من كتاب الله وما صح عن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وما آثر عن سلف هذه الأمة...، ولهم الفضل يوم مدوا أيديهم إلى بعضهم فأصبحوا أقوياء متعاونين "(1).

1- ابن باديس ، أثار الإمام ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، 164/4 .

وإن ما جد في هذا النص اقتباس واضح مستمد من ثقافة الكاتب المستمدة من الثقافة الإسلامية المرتبطة بالقرآن الكريم ومن ضمنها الآية التي يقول فيها الحق تعالى : { **الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُواْ بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُواْ النُّورَ الَّذِيَ أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ** }[1].

ومعنى الآية أنها تبين صفة النبي محمد صلى الله عليه وسلم في كتب الأنبياء ومعرفته لدى علمائهم وأحبارهم ، وهو الذي يدعو إلى الخير والعمل به ، وتجنب مالا ينفعهم ويضرهم من الخبائث والحيل تخفيفا عنهم من المشقة والأهوال [2].

والمؤكد لدينا في هذا كله أن هناك تقابلا تجاوريا ثنائيا ينتمي إلى المحسنات البديعية المرتبط بالإتيان بالمعنيين ، ثم يؤتى بما يقابله على الترتيب ، وذلك في الاقتباس الحرفي لابن باديس في نصه السابق ، وبالتحديد في جملة : " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " .

وإذا ما انتقلنا إلى كاتب آخر وهو الإبراهيمي نجده يتجه إلى الغرض نفسه الذي يدعو إليه زميله ، وهو المحافظة على الإسلام وإقامة الشعائر الدينية ، والدعوة إلى الحق ، والصبر

---

1- الأعراف : 157.

2- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 476/1 .

- الزمخشري ، الكشاف ، 139/2 .

على المظالم ، والتعــاون في كل الحــالات الطارئـة ، من أجل نصـرة القضيـة العادلة ودفع الظـلم على أبنــاء الأمـة الجزائريـة ، داعيا في حديثـه الذي وجهه إلى أبناء الجزائر الأحرار " حثـوا إخوانكم على إقامـة الفرائض الدينيـة والاجتماعية التي أضاعوها كالزكاة والتآمر بالمعروف والتناهي عن المنكر والتواصي بالحـق والصبـر والمرحمة والتعاون على البر والتقوى والتآلف والتحابب مستندين في ذلك على كتاب الله وحديث نبيه مستدلين بنصوصها على النهج السلفي لجمعيتكم "[1].

وإذا ما تمعنـا جيدا في هذا النص لا نستغرب من أن صاحبه يقتبـس من المصدر الأول والأساسي ، الذي هو القرآن الكريم ، لأنـه كـان من الرجال القلائل الذيـن أنجبتهم أرض الجزائر الملهميـن برجاحـة العقـل وحسن التدبيـر للذود عنها بالكلمـة والقلم ، مثله مثل الرواد الذيـن عايشوه وعاش معهم في عضويـة الجمعيـة الإصلاحية .

والجملة التقابلية المقتبسة من الذكر الحكيم في هذا النص السالف الذكر ، وله علاقة فيما ورد في نص ابن باديس وهي جملة " الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " . فالهدف واحد لكلا الكاتبين ، وهو الالتزام بتوجه الإرشاد والنصح ، لكي يستفيق أولئك المغيبون عن الحياة الواقعيـة بالنسبة لبعض الشبـاب الجزائـري .

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، آثاره ، 180/3.

## 6 - الجمـل

والجملة أو الجمل فـي اللغـة معنـاه كما ورد فـي الصحـاح و اللسـان أن : " الجملة واحدة الجمل "[1]. والجملة جماعة الشيء ، جمعه عن تفرقة ، وأجمل له الحساب كذلك . والجملة جماعـة كل شيء بكمالـه من الحساب وغيـره [2]. قال تعالـى : { **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا**} [3]. ومعنـى ذلك أن هــذا قــول كفـار مكــة الذيــن تسـاءلــوا قـائليـن هل نـزل هـذا القـرآن علــى محمـد دفعة واحدة كما هو الأمر فــي نـزول التـوراة والإنجيـل فجـاء الرد من الله على شبهة الكفـار التافهـة فـي قولـه تعالى : { **كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِـهِ فُؤَادَكَ** }[4]. أي أنزلـه الله على الرسول صلى الله عليـه وسلم مفرقـا ليستطيع قلبك يا محمد علـى تحملـه فتحفظـه وتعمل بمقتضى ما فيـه [5].

والجملـة هي الوحدة المركبة من كلمات منتقـاة من أجل أداء مهمـة الافصاح والتعبير عما يختلـج في النفس من إحساس ، وفي هذا الصدد نجـد أن الرافعي يقول أن : " الجملة هي مظهـر الكـلام وهي الصـورة النفسيـة للتأليف الطبيعـي ، إذ يحيـل بها الإنسان هذه المادة المخـلوقـة فـي الطبيعـة إلى معان تصورها فـي نفيه أو تصفهـا، تـرى النفس هـذه المـادة المصورة

---

1- الجوهري ، الصحاح ، 1663/4.

2-ابن منظور ، لسان العرب ، دار صادر بيروت ، 1992 ، م 611/11.

3- الفرقان : 32.

4- الفرقان : 32.

5- أنظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 362/2.

وتحسها ، على حين قد يراها المتكلم الذي أهدفها لكلامه غرضا ، ولكنه بالكلام كأنه يراها "[1].

ونتيجة لما تتركه الجملة من بصمات لها دلالات الوقع في نفسية المتحدث والمتلقى على السواء وجدنا كتاب جمعية الإصلاح الجزائريين يلجأون إلى الأخذ من القرآن الكريم جملة كاملة لكونها تفيء بالغرض النفسي المرغوب في الكشف عنه ، وفي بعض الأحيان يكون ذلك الاقتباس بسبب الإعجاب بذلك النسيج القرآني ، ومحاولة محاكاته في أسلوبه ، لعل ذلك يكون عاملا مساعدا للإفضاء ، بما يكمن في صدورهم ، ونلاحظ كثرة الاقتباس لمثل الجمل التالية :

والراسخون في العلم ، تعاونوا على البر والتقوى ، الرحمن الرحيم ، جنات عدن عيشة راضية ، رجس من عمل الشيطان ، خذ الكتاب بقوة ، أفاك أثيم ، بأسهم بينهم شديد رجما بالغيب ، العسر يسرا ، وغير ذلك الكثير .

ومن تلك الأمثلة ما نجده بكثرة في نصوص كتابات رجال الإصلاح ، فابن باديس يتحدث في موضوع له عن غلو الصوفية ، في جعلهم الكمال عدم طلب الدنيا والآخره بعنوان : " طلب الآخرة وحدها مذموم في الإسلام "[2]. فيقول :" والمؤمن الكامل من يعرف حق ربه على عباده ، وما شرعه من حقوق بعضهم على بعض ، والقيام في كل ذلك بذكره

---

1- مصطفى صادق الرافعي ، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط:8 ، د-ت ص236.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 52/3.

وشكره وحبه والتوكل عليه والإخلا ص له ، وأعلى مراتب معرفته في الآخرة هو مقام الرؤية بتجلية الأعلى في جنات عدن ، والاشتغال بذكر الجزاء عن العمل الموصل إليه جهل لا علم ولا معرفة " [1].

ففي هذا النص توجه للمؤمن الراغب في التقرب من خالقه ، وأن يعرف ما عليه من حقوق ، وما عليه من واجبات ، وأن يعمل بها بإخلاص متوكلا على الله دون سواه ، وهو ما يؤدي به إلى أعلى مراتب السعادة في الآخرة ، ونلمس في هذا النص تعلق ابن باديس بالثقافة الإسلامية والإعتماد على القرآن الكريم ، ويتجلى ذلك واضحا في اقتباسه من قوله تعالى : { **جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالمَلاَئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ** } [2].

وهدف الكاتب هنا هو إثبات مقام جنات عدن ، وفي هذه الجنات موضع إقامة خالدة يجتمع شملهم فيها مع الصالحين من دونهم من أبائهم ونسائهم وأولادهم ، ليفرحوا بلقائهم ويتم بذلك سرورهم ، وإن لم يكونوا يستحقون هذه المنازل العالية بأعمالهم ويكرمون بجمع شتاتهم وتلاقي أحبابهم ، وهي سعادة ثانية تضاعف سعادة الشعور بالجنان وذلك فضل الله [3].

---

1-المرجع السابق ، ص54.

2-الرعد: 23.

3-سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2058/4.

- انظر الصابوني ، صفوة التفاسير ، 81/2.

وفـي جو هذا التجمع واللقاء يكون اشتراك الملائكة التـي تدخل عليهم من كل باب من أبواب الجنـة ، يقولون لهم : {**سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ** }[1]. أي سلمتم من الآفات والمحن بصبركم فـي الدنيا، وتلك بشـارة بدوام السلامـة لهم.

وكل ما فـي الأمر أن الكاتب يسعى الى تثبيت العقيدة بالإيمان الصحيح الواضح الخالى من الزلل و الأخطاء، التى يحاول أولئك الذين لا يعلمون علم اليقين ما جزاء العمل الصالح الذى يتحصل عليه كل من جد واجتهد ليبلغ عن طريقه المجد العظيم وهو جنات عدن التى وعد بها المتقـون ، ويستمر ابن باديس فى الذود عن حيـاض الإسلام والعروبـة فى الجزائر ضد الفرنسين الذين حلوا بالوطن ومن حذا حذوهم لطمس تلك المعالم التى تنحصر فى بناء قواعد الإسلام وعدم فهمها وتطبيقها كما وصلت إلينا من مصادرها الأساسية ، وهو ماأدى بالإمام ابن باديس أن يتصدى لهذه المحاولات الاستبدادية بكشفها ، وفضحها أمام أعيـن الجميع ليحتاطوا من ممارسة الإستدمار الراغب في تغير الشخصية الجزائرية الإسلامية ، وذلك فى موضوع له بعنوان :"ياالله للإسـلام والعـروبة فـي الجزائـر" [2]. يقول فيه : " سيرى الذين دبروا المكيدة ، والذين لم يتفطنوا لها فشاركوا فى تنفيذها أنهم ما أصابوا بهذه المكيدة إلا سمعة فرنسا فى العالم الإسلامي والعربى، فـي الوقت الذى تنفق فيه الملايين على تحسين سمعتها فيها ومكانتـها عند الجزائـريين فـي أحرج أوقاتـها، وأشدها حاجة إلى الأمم المرتبطـة بها ولا يحيق

---

1- الرعد: 24.

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 243/3.

المكر السيء إلا بأهله ، فهل ينظرون إلى سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا " [1].

يقتبس الكاتب فى نصه هذا جملة تأثر فيها بالقرآن الكريم الذى جاء فى سياق الآية قوله تعالى :{**وَلاَ يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّءُ إِلاَّ بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ سُنَّتَ الأَوَّلِينَ فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلاً وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلاً** }[2]. ويقصد الكاتب هنا فى هذه الآية التى لم يجد فى قاموسه ما يكفى ليعبر به عن الواقع ، وما يفي بالغرض الذى ينشده إلا بأسلوب هذه الآية ، التى يقصد من خلالها أن من يرغب فى التنكيل بغيره ، وتسليط المكاره عليه فإنه لامحالة عائد عليه بالوبال ، لأن من حفر حفرة لأخيه وقع فيها كما يقال فى الأمثلة العامية ، نتيجة عدم إيمانهم بسنن الله التى يجب الإلتزام بها ، والخروج عن ذلك يؤدى إلى ما لا تحمد عقباه مثل ما هو واقع للأمم السابقة عليهم ، والتي سلط الله عليها العذاب والهلاك بسبب كفرها وتكذيبها للرسل كعاد وثمود ، لأن أحكام الله فى هذا الوجود لا يحدث لها تحول ولا تبدل ، وليس بإمكان أيا كان أن يغير ما أقره الله على عباده .

وعندما نطلع على ما كتبه الإبراهيمى فيما يخص معالجته للواقع الذى أحدثه الاستعمار الأجنبي من تمزق وتفرق في المجتمعات العربية والإسلامية عامة والجزائر بخاصة ، نجده يقول في مقال عنونه بـــ : " فلسفة الإصلاح الدينى ". قائلاً : " وقد انقرضت تلك الفرق

1- - ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 245/3.
2- فاطر : 43.

وانقرض بانقراضها سبب جوهرى من أسباب التفرق بل مات بموتها شاغل طالما شغل طائفة من خيرة علماء المسلمين ببعضهم وجعل بأسهم بينهم شديدا ، وألهاهم بما يضر عما ينفع"[1] .

ومن الجمل التي وردت في هذا النص التي أقتبسها الإبراهيمي من القرآن الكريم " بأسهم بينهم شديد"، أخذها جاهزة كما وردت في قوله تعالى : { **لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَاء جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ** }[2]. وعلى ضوء ما جاء في هذه الجملة من معنى العداوة الشديدة فيما بين أولئك العلماء وغيرهم الذين يذهبون إلى التفكير فيما يضر، ولا يهتدون إلى ما ينفعهم وينفع الناس جميعا. يتحدث الإبراهيمي في موضوع آخر عنوانه:" فصل الحكومة عن الدين " [3]. ليدافع فيه عن الدين الذي كان ملاحقا من طرف الاستعمار الفرنسي الذي حل بالبلاد لكي يطمس الهوية العربية الإسلامية ، وتبديله بالدعائم التي تثبته وتقوي كيانه في الجزائر من مثل الفرنسة والتنصير ، وفي ذلك يدعو القضاة إلى الإنصاف في الحقوق وأن لا يتعاونوا مع الاستعمار فيما يخص نصرة الحق الذي ينشدونه ،وأن لا ينساقوا وراء أهداف الاستعمار الذي يؤدي بهم إلى الخزي والعار ساعة لا ينفع الندم ، قائلا :

---

1- الإبراهيمي ، أثاره ، 97/1.
2- الحشر : 14.
3- الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 125/2.

"إننـا نريد لقضائنا حرمة ومكانـة ، ونريد لرجاله سمعـة ومنـزلة ، ونغار عليها، وندافع عنهما بحمية وحماسة ، ونطالب بإصلاح القضـاء ثم باستقلاله ، ونرى أنه لا عزة لأمـة إلا بعزة قضائها وقضاتها ، ولكن بعض القضاة كانوا بأقوالهم وأعمالهم عونا علينـا ، وكانواع الاستعمار إلبا على مطالبنا ، وكأنهم ضمنوا لأنفسهم الخلود في هذه الوظائف المهنية ، فاطمأنوا لهـذه (الخبـزة) الذليـلة ، وذاقـوا وبال أمرهم حين يسموا الخسف بالأمس ، وحملوا على خطة الهوان فلم يجـدوا وليا ولا نصيـرا " [1].

يقتبس الكاتب في هذا النـص جملتيـن همـا " فذاقـوا وبال أمرهم " ، ومعناه أن هـؤلاء القضـاة المسانديـن للأفكار الاستبداديـة سيجازون بالعقوبـة الوخيمة على خروجهم على الاستقامة فـي الأحكام القضائيـة التـي أمرت بها الشريعـة الإسلاميـة [2]. والجملـة وردت فـى قولـه تعالــى : { **أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ** }[3]. والجملـة في هذا السيـاق تفي بالعرض الذى يهدف إليـه الكاتب . أما الجملة الثانيـة التى جـاء بها فـي هذه الفقـرة مقتبسا إيـاها من القرآن الكريم هى قولـه تعالـى : { **لايجدون وليا ولا نصيرا**}. التى وردت فى سياق معنــاه قولـه تعالـى : { **وَلَـوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَـرُوا لَوَلَّـوُا الْأَدْبَـارَ ثُـمَّ لَا يَجِـدُونَ وَلِيًّـا وَلَا نَصِـيرًا**} [4]. فالجملــة تكشف عما يهدف إليـه الإبراهيمي

1- المرجع السابق ، 129/2.
2- الصابوني ، صفوة التفاسير ، 392/3.
3- التغابن : 5.
4- الفتح : 22.

من أن هـؤلاء القضاة فى تصرفهـم السـيء مع الأهالـى ، سيأتى يوما يندمون فيـه حين لايجـدون من يتولى أمرهم بالحفظ والرعايـة ، ولا من ينصرهم من عـذاب الله [1].

وفى توجـه لرائد آخر من رواد الإصلاح فى الجزائر ، وهو العربـي التبسى الذى يتحدث فى موضوع لـه بعنـوان ملائم للفتـرة التى يعيـش فيهـا المسلمون عامة ، والمواطـن الجزائرى خاصة الراضخ لمـا يحاك ضده وضد بـلاده مـن إذلال وإحبـاط نفسي عميـق ، وتشويــه صورتــه أمام الأجنـاس البشريـة حيث يقول فيه : " ألا أيهـا النـوام ويحكم هبـوا " الذى يوضح فيـه الأبـعاد الإسلاميـة التـي تحث على العمل الصـالح للبلوغ إلى الإيمـان الحقيـقى ، الهـادف إلى تنبيـه العباد للمطالبة بالحريـة ، ونبـذ إستغـلال الإنسان لأخيـه الإنسان ، موضحا بـأن الرجل الحـق هو ذلك الشخص الذى لا يجـوز لـه أن يسيـر منحنيـا أو منكسا رأسـه ، حيث لايـرى طريقه كالإنسان المنتصب القامـة فى مشيـته ، فيـرى طريـقـه ولا يتعثـر فى خطواتـه ، لأنـه يسير على طريـق واضح المعالم يقول :" وسيان عندى لصحـة المثـل أكانـوا فيما قطعـوا فيـه الأعمار على ظـل من الصواب- وما أبعدهم عنهم- أم كانوا كمن يمشي مكبا على وجهـه وسوف يتردى ، وإنمـا نغبطهم على صحـة العزيمـة ، وشدة التمسك بما تهيـأ لهم أنـه حـق فكأنما أصل هاتـه الأمم مسك ، وأصل أمتنـا طيـن "[2].

---

1- محمد علي الصابونى ، صفوة التفاسير ، 224/3.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة الإسلامية ، جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ، 50/2.

ونلاحظ في إقتباسه لجملة :"يمشى مكبا على وجهه" الواردة فى قوله تعالى: { **أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَى وَجْهِهِ أَهْدَى أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ** }[1]. فالعربي التبسي يذهب فى هذا الشأن إلى نقل روح العبارة ، التى حركت مشاعره وتصرف فيها بالمناسبة التي تشير إليها الآية حرفا ومعنى .

ويتحدث العربي التبسي في موضوع آخر بعنوان : " لقد ضل من كان مثل هذا يهديه" يقصد فيه ابن عليوة وجماعته التى تنصلت عن سنة النبي صلى الله عليه وسلم ورغبت في إضافة أشياء على الدين نتيجة لغلوهم دون الإطلاع عما جاء فيه ، وبالتالي العمل بما فهموه من هذا الدين ، ولكن جحودهم ، ونكرانهم لكل ما يهدف إلى تنوير بصائرهم ، وإرشادهم إلى الحق، ذلك أدى بهم إلى الكشف عن سرائرهم ، وفضحهم أمام الخاص والعام ، ويوضح الكاتب ذلك بقوله : " ففى مجامعهم و مجالسهم لاعالما ولا متعلما لسنة ، وإنما تجد غوغاء تهرف بكلام لا تعرف له وجها، وتتقلب في بدع لوخرج عليهم أحد أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأيقن أنهم من ملة أخرى ، وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون " [2].

يقتبس الكاتب في نصه هذا جملة من آية في قوله تعالى : {**وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ** } [3]. ليدعم بها نصه التي أبت نفسه إلا أن يدعمه بهذه الجوهرة

---

1- الملك : 22.

2- العربي التبسي ، مقالات فى الدعوة الإسلامية ، جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ، 114/2.

3- القصص : 69.

من الذكر الحكيم ، لاعتقـاده بأنــه لا يفي بإحساسه وشعـوره إلا إذا عبـر بهذه الآيــة لأنـها تعبـر عن صنف من مثل هذه الأصنــاف ، لأن الله هـو العالم بما تضمره قلوبهم من العـداوة للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنـون ، وما يتفوهـون به بألسنتهم من الطعـن في شخص الرسـول الأكرم صلى الله عليـه وسلم [1].

وبهذا الأسلوب المتشبع بالثقافـة الإسلامية ، استطاع هؤلاء الكتاب الإصلاحيون أن يبثو ا أفكارهم التحررية ، فـي وسط الشعب الجزائـري الـذي تلقاهـا بشغف ، وأمعـن النظـر فيهـا ، بروح العقل فزودتـه بنـوع من الإحساس الذي جعله يعيـد حساباته فيما مر به ، وما هو فيه من الاستبداد والإذلال والقهـر ، فتفطن بعدها إلى كل ما يحـاك ضده ، فما كان عليـه إلا أن هب للصمود في الميدان للتصدي لكل المحـاولات مهما كان نوعها ، وهو الأمر الذي أدى إلى إفشال الاستبداديين والمستكبـرين في الأرض ، وبعدها ينال حريتـه التي هي بيت القصيد بالنسبة لرجال الإصلاح.

1- الصابوني ، صفوة التفاسير، 424/2.

# الفصل الثالث

## أثر القرآن الكريم في بناء الرمز الفني

### أثـر القرآن في بنـاء الرمز الفنـى

**تمهيد :**

قبل الخوض في الحديث عن كلمة الرمز الفني لا بد من التعرف على معنى الرمز اللغوي الذي ورد عنه في المعاجم اللغوية ومنها "الصحاح" على أنه عبارة عن" الإشارة والايماء بالشفتين أو الحاجب" [1]. أو كل أسلوب أو طريقة تؤدي إلى الفهم أو الكشف عن الشيئ المرموز إليه ، وقد وردت هذه اللفظة في قوله تعالى:{**قَالَ رَبِّ اجْعَل لِّيَ آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالإِبْكَارِ**}[2]. أي أن علامتك على قدر الكلام بالنسبة للناس الإشارة مدة ثلاثة أيام بلياليها مع أنك سَوِيٌّ الصحـة [3].

ومعنى ذلك أنـه : " الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم "[4]. والغرض من هذا يبدو أن المتكلم ينصرف باستعمال " الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء لهم إلى بعضهم ؛ فيجعل للكلمة أو الحرف اسما من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرفا من حروف المعجم ، ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه ، فيكون ذلك قولا مفهوما بينهما مرموزا من غيرهما" [5].

---

1-الجواهري ، الصحاح ، 880/3.
2- آل عمران : 41.
3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 200/1.
4- قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص 61.
5- المصدر نفسه ، ص61-62 .

وللرمز حـالات مختلفـة مـن حيث كونـه مصطلحا أدبيـا يستخدم " كمصطلح فـي المنطق وفـي الرياضيات ، وفي نظرية المعرفـة ، وفـي علم الدلالات ، الإشارات ، ... غير أن فعل الرمز ، ... يوحي بأن فكرة التشابـه بين الإشارة والمشار إليه كانت موجودة في الأصل ، وما تزال تعيش في بعض الاستعمالات العصريـة كمصطلح . فالرموز الحميريـة والمنطقيـة رموز تقليديـة متفـق عليهـا ، غير أن الرموز الدينيـة تقوم على بعض الصلات الداخليـة بين :"الإشـارة" والشيء "المشار إليـه" ، استعارة أو مجـازا " [1].

وهكذا نلاحظ أن الرمز قد أصبح عبـارة عن الأداة للتعبيـر ؛ لأن اللغة العاديـة قاصرة عن القيام بالمهمة المنوطـة بها لاحتواء التجربـة الشعورية ، وإبراز ما في اللاشعور ، دون إعاقـة توافد الأفكـار فـي ذهن القـارئ وتوكيدها ، وبـالرمز تتمكـن اللغـة مـن نقـل التجربة واختراق عالم اللاوعي ، فتتكاثر ولادتها ، وإيحاءاتها ، في معان تتوافد على ذهـن القارئ كالمطـر [2]. وفـي هذا الإطـار الذي يدعم هذه الفكـرة ، ويزيـد فـي الكشف عنهـا أكثر مـا ذهب إليه "مرسيـا إليـاد" الذي يعتقـد أن التفكـير الرمـزي مـلازم للإنسان ، ولا ينحصر فـي تلك الألفـاظ التعبيريـة للطفـل والشاعر والمجنـون ، بـل إنـه : "سابـق علـى اللغـة والعقـل الاستدلالـي . يكشف الرمـز عن بعـض مظـاهـر الواقـع الأكـثر عمقـا ، والتي تتعـدى أي وسيلة أخرى للمعرفــة

---

1- رينيه ويليك أوستن وارين ، نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيـروت د-ط ، 1987 ، ص196.

2- نسيب النشاوي ، مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيـة ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، د-ت ، 1984 ص471 ، نـقلا عن خليل موسى ، اللغة في ميزان الشعر ، ملحق الثورة الثقافي ، العدد : 2 ، 1978. ص471.

ليست الصور والرموز والأساطير إبداعات لا مسؤولة من طرف النـاس ؛ إنها تستجيب لضرورة تقوم بوظيفة تعرية صيغ الكائن الأكثر سرية "[1].

وللتوضيح أكثر نجد أن الرمز يكمن " في التشبيهات والاستعارات والقصص الأسطوري والملحمي والغنائي وفي المأساة والقصة ، وفي أبطالها اتخذه الناس قديما ليبرزوا قيمة الفكرة بواسطة الاستعارة الحسية أو ليخفوها كما هو الشأن عند الصوفيين في الديانات ... ومن غايته كذلك تزيين الفكرة وتجنب الاعتراف الشخصي"[2].

وإذا ما عدنا إلى دور الرمز في القرآن الكريم والهدف منه نلاحظ أن : " في القرآن من الرموز أشياء عظيمة القدر جليلة الخطر ، وقد تضمنت علم مـا يكون في هذا الدين من الملوك والممالك والفتن والجماعات ومُدد كل صنف منها ، والقضائية ، والعصر ، والشمس واطلع على علمها الأئمة المستودعون علم القرآن ... وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه سئل عن الم ، وحم ، وطسم ، وغير ذلك مما في القرآن من هذه الحروف فقال : ما أنزل الله كتابا إلا وفيه سر ، وهذه أسرار القرآن "[3].

---

1- العربي الذهبي ، شعريات المتخيل ، شركة النشر والتوزيع – المدارس- الدار البيضاء ، ط:1 ، 2000 ص204 .

- أنظر ...... 13-14. Mercia eliad . 1952 . images et symboles .gallimard. paris-

2- موهوب مصطفاي ، الرمزية عند البحتري ، ص139.

3- قدامة بن جعفر ، نقد النثر ، ص62 .

وعلى غرار ما تقدم ذكره ، نلاحظ أن هناك محاولـة من طرف النقاد للفصل بين نوعيـن من الرموز همـا : الرمز الموضوعي واللغـوي ، والقصد من الرمز الموضوعـي : هو إحـلال صـورة الرمزية على الشخصيات والأعلام مـن منظور السلوكات الصادرة عنهم ، أو ما اشتهروا به من الفضائل والقيم الرفيعـة التي تؤثر إجابا في فكر الكتاب ، وينعكس ذلك فـي كتاباتهم ، ونخص بالذكر الإعـلام والشخصيات الواردة فـي القرآن الكريم [1]، والرمز اللغوي هو الذي يتنـوع أسمـاء وأفعالا وصفات إلخ ... ويقابلها المدلولات وهي كل ما تشتمل عليه الحيـاة المادية والذهنية والوظيفة الدلاليـة لتلك الرمــوز هي إثارة صور المدلولات لدى السامع أو القارئ .

والرمز اللغوي هو الذي نجده يتميز بسمتين هامتين هما : الإيجاز أو الاختصار من جهة والتجريد من جهة أخرى [2].

وهكذا نرى أن هناك محاولـة من طرف الكتاب لإبــراز بعض الصفات الرمزية مستمدين ذلك من ألفاظ القرآن الكريم ، الذي هو النبع الذي تشبع منه هـؤلاء الكتاب والإصلاحيون .

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن ، 270/2.

2- فائز الداية ، جمليات الأسلوب ، دار الفكر دمشق سورية ، ط :2 ، 1990 ، ص174.

**1- الرمز الموضوعي:**

لقدحاول كتاب الفترة الحديثة من الإصلاحيين الجزائريين ، استلهام بعض السير لأعلام قرآنية ، للتنفيس عن أحاسيسهم ومشاعرهم الفكرية ، والأخذ منها ببعض التعابير التي تقدم أشكالا ورموزا تحمل معان ، وبعدا عميقا ، يتصف بـه هـؤلاء المرموز إليهم ، وسواء تعلق الأمر فـي هذا الشأن برموز الأنبيـاء أو الرسل أو بعض الصالحيـن ، لإتخاذ العبر والإسترشاد بها إلـى الأهداف السامية ، ونبذ كـل ما من شأنـه أن يـؤدي إلـى الإنحطاط ، والتدهور والتفكك الاجتماعي ، وفي صددترسيخ الإيمان ، وإثبات الشخصية، سنحاول التعرض إلى بعض من الشخصيات التي تناولها الكتاب في كتاباتهم ابتداء بشخصية إبراهيم عليه السلام.

**أ- إبراهيم عليه السلام :**

ومن تلك الرموز الدلاليـة ، والأعلام الخالدة ، والعظماء الأجلاء ، الذين وقف عندهم رجال الإصلاح ، وأخذوا من قصصهم كثيرا من الرموز لشتـى المواضيع التي اعترضت إحساساتهم ، ومشاعرهم ، لغرض الكشف عنها ، والإدلاء بأفكارهم البناءة للوصول بأمتهم إلـى إدراك المجالات الحقيقيـة لسبل التحرر والإنعتـاق ، والسؤدد . من ذلك إبراهيم عليه السـلام.

إن لقـصة حيـات إبـراهـيم عـليه السـلام المـميزة بالـعـديد من العبر المـفيـدة ، والعـضات الأخـلاقية السامية ، وكان مـن الـمفـروض عـلى الإنسان الـوفي لـديـنه ، والـقـوي بـإيمـانــه أن يتـخـذ مـن سـيرته الحـميدة سـبيـلا لـلارتـقاء نحــو الـعلى مـصداقــا لـقـولــه تــعالـى : { **إِنَّ إِبْرَاهِـيمَ كَـانَ أُمَّـةً قَـانِـتًا لِلَّـهِ حَـنِيـفًا وَلَـمْ يَـكُ مِنَ الْـمُشْـرِكـيـنَ** }.[1]

هكذا يثبت الله قـوة وعظمة إبراهيم عليه السلام ، وهو أبو الأنبيـاء الذي إمتدحه الله بهذا المدح ؛ لأنـه : " كان نمودجا للهدايـة والطاعة والشكر والإنابـة لله . ويقـول عنه هنا : إنه كان أمـة . واللفظ يحتمل أنه يعدل أمة كاملـة بما فيها من خير وطاعـة وبركة . ويحتمل أنـه كان إماما يقتدى به فـي الخيـر " [2]. وهذان المعنيان " قريبـان ، فالإمام الذي يهدي إلى الخيـر هو قائد أمـة ولـه أجره وأجر من عمل بهدايته فكـأنه أمة من النـاس فـي خـيره وثوابه لا فـرد واحد"[3].

إن إتصاف إبراهيم عليه السـلام بتلك الشمائـل والكمالات التى لانستطيع العثـور عليهـا إلا في شخصية تستمد قوتهـا من إرادة الله ، هو ما استدعى رجـال الإصلاح أن يستلهموا من شخصيته وسيرتـه الفـذه . كل مايتعلق بـالترميـز الذى يحتمل الإيحـاءات التى تستنهض الهمم وتذكي النفوس بـالأفكار التى تميـز بين الغث والسمين وتنـير السبيل المبين ، وتمد الجزائرييـن بـالأضواء التى يستطيعون من خلالها معرفـة كل ما هو مبيت لهم من طرف المعتديـن من الإغراءات لتبعدهم عن تـاريخ أجدادهم وماضيهم التليد ، وسماحة دينهم الإسلامى السليم وأنبيـاء الله المرسليـن.

ولإرساء هذه الصفات الحميدة المميزة لهـؤلاء الأعلام ، التى ما انفك هؤلاء الإصلاحيون يشيـدون بـــها ، ويسعون إلـى غرســها فـي نــفـوس المـواطنــيـن الذيـن خيم على صـدورهم نــوع

---

1- النحل : 120.

2- سيد قطب ، فى ظلال القرآن ، م 4/12-2201/18.

3- المرجع نفسه ، ص2201.

من الضبابية والنسيان للحضارات ، والمعجزات التى جاءت بها الأديان السماوية ، لذلك نجد ابن باديس يشير فى وضوح إلى سر التضحية التى سنها الله للمسلمين على يد إبراهيم عليه السلام قائـلا : " فهذا يوم الحج الأكبر ، والموسم الأشهر جعلـه الله عيدا للمسلمين وشرع فيه ما شرع من شعائـر الدين ، تزكية للنفوس وتبصرة للعقول ، وتحسينا للأعمال ، وتـذكيرا بعهد إمـام الموحـدين وشيـخ الأنبيـاء والمرسلـين إبراهيم الخليل عليه وعليهم الصـلاة والسلام أجمعـين "[1].

ففـى هـذا النـص الذي أشـار الكاتب فيـه إلـى هذا العَلَم الرمزي الجـليـل الـذى استلهمـه مـن قـولـه تـعـالـى : { **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** }[2]. ومـعنـى الخلـة وحيثـياتهـا هـو " أن يـتـبـع أفضـل دين ، وأن يسلم وجهـه لله ، وأن يكون محسنا ويتـبع الملـة وأن يكون حنيفا..."[3]. وهـذه الصفات كانت مشتملـة فى إبراهيم عليه الصـلاة والسلام ، والتى أهلتـه أن يكون شيخ الأنبيـاء والمرسليـن ، وهو ما استدعى أنتباه ابن باديس ليشر إليه فـي هـذه الخطبـة ليتعـض ويتذكـر أولـو الألبـاب ، وينصاعوا إلى ما أمر به الله ، وما أتى بـه الأنبياء والمرسلون ، ليكـون السامعون لهذه الخطبـة قـوة متلاحمـة تدفـع عـن نفسهـا الظلم والطغيـان مثل مـا فعل إبراهيم عليـه السلام ، على الرغم من العـداوة والبغضاء التي لاقاها من قومـه الذين تنكـروا لدعـوتـه وعبدوا الأصنـام دون عبـادة الله الواحـد القهـار .

---

1- ابن باديس ، حياته وآثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 530/3.

2- النساء : 125.

3- محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء ،ص99.

وعلى الرغم من كل تلك المعاناة والمحن التـي لاقـاها إبراهيم عليه السلام من أهلـه لكي يتوقف عن تبليغ الدعوة التي أمره الله بنشرها على أوسع نطاق ، إلا أنه إستمر في توكيد أن ما جاء به هو الحق ، وأن ما يتبعونـه هو الباطل ، ولذلك جاء في قولـه تعالى : { **وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لله وَهُوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** }[1] من بـاب الترغيب في اتباعـه ، لأنـه إمام يقتدى بـه حيث وصل إلـى غايـة ما يتقرب إليه العباد حيث إنتهى إلـى درجة الخلـة التـي هي أرفـع مقامات المحبة فذلك راجع لكثرة طاعتـه لربه كما وصفه بـه فـي قولـه تعالـى :{ **وَإِبْرَاهِيـمَ الَّذِي وَفَّى**}[2] ومعنى ذلك أنـه : " قـام بجمع مـا أمربه ووفى كل مقام من مقامات العبادة ، فكان لا يشغلـه أمر جليل عن حقير، ولا كبير عـن صغير"[3] . وهذا ما كان ابن باديس يـود الإشارة إليـه ليطلـع عليه المؤمنـون من أبناء الأمـة الجزائرية ، ويعملوا به ليرفعوا الغـبن عن أنفسهم والمعانـاة التـي يلاقونـهـا من طرف المتسلطين ، ولا يتأتى لهم ذلك إلا بانتهـاج سبيل هذا الرمز الدينـي وغيـره من الأنبياء والمرسليـن .

وفي هذا السيـاق الذي يشيد فيه رجال الإصلاح ، ويحاولون كلما سنحت لهم الفرصة الترميز إليـه ، محاولـة منهـم لإحيـاء ذلك التـراث التاريخـي الناصـع البياض لدحض تلك التهم والدعايات المغرضـة ، التي يحـاول أعداء الله إلصاقها بأمـة التوحيد ، وبشمس الإسلام المشرقـة على الخلق أجمعيـن.

---

1- النساء : 125.

2- النجم : 37.

3- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 826/1-827.

فهذا الإبراهيمي في حديث لـه عن فلسطين السليبـة ، يحاول أن يستعرض الخضوع والتقاعس المسلط على الأمة الإسلامية والعربية ، التي لا بد لها من أن تستقرئ ماضيها الحافل بالأمجـاد والبطولات ، منذ أن سطع نور الله في أرضه المبلغ عن طريق الأنبياء والمرسلين نجده يتساءل قائـلا : "فكيف لا ينتخى بخيلـه التي وردت المشارف من هـو فـي السر من فهر وفـي الذوائب من قريـش . وما وردت إلا لإنقـاذ تراث الخليل ، من يد الدخيـل "[1] . وفي هذا النص نلمس دعوة الإبراهيمي إلى المحافظـة على الإرث العظيم الذي تركه لنـا إبراهيم الخليـل أي حبيب الله عليـه الصلاة والسلام ، في فلسطيـن التي يقع بها بيت المقدس التي استولى عليها المعتدون من اليهــود وعملاؤهم الذين يعيثون في الأرض فسـادا .

وأن الإبراهيمي في هذه العبارة الأخيـرة استعمل فيها أداة الحصر " إلا " التي خصصت قدوم تلك الكتائب العربيـة الإسلامية لفتح بيت المقدس القبلـة الأولى للأنبياء والمرسلين ومسرى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو ما يوجب على الخلف الصالح من أبنـاء الأمـة الإسلاميـة ، الذود عن هذه الديار التي دنست من طرف هـؤلاء الدخلاء ، لتعود إلـى أهلها الأصليين ، وبذلك يصبح تراث الخليـل محفوظا ، وبهذا يكون الكاتب قد وظف هذا التركيب في عبارة الموصوف للفظة "الخليـل" ويتخلي عن الصفة التي هي " إبراهيـم" عليـه الصـلاة والسلام الـذي ورد فـي قولـه تعالـى : { **وَمَـنْ أَحْسَنُ دِينًـا مِّمَّنْ أَسْلَـمَ وَجْهَـهُ للهِ وَهُـوَ مُحْسِنٌ واتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللّـهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً** }[1] .

1- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 514/2.

دون أن يحدث هذا الأسلوب خللا في المعنى ، بل أضاف إحساسا وشعورا ، وإبداعا بيانيا متنوع الدلالة في التبليغ ، والموصوف المعبر عنه بلفظ "الخليل" الذي يعني بها الشخص المحبوب والمقرب إلى الله . والتلفظ بهذا السياق اللفظي البلاغي يعد مدحا ، وإشادة بعظمة وقدر إبراهيم الخليل عليه السلام.

ب- **قصة يوسف عليه السلام :**

إن لقصة يوسف عليه السلام مكانة سامية في الوجود الإنساني ، وذات أهمية كبرى تجعلها من أحسن القصص الواردة في القرآن الكريم لتميزها عن غيرها من القصص ، واشتمالها على العديد من العبر المتعددة ، الحاصلة من تلك المعاناة المرافقة لمراحل حياة يوسف عليه السلام من ذلك صفة الحسد التي اتصف بها إخوانه .وتمردهم على أبيهم ،وتمسكه بالرفض بالنسبة للحادث الذي انجر عنه إدخاله السجن ، وعملية الصفح عند المقدرة لإخوانه الظالمين والمبعدين له عن أهله ، وهو ما يزال صبيا لا يقدر على إجتياز الصعاب والمحن ، مما جلب عليه الكثير من الويل والأتعاب والعقبات ، في مراحل حياته الأولى وكل ذلك لم يترك في نفس يوسف عليه السلام صورة الإنتقام .

والقصة كما جاءت في القرآن الكريم تتعرض للنفس الإنسانية الزكية في شتى الأطوار والمراحل المختلفة من العمر الزمني ، والعقلي ، والعاطفي ، مما أضفى عليها ثراء هي الطريقة التي جاء بها القرآن وما أسدله عليها من الإعجاز البلاغي الذي أعجز أسلوب البشر [1] .

---

1- النساء :125 .

وبهذه المواقف التي تزخر بها قصة يوسف عليه السلام المتمثلة في رموز تحمل في طياتها فضائل أخلاقية عالية كفضيله الوفاء ، والطهر ، والأمانة ، والعفة ، وغيرها مما استأثر بها رجال الإصلاح الجزائري ، وكانت نمودجا للتفكير الجيد ، والحنكة والتدبر فيما يحيط بواقع الأمة من صور الحياة ، وما يجب أن يتحلى به المؤمنون بالقضية الجزائرية من الفضائل التي تحلى بها غيرهم ، وتستلزم الإحتذاء بها.

وهو ما أدى برجال الإصلاح أن يلجأوا إليه في كتاباتهم كرمز للإقتداء به ، وخاصة عندما تعترض لهم العديد من القضايا المطروحة ، ولا يمكن إيجاد الحلول لها إلا بالإستناد على الرموز التاريخية المميزة بأفكار سامية وتوجيهات سديدة خلاقة ناجحة ، وليس أدل على ذلك إلا ما جاء في قصة يوسف عليه السلام ، وما يذكر أنه رأى رؤيا فيما يرويه يوسف عليه السلام عن أبيه في قوله : "يا أبت إني رأيت ليلة الأمس رؤيا جميلة ضاءت لها جوانب نفسي ، وانشرح لها صدري"[2]، مصداقا لقوله تعالى: { **إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ** }[3] ومعنى ذلك " أن الأحد عشر كوكبا عبارة عن إخوته ، وكانوا أحد عشر رجلا سواه وذلك حين رفع أبويه على العرش ، وهو سريره ، وإخوته بين يديه "[1] ، والشمس والقمر أبوه وأمه .

1- محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء والمرسلين ، ص15.
2- محمد أحمد جاد المولى ومن معه ، قصص القرآن ، ص 58.
3- يوسف : 4.

لذلك ورد عنه تعالى أن يعقوب عليه السلام أجاب إبنه يوسف بعدما قص عليه ما رآه في رؤياه من خضوع إخوته وتقديرهم المعتبر له في ظاهره السجود تعظما له ، فخاف يعقوب عليه السلام أن يذكر يوسف ذلك أمام إخوته ، فيزداد حسدهم على ذلك فيكيدون له مكيدة تضره لذلك جاء عنه في قوله تعالى : { **قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ** } [2].

أي أن يعقوب عليه السلام يقوم في هذه الآية بتوجيه النصح إلى يوسف عليه السلام بأن إخوته إذا علموا بهذه الرؤيا سيحاولون الإحتيال عليه بما يضره لأن الشيطان يوسوسهم ويحاول التوغل في صدورهم ليبث فيها السموم ، والوساوس ، والحيل ، والمكر والدهاء لأن الشيطان هو العدو الأكبر للإنسان ، فهو يحاول دائما البحث عن الحيل التي لا تسمح له ببلوغ تلك المنزلة الرفيعة .

هذا هو الأسلوب المتبع لدى بعض من الأصناف البشرية الموجه إلى سبل الجهل والظلال والهاوية التي استولى عليها الشيطان ، وبث في قلبها صفة من الصفات الذميمة المتمثلة في ظاهرة الحسد التي لا تنفع ولا تغني من الأمر في شيء ، بل ضرها أكثر من نفعها ، بناء على ماورد في الحديث النبوي الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم : " **إِيّاكُمْ وَالْحَسَدْ فَإِنَّ الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ الْحَطَبَ** "[1].

---

1- ابن كثير ، تفسير القرآن الكريم ، 149/2.

2- يوسف : 5 .

وفـي هذا ما أشار إليه عبد الحميد ابن باديس في خطاب ألقاه في الإجتماع العام لجمعية علماء المسلمين مشيرا فيه إلى دورها فـي القيام بنهضة الأمة قائلا : "وكذلك عرفت الأمم فـي تاريخها ألا تنهض إلا على صوت علمائها فهو الذي يحل الأفكار من عقالها . ويزيل عن الأبصار غشاوتها . ويبث الهمم من مراقدها ، ويدفع بالأمم إلـى التقدم فـي جميع نواحي الحياة . ولهذا نرى أعداء النهوض فـي كل عصر ومصر يبذلون لإخفاء هذا الصوت كل جهودهم ، ويكيدون له كل كيدهم " [2]، أي أن صاحب هذا القول يعلم علم اليقين أن من وسائل قيام النهضة في البلاد هو رفع صوت علمائها . لذلك عمل المستعمر على إسكات هذه الأصوات ، وإبعاد أصحابها وذلك بالتشريد ، والنفي ، والقتل ، وغيرها من وسائل الهدم والإحباط النفسي .

وفـي النـص علاقة بما نصح بـه يعقـوب عليـه السـلام يوسف فـي عـدم ذكر مـا رآه فـي منـامه أمـام إخوته لكي لا يحسدونـه ويكيـدون له ، وهو ما رمز بـه الكاتب ابن باديس إشـارة منه إلـى واقعية قصة يوسف ، التـي وردت على لسان أبيه يعقوب عليه السلام ، الذي خبر الدنيا ومـا يقـوم بـه الأشرار مـن الأعمـال الهدامة لإزالــة نعمـة السعادة عـن غيرهـم بشتى سبـل الكيد وهو ما اقتبسه ابن باديس من قوله تعالـى : { **قَالَ يَا بُنَيَّ لاَ تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ**} [1]، وهو الأمر الذي لاقاه أعضاء رجال الإصلاح من جمعية علماء المسلمين الجزائريين من سجـن ، وتعذيب ، وتشريـد ، وغيـره مـن أعمـال التنكيل ، لإخمــاد أصواتهم التي تنبــذ القمع والإستبداد ، وتطالب بالعــدل والمساواة والحريــة .

---

1- عز الدين بليق ، منهاج الصالحين ، ص289.

2- من تراثنا ، أثار عبد الحميد ابن باديس ، 4/204-205 .

ومع ذلك فكل التصرفات اللاإنسانية ، تطالعنا بمواقف رجال الإصلاح المنادية بالعودة إلى القرآن والإشادة به ، والتمسك بآثاره ، والعـودة إلى الرمـوز الدينية التاريخية الخالـدة الممكن إستنباطها من قصص القرآن الكريم كما جاء في قصة يوسف عليه السلام ، وخاصة موقف أبيه يعقوب المتمثل في الصبر والتجلد عند سماعه أن إبنه يوسف أكله الذئب . ليكون لهم النصر كما كان للذين صبروا ونالوا رضى الله وخلدهم القرآن الكريم بذكره في قصة يوسف عليه السلام ، بالتصرف الصادر من طرف إخوة يوسف ، في محاولة تغطية فعلتهم الشنعاء المفضوحة عند إستظهار قميص يوسف وعليه بقع من الدم ، دون أن يصاب القميص بأي مظهر يكشف بأن الذئب هو الذي أكل يوسف عليه السلام ، فعلم يعقوب عليه السلام من خلال ذلك أن إبنه لم يؤكـل من طرف الذئب ، بل ما يـزال على قيد الحيـاة.

فمن خلال الخبر المساق إليه ، وعدم يقينه المستخلص من القرائن في الدم الموجود على القميص ثبت عدم صدق الخبر ، وبالتالي لا يجـوز البحث عن الإثبات المادي فكان الرد على أبنائه " فـي جمال الأسلوب المعتمد ، فقدكان بإمكانـه أن يقـول لهـم : بـل كذبتـم ، إلا أنه تنزه عن إتهامهم المباشر بالكذب ، واستعمل أسلوبا راقيا جدا فـي الرد عليهم بقوله سولت لكم أنفسكم أمرا. وفـي هذا تعليم لنا فـي كيفية إدارة حواراتنا فيما بيننا " (1) .

---

3- يوسف : 5.

ثم يقـول لهم ما جاء فـي قوله تعالـى :{ **وَجَآؤُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ**}[2]، فالصبر من الصفات الأخلاقية الحسنة ، وهو مطلوب فـي مثل هذه المواقف لقوله تعالـى : {**فصبر جميل**} ، لأن هنـاك معنيين لهذه العبارة ، منهـا ماهو خالـي من الشكوى والجزع ، ومنها مـا فيه جزع وشكوى ونـواح ، والمسلمون مدعوون إلى ما دعي إليه نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى :{**فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلاً** } [3].

وهو ما تفطن إليـــه محمد البشير الإبراهيمي ، وحاول أن يرمز إلـــى تلك الواقعة ويشيد

بمثل ذلك الموقف الهام الصادر مـن شخص عظيم ، المتمثل في يعقـوب عليه السلام .كما أخبرنا به الله ، وقصد الإبراهيمى من ذلك هو تبليـغ الرسالـــة الملقــاة على عاتــقه ، وكذلك ممن هم على منهجه ، ليبلغوها إلى الأمة الجزائرية لتتولى الدفاع على القضية الوطنية .وهو ما جاء في موضوع له بعنوان : "يــوم الجزائر" الذى ورد عنـه فيــه "والصـبر الجميل إذ تـقولت السياسة والعزيمة الصادقة إذ ساور اليـأس"[1].

---

1- فؤاد العريس ، لطائف التفسير من سورة يوسف ، دار المعرفة بيروت ، لبنان ، ط: 1 ، 2005 ، ص72.
2- يوسف : 18.
3- المعارج : 5.

نلاحظ في هذا النص إقتباس الكاتب عبارة " الصبر الجميل " من القرآن الكريم وخاصة ما جاء في قصة يوسف عليه السلام ، التى بينت موقف يعقوب عليه السلام من صبره الجميل عند الفزع الأكبر ، وهو السلوك الذي دعى إليه الإبراهيمي الجزائريين ، من أجل البلوغ إلى الأهداف المطلوبة والمرجوة وهي تحرير البلاد والعباد مما يسلط عليهم من الدخلاء، وأن لا يقنطوا ولا ييأسوا من رحمة الله وأن يثبتوا على الإيمان الصادق وعلى الصبر الجميل ، بالتوكل على الله.

أما إذا انتقلنا إلى لفظة أخرى منتقاة من قصة يوسف عليه السلام في تصوير أبيهم بأنه كما جاء في قوله تعالى : { **إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلاَلٍ مُّبِينٍ**}[2]، أي أن أباهم يتصرف تصرفا فيه خطأ ، وخروج عن الصواب ، لإيثاره يوسف عليه السلام وأخاه بالمحبة دونهم مع العلم أن الضلال المقصود لديهم ليس ضلال الدين لأنه لو كان القصد هو ذلك لكفروا ، وإنما هو إيثار إثنين عن الباقين من أبنائه [3].

بخلاف ما جاء على لسان ابن باديس في موضوع بعنوان " الإصلاح أمس واليوم " الذي توجه فيه بالدعوة إلى الإصلاح الديني علما وعملا في قوله : " كيف يكون حال العالم الإسلامي ومراكزه العلمية الدينية في ذلك الضلال المبين "[4]، أي أن هذا السلوك المنتهج من المؤسسات العلمية الدينية لا يبشر بالخير ، ولا يميز بالإعتدال ، والاستقامة ، علما بأن اللفظ"في الضلال المبين" استلهمه ابن باديس من قصة يوسف عليه السلام ، الرامزة إلى مالاقاه من الإبتلاءات والمحن ، واتهام إخوته لأبيهم يعقوب عليه السلام . إلا أن العلاقة بين المعنيين لفظ "الضلال المبين " عند ابن باديس هو الكفر، والإبتعاد عن الدين الإسلامي الحنيف أما ما يعنيه أبناء يعقوب ليس الخروج عن الدين إنما هو حبه ليوسف وأخيه دونهم .

---

1- محمد البشير الإبراهيمى ، آثاره ، 169/1.

2- يوسف : 8.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،42/2.

4- عبد الحميد إبن باديس ، حياته أثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 66/3.

ومن هذا المنطلق نلاحظ أن رجال الإصلاح حاولوا الاستمداد من هذه الرموز القرآنية ليدعموا أفكارهم بما هو وارد في القصص القرآني خدمة لإبراز الشخصية الوطنية والمحافظة على الدين الإسلامي النابع من سيرة المصطفى عليه الصلاة والسلام ، الخالي من البدع ومن الضلال المبين .

**ج ـ قصـة موسى عليـه السـلام :**

لقد شاء القدر أن ترتبط حياة النبـي موسى عليه السلام بالعديد من الأحداث والمواقف المميزة بالصفات الخصوصية ، المؤثرة في كل ذي لب وعقل راجح، عالم بسيرته المنيرة لسبل الهدى .

و ذلك ما نجده في قصـة موسى عليه السلام من توجيهات وأحكام وعـبر لا يمكن الإستغناء عنها لأن ذلك ينجر عنـه كل ما يؤدي إلـى:" إصلاح الأمم بعد فسادها ، عاقبة الكفر والظلم ، صمود العقيدة، انتصار الحق على الباطل ، حرية الشعوب ، تفويض الطغيان نجـاة المؤمنيـن ، التحرر من سلطان التقاليـد ، التحلي بالقــول الليـن ، الإيمــان عن طريـق العقـل

دحض معتقدات المصريين القدماء ، تنزيـه الله وتـقديره حق قـدره"[1] .ولأجل كل هذا أخـذ الكتاب يستقون من هذا النبع ، ومن هذا الرمز الشخصي تلك التعابير الفكرية المختصرة والهادفـة لإصلاح ما أفسده الدهر ، وما انجر عنه من الحالات والمواقف الخلاقـة التي لا تصدر إلا من العظمـاء أصحاب الهمم والشرف.

فهـذا ابن باديس أحد المصلحـين الجزائريين الذين ساهموا مساهمـة فعالة فـي بنـاء وإرساء قواعد التربيـة المستمدة من القرآن الكريم ، وما ورد فيه من القصص الرمز ي الذي حـاول من خلالـه تبليـغ الرسالـة الإصلاحية للذيـن ضلـوا طـريق الصـواب ، وانساقـوا وراء أهوائهم الهدامة . وعلى كل فـإن ابن باديس مرب و موجـه لكل من يرغب في طلب العلم والمعرفـة ويستعين بذلك فـي توضيح القصد الهادف بالرمز القصصي الذي ورد فـي القرآن عن الأنبيـاء والمرسلين مثل ما هـو الأمـر في استرشاده لإشكاليـة معنى الإستغاثـة ، في موضوع له بعنـوان : " الدعاء منـه عادة ومنه عبـادة ". والذي جـاء عنه الرد على ما نشر بجريدة البـلاغ عدد : 282 ، عن بيـان معنى الإغـاثـة ومناقشتها ، " فالاستغاثـة هي طلب الغـوث وهو تخليـص مـن شدة أو إعانـة على دفـع مشقـة فهـي من أقسام النـداء والدعاء ، وتكون من مخلـوق لخالقـه عبادة وتكون من مخلـوق لمثلـه عادة ، فيدعو المخلوق ويستغيث بـه فيما هو مقـدوره " [2].

---

1- محمد ناصر بوحجام ، أثر القرآن ، 272/2، نقلا عن عفيف عبد الفتاح طبارة ، مع الأنبياء في القرآن ص 250.

2- ابن باديس ، آثاره ،جمع ودراسة : عمار الطالبي ،33/3.

وهو يشير هنا إلى ما ورد في القرآن الكريم عن الحادثة التي صادفت موسى عليه السلام لما أتاه الله الحكم ، ودخل المدينة على حين غفلة من سكانها ، وهو وقت نصف النهار كما يذكر ابن عباس ، فالتقى برجلين يتنازعان ، هذا من المستضعفين من بني اسرائيل وهو من موالي موسى عليه السلام والآخر قبطي موال لعدوه فرعون فاستنجد الإسرائيلي بموسى عليه السلام ، فوجد موسى لنفسه فرصة سانحة ، وهي غفلة الناس عنه فالتفت إلى القبطي ، فوكزه فلقي حتفه فمات [1]. مصداقا لقوله تعالى : { **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ** }[2] ، ويبدو من سياق نهاية الآية أن موسى عليه السلام لم يكن يقصد قتل القبطي ، والقضاء عليه ولكن لما رأى جثة هامدة أمامه ندم على فعلته تلك وساق كل ذلك التصرف إلى عمل الشيطان وغوايته ، التي صدرت من الغضب فأعترف بظلمه لنفسه فتوجه إلى الله بطلب الصفح والمغفرة وكانت رحمة الله واسعة ، فاستجاب لتضرع موسى عليه السلام فغفر له [3].

هكذا كان ابن باديس وغيره من رجال الإصلاح يستمدون براهينهم واستدلالاتهم مما هو وارد في القرآن الكريم من الأحداث والوقائع التي تكشف عن السبل والطرق الواجب اتخاذها عند الحاجة ، لتجنب الوقوع فيما لا يحمد عقباه .

---

1- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 2161/3.
2- القصص : 15.
3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، م :5 ، 19 ، 2682/25.

وليس ببعيد عن هذا الذي ذكرناه ما ذهب إليه مصلح آخر من أصحاب ابن باديس وهو مبارك بن محمد الميلي في كتاب له بعنوان : " رسالة الشرك ومظاهره" . وفي نص من هذا الكتاب بعنوان "الدعاء" الذي تعرض فيه إلى معنى الدعاء ، وتفسيراته التي منها الدعاء والسؤال والطلب والرغبة ، وذكر كذلك أن للدعاء أخوات في المادة ومعان في الاستعمال تعود إلى السؤال في تضرُّعٍ ، والرغبة في الاستكانة ، وذلك في شرح وجيز مستدلا ببعض الآراء ، من ضمنها ما جاء في تفسير المنار من أن الدعاء هو عبارة عن الشعور بالقلب والتوجه بالدعوة إلى عناية الخالق ، فيما يتوجه إليه سبحانه وتعالى ويرغب فيه . ثم ينتقل إلى توضيح الدعاء العادي ، وصفات المدعو في توجيهه في طلب العوذ أو العون أو شيء آخر من الفرد القادر عليه مدعما ذلك بما جاء في الدعاء العادي مركزا على قول القائل : " فتقول استغثت بالحاكم من الظالم واستغثت بالجيران على اللصوص واستصرخت ذا الغيرة على الغير"[1].
وفي هذا النص نلاحظ الدلالة الكبيرة الواضحة على أن المنهج الذي إعتمده رجال الإصلاح متقارب ، وأن مصدرهم الذي يتزودون منه هو القرآن الكريم ، وما جاء فيه من القصص القرآني ونخص بالذكر هنا التاريخي منه كلفظة الاستغاثة التي مرت معنا في قوله تعالى : { **وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**}[1].

1- مبارك بن محمد الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ، شركة الشهاب الجزائر ، د-ت ، د-ط ، ص186.

**عَدُوِّهِ** ومعنى ذلك أن تلك الحادثة التـي تعرض لها موسى عليـه السلام فـي حادثة نصرة الرجل المظلــوم المعتــدى عليــه مـن طـرف الرجل الظالم المعتـدي ، ولكــن ما كـادت تمتد يده إليــه حتى وكزه وسقط ميتا وهو ما أشاد بـه ابن باديس في نصه السابـق ، والتي كانت بدايـة مرحلة الدعوة لموسى عليه السلام وخروجه من قصر فرعون .

وفي هذا إشارة مـن ابن باديـس إلى دعوة الشعب الجزائري لكي يدفع الظلم والطغيان تماما مثل ما فعل موسى عليه السلام فـي الفتك بالأشرار الطاغين فـي الأرض ، والفاسدين فيها .

ولا ينفك رجـال الإصـلاح يشيــدون بالرمز القصصي القـرآني للسير وأحداث من قبلنــا
من الأنبياء والمرسلين وغيرهم ، من أجل أخذ العبـرة والإعتبـاركالنبي موسى عليه السلام الذي أرسله الله لنصرة الحـق ، ودفع الظلم ونبذ الشرك ، والعبودية لغيـر الخالق ، وهي الرسالـة التي انتدب من أجلها ، للذين " يتخذون من نفوسهم أربابا مصورين من طبيعتهم البشرية الناقصة آلهة يفرضون على السوقة عبادتهم من دون الله .... وأطفـأوا أمامهم سروج الأمل ، فكانوا معهم من سقط المتـاع . وأوغلوا في شهواتهم ، وانصرفوا عن نور الإيمان ووضح اليقيـن وانحسرت نواضرهم عن سبل الهداية فحادوا عن الطريق المستقيم "[2]. وهذا الذي دعا إليـه موسى عليه السلام قـوم فرعون إلى التخلي عنـه ، وحاول الدفاع عنه بكل قـوة من الله وبشتى

1- القصص : 15.

2- محمد أحمد جاد المولى ، على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، قصص القرآن ، ص92.

الوسائل المتاحة لـه. وهو المنهـج الذي حـاول رجال الإصلاح الإشـادة بتلك الأفعـال والأحداث لمحاولـة نشرها وبثهـا فـي نفوس الأفـراد من الشعب الجزائري الـذي تكالبت عليـه نوائب الدهر المفروضة عليـه من طرف أعداء الوطـن والديـن. لينهض بنفسه ويستدرج وعيـه ، وأن كل ما يحـاول الاستعمـار وأعوانـه زرعـه في أبنـاء الأمـة من الفساد والتضليل والاشراك بالله معتمـدا فـي ذلك على المجموعات المتشبعـة بهـذه الأفكـار الهدامة ، ووظفـت في الأماكن الحساسة والمناصب الدينيـة كالطرقيون الذيـن تشبعوا بأفكار الشعـوذة والسحر وغيرها من البدع التـي ما أنزل الله بهـا من سلطـان ، والتـي تصدى لها رجـال الإصلاح ، من ضمنهم ذلك الرجل المخلص لوطنـه ودينـه ، وهـو مبارك الميلي فـي كتابـه "رسالة الشرك ومظاهره" الذي شرح فيـه كل ما ليس لـه صلـة بالديـن الإسلامي الحنيف من بـدع وغيرها من المظاهر الفاسدة المستمدة غالبا من الديانـة المسيحيـة واليهوديـة ، وتحدث عـن ذلك فـي عناويـن عدة من ضمنها عنوان باسم : " السحر" الذي عبـر عنه بأن : "السحر بكسر فسكون مما يلتبس بالكرامات ، ويظن صاحبه قادرا على التصرف في الكائنـات ، نافذا عمله في حجب المغيبـات " [1].

وهو من المظاهر التـي كانت منتشرة بكثرة في الأوساط الإجتماعيـة ، لذلك أراد أن يـبلغ إلى كل ذي بصيـرة بأن القيـام بهذا العمل فيه شرك بالله ، وعلى المرء اجتنابه ، لأنه مجلبة للدنـاءة،وهومن أعمال الشيطان،ثم تطرق إلى أنواعـها، ومن ضمن تلك الأنواع:"سحر أصحاب التخيل بالصنعـة " الذي ورد فيه السحر القبطي : و"من هذا النـوع الذي عمدوا فيه إلى الحبـل والعصي فحشوها زئبقـا فصارت تتلوى ، فخيل للناضرين أنها تسعى باختيارها " [1].

1- مبارك الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ، ص155.

فالميلي في هذا يوضح بأن السحرة بخداعهم واحتيالهم على الكثير من الناس لا محالة سينكشف أمرهم عندما يحق الحق ، ويتفطن كل ذوي البصيرة والعقول النيرة ويذكر الذكي الفطن منهم الغافل ، لأن الكثير من السحرة السابقين أمتهنوا هذه الحرفة المصطنعة عند الأقباط ، وذلك في زمن الطاغية فرعون ، الذي أرسل الله إليهم سيدنا موسى عليه السلام ففي عبارة : "فخيل للناضرين أنها تسعى" ، الواردة في النص رمز إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام التي وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى : **{ قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى}** [2].

ومعنى ذلك الموقف الذي خير فيه موسى عليه السلام من أن يكون هو البادئ ، أم يترك الفرصة لسحرة فرعون الذين جمعوا من أجل الإنتصار والتغلب عليه وهزمه أمام الملأ ، ولكن موسى عليه السلام أسلوبه كان أفضل من أسلوب سحرة فرعون ، حيث أجابهم قائلا ابدؤوا أنتم لإظهاره عدم الإهتمام بسحرهم ليبذلوا أقصى جهدهم ، وليسحقهم الله بالحق ، ويبطل سحرهم. فالقوا ما عندهم من الحبال والعصي ، فخيل إلى موسى عليه السلام من قوة سحرهم أنها حيات تسعى على بطونها ولعظمة سحرهم فزع منها واضطرب"[3].

---

1- مبارك الميلي ، رسالة الشرك ومظاهره ، ص 155.

2- طه : 66.

3- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 239/2.

وفي هذا الإمتحان العسير تدخلت إرادة الله ، للكشف عن موقف موسى عليه السلام وكيف أن عمل السحرة وحيلهم أفزعت موسى عليه السلام نفسه ، وهنا تتجلى قدرة الخالق فـي فضح هـؤلاء القوم ، وإبطال مفعول سحرهم ، ويتضح عجزهم أمام الملأ وعندها تصبح كلمة الله هي العليا ، وكلمة الذين كـفروا هى السفلى ، فأوحى الله إلـى موسى عليه السلام بالثبات أمام أعداء الله ، وإن نصر الله لقريب ، وذلك بسحق أهل الكفر وتدميرهم وفضحهم أمام المـلأ بأنهم ليسوا على حق .

وفعـلا هذا ما أراد الميلي أن يشيـر إليه بالنسبة للشعب الجزائـري وأبنائـه الذين لا بد لهم من الثبـات على الإيمـان الصادق ، وأن لا ينجـروا وراء هذه الإدعاءات والتضليلات المرغوب بثها فـي وسـط الجزائريين من قبل المستعمرين وأعوانـهم ، وعليهم بأخذ العبـرة من القصص الرمزي الذي ورد فـي القرآن الكريم ، كالأحداث التـي مرت بموسى عليـه السلام.

وهذا النمط السائـد فـي التاريخ لا يجب هجرانـه أو الابتعـاد عنـه ، بل لا بد مـن التمسك به ، لأن المحافظـة على إحيـاء تاريـخ أمتنـا المجيـدة ، الناصع البياض ، هي التي تزود المجتمع ، وتمـده بالقــوة التي تدفعـه إلـى المحافظـة على كيانـه دون الإنــزلاق فـي المهــاوي التـي تـؤدي به إلـى الاضمحلال والخنـوع ، ويصبح فاقـدا للشخصية التـي هي أساس إثبـات الوجود لأنهم كما يقـول الإبراهيمي : "يعلمون أننـا نعيش بلا حاضر . ويوجسون خيفـة من أن يلم بنا طيف من ذلك الماضي الزاهر فنبني عليـه حاضرا من جنسه أكمل منـه"[1].

---

1- محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 118/2.

وإذا كان الإبراهيمي يقتبس في هذا التعبير من القرآن الكريم عبارة "ويوجسون خيفة" الرامزة إلى قصة موسى عليه السلام التي رأيناها عند الميلي ، وتوضيح كيف أنه كان خائفا من سحر السحرة ، لما قاموا بإلقاء كل ما ثبت لهم من جدارة تعلم السحر لقهر موسى عليه السلام ، وفعلا بعد شروعهم في إبراز مهارتهم في كيفية التصرف في هاته الحيل المعروفة عندهم بالسحر ، وهو ما يتبين من القرآن الكريم أنه وقع في نفس موسى عليه السلام نوع من الهلع والخوف ، وذلك فيما أنبأنا به القرآن الكريم في قوله تعالى :{ **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى ، قُلْنَا لاَ تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الأَعْلَى ، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى**} [1].

ومعنى ذلك أن موسى عليه السلام شعر بهول وعظمة الحيل السحرية ، فأحس بالخوف من هول ما رأى ولكن إرادة الله كانت دائما حاضرة ، فأنبأته بأن النصر حليف المؤمنين بالله ، وما عليه إلا إلقاء ما في يده اليمنى فإنها ستزيل كل ما صنعوه من السحر لأن كل ما ابتدعوه وافتعلوه ما هو إلا من باب الشعوذة والسحر ، لأن الساحر كيفما كان ومهما بلغ من المهارة لن ينتصر ولن يفوز بما ينشده ويسعى إليه ، بل إنه مجرد كاذب ومضلل لغيره "[2].

إلا أن الإبراهيمي في استعراضه لهذه العبارة : "ويوجسون خيفة " المقتبسة من قوله تعالى : { **فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى**}[1].

---

1- طه : 67-69.

2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 239/2.

الرامزة لقصة موسى عليه السلام عند لقائه بفرعون وسحرته ، وهلعه مما شاهده بأم عينيه ، يختلف عما يشير إليه الإبراهيمي من ناحية الموضوعية ، لأن ما ورد في تعبير الإبراهيمي هو العكس بالنسبة للحقيقة والواقع لما رمز إليه بهذه العبارة بين موسى عليه السلام وما يهدف إليه هؤلاء التضلليون ، الراغبون في قهر الإرادة التنويرية والمحافظة على ماضيها بكل ما في المقومات الإصلاحية والحضارية.

وفي خضم هذه التداعيات الفكرية الرامزة للحدث القصصي للقرآن الذي ما انفك رجال الإصلاح الجزائريون ينهلون منه ، ومن سيرة حبيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، من ذلك ما نلاحظه في موضوع للإبراهيمي بعنوان : "ونعود إلى فصل الحكومة عن الدين" وفي فقرة منه ، يتعرض فيها إلى ما تقوم به هذه الحكومة الفرنسية من التجارب في أبناء الوطن الجزائري ، قبل إنتقالها إلى تشتيتهم ، والعبث بهم ، وعندما اكتشفت سرائرهم واطلعت على قرارات أنفسهم ، وعلمت أن أفكار البعض منهم عبارة عن أفكار ساذجة ليست مبنية على أسس علمية ذات منطق سليم واع يدرك أبعاد الأحداث والمؤامرات . لذلك استطاعت أن تتسلل وتتوغل في أوساطهم ، وأن تسمح لنفسها أن تفعل ما يحلو لها من أعمال الطيش والتخريب ، لأنها ليست من الحكومات الصالحة ، ذات البعد التاريخي التى ترى بعين الحنكة والتدبير الراشد كصاحب موسى عليه السلام ، الذي بعثه الله لتعليمه طرق الهداية والإصلاح المتعددة في هذا الوجود ، وهو ما يشير إليه الإبراهيمي لكشف عدم التجانس والتوافق قائلا :"وإن هذه الحكومة تقدم التجريب ، على التخريب وقد جربتكم فوجدت منكم جدارا متداعيا للسقوط ، فما أقامته بل خربته ، لأنه لم يكن لغلامين يتيمين في المدينة ، ولا كان تحته كنز لهما ولا كانت هي تنظر بعين صاحب موسى ..." [2].

---

1- طه : 67.

وفـي هذا الطرح للمشكل القائم في وسط المجتمع الجزائـري المحتـل من طرف فرنسا وهي جنس لا يعـرف قيمـة الإنسانيـة ، ولا قيمـة التحرر التـي قامت عليـه ثورتهم لتحريـر شعبهـا مـن عبوديـــة الديكتاتورية المتسلطـة ، والعبودية الاستغلالية من طرف الإقطاعييـن ورجال الدين المفروضة عليهم فـي القرون الوسطى ، وحاولت أن تنقل تلك المظاهر اللاإنسانيـة إلـى البلدان الإسلامية ومن ضمنها الجزائر التي حطت الرحال بها ، وحاولت أن تجعلها حقلا لتجاربها الدنيئه التـي تنكرها كل الديانـات والأعراف الدوليـة .

ويبدو أن الإبراهيمي يدعو الفرد الجزائري إلـى التمعـن لما يحـاك ضده ، وينتبـه له ويتخذ الموقف المناسب للحفاظ على كيانـه كإنسان ، مثله مثل من أراد تبديلـه من إنسان حر مثقف إلى إنسـان جاهل مستعبد ومستغل موجـه إلى بناء مجد وحضارة غيـره ، وذلك في إشارتـه إلى الرموز الدينيـة المستقـاة من القصص القرآني الذي له علاقة بقصـة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح وهو الخضـر، تلك القصة المملـوءة بالعجائب الغيبيـة الغريبة ، التي يعجـز الفكر البشري عن إدراكها وفهم كنـهها ، ويعلم أنه لا يعلم إلا ما علمه العالم الخـلاق. فهذه القصـة لرسول أوحي إليـه ، ولـه منهج خـــاص مستمد من التـــوراة ، صـــدر منه إفعـل ولا تفعـل وكذلك قصـة عبدصالح الذي منَّ الله عليه من عنده ، ومكنه علما لـه خصوصية خاصة بـه .

---

2-محمد البشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 118/2.

جـاء فـي التاريخ أن موسى عليه السـلام ألقى خطابا فـي بنـي اسرائيل ، فلما أشرف على الإنتهـاء من خطابه ، سئل من طرف رجل عما إذا كـان يعرف من هو أعلم منـه فـأجاب بالنفـي ، فأوحى الله إليه أن لـي عبدا بمجمع البحريـن هـو أعلم منك ، فقال موسى لربـه : فكيف أتصل بـه [1].

ومع العلم أن موسى عليـه السلام في هذه القصـة لم يرفض أو يتكبـر أن يعلمه عبد من عبـاد الله "والخضر عليه السلام لـه تحقيـق المعلـوم لله الذي قد تغيب نتائجـه على سلم العقل فإذا ظهرت حكمة الغيب فيه ، آمن به العقل ، وهذه الاصطفائيـة للخضر ليس معناها أن يفهم البعض أنه فـوق موسى عليه السلام ، لا إنمـا لكل وجهـة الله هو موليهـا"[2].

هكذا إنطلـق موسى عليه السلام مع صاحبـه الرجل الصـالح ليعلمه من علمه كما جاء فـي قوله تعالـى : { **قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا**}[3]. وفـي هذا تنبيـه للمخلوقـات البشريـة من الله سبحانه ، أنـه مهما تعلم الإنسـان وبلغ درجة عاليـة من العلم يجب عليه ألا يغتـر بنفسه ويتكبـر ، لأن الكبـرياء لله وحده . لذلك على الإنسان أن يتخذ العبـرة من موسى عليه السلام ، وأن يتعظ بـه.

والإبــراهيمــي أشــار إلــى هـذه القصــة فــي عبارة : "فـوجـدت منكـم جــدارا متداعيـا للسقوط ..."

---

1- محمد متولي الشعراوي ، قصص الأنبياء والمرسلين ، ص322-323.

2- المرجع السابق ، ص323.

3- الكهف : 66.

التي اقتبسها من قوله تعالى : { **وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا** }[1].

ومعنى ذلك أن الخضر عليه السلام استمر في رحلته مصاحبا لموسى عليه السلام ليزيده اطلاعا ومعرفة على مالم يكن مطلعا عليه من العلوم الغيبية ، ونتيجة لاستعجال موسى عليه السلام على ما يقع أمام عينه ، وعدم صبره على ما اتفق عليه مع الخضر عليه السلام من أن يكون صابرا ، ولا يطلب الاستفسار عما يحدث في رحلتهما تلك حتى نهاية المطاف .

لكن تلك الأحداث كانت كلها بالنسبة لنبي الله موسى ظلما واعتداءً سافرا ، وفي كل واقعة يحاول الاستفسارعنها ، وفي الأخير أي في حادثة الجدار التي كانت آخر المطاف لرحلة موسى عليه السلام مع الرجل الصالح الذي أجابه على استفساراته قائلا : سأنبئك بتأويل الفائدة والحكمة من تلك الأعمال التي قمت بها، ومن ضمنها في الأخير بناء الجدار الذي أوشك على الإنهيار ، وكيف أن الله أرسله إلى إصلاحه للحفاظ على كنز الغلامين اليتيمين في هذه المدينة ، والمال الصالح لرجل صالح يبتغيه الله لذرية صالحة ، لذلك أراد الله أن يحفظه للغلامين إلى حين بلوغهما وحاجتهما إلى ذلك الكنز فيرشدهما إليه ، هذا بإيجاز بالنسبة لما تشير إليه الآية .

1- الكهف : 82.

أمـا مـا يهدف إليـه الإبراهيمي فهـو يختلف عـن عمـل الرجـل الصالـح ، لأن الاستعمـار
الفرنسي وغيره مـن الاستغلاليـين فـي هذا الوجود ، لم يتعظوا بهذه العظة الأخلاقية والحكمة الإلهية ، ويفعلون ما فعله الرجل الصالح ، مع جدار الغلامـين ، يصلحون من أمر الشعوب التي تعيش تحت سلطتهم ، سواء تعلـق الأمر بالمساواة أو العدل أو الحرية ، وهو الأمر الذي ينكره الإبراهيمي عن هـؤلاء الإستبداديين ، لأنهم مجرَّدون من الإنسانية وغيرها من الفضائل الأخلاقية ، لذلك فهم لا ينظـرون إلى غيرهم ، بمنظار الرجل الصالح صاحب موسى عليـه السلام ، وإنما هم عكسه تماما .

ونجد الإبراهيمي في هذا المجال لا ينفك يدعو إلى اليقظـة ، والتمعن في مجريـات الأحداث والبحث فـي المقارنة بين عمل الرجل الصالح ، وأولئك الذين لا يرغبون في بناء العقول والأفكار العلمية الخلاقة بل همهم الوحيد هو الهدم والتضليل ، وفعلا تلك هي دعـوة الإبراهيمي إلى هذه الأمة الإسلامية للعودة إلى جادة الصواب ، ووقوفهـا جماعيا استعدادا للدفاع ضد كل ما من شأنـه أن يكون عقبـة من أجل تحرير البـلاد والعبـاد.

وإذا ما انتقلنـا فـي مجال مضرب الأمثال ، والتأثر بالرمز الموضوعي الذي جاء فـي القرآن عن موسى عليه السـلام كذلك ، نجد مصلحا آخر من مصلحي الجزائـر الذي ما انفك يذود عن الأمة الإسلامية عامة والجزائر خاصة ، وهو أبو اليقضان الذي ورد عنه في حديثه عن الجمود الفكري قوله : " تعتقد أن العقل آلة صماء لا تتصرف ، وآلة عاطلـة لا يجوز استعمالهـا
فـي شـأن من الشـؤون ، ونقد زائف يجب أن يحكم صره فـي صرة ، ويوضع فـي رف عتيـق

بجدار متداع للسقوط" [1]. هكذا نلاحظ الإشارة الواضحة في هذا النص والاقتباس من الذكر الحكيم ، الذي يبدو أنه سيطر على ثقافة الكاتب في عبارة : "بجدار متداع للسقوط" وهي نفس العبارة السابقة التي أشار إليها زميله الإبراهيمي ، مما يدل دلالة واضحة أن هناك علاقة الإشتراك الثقافي المستمد من القرآن الكريم في قصة موسى عليه السلام .

تلك الأحداث التي رسخت إمتياز شخصية موسى عليه السلام ، عند الهيئة الإصلاحية وغذت أفكارهم بشتى القناعات والدلائل القاطعة ، لذلك كان لزاما عليهم بتوجيه الدعوة للقضاء على الأوهام ، والوقوف ضد الاستبداد ، وكل مخلفات الاستعمار كالمسخ والتشويه ، ونسيان الذات ، ومحاولة العودة بهم إلى الماضي التليد ، وانطلاقا منه إلى الآفاق المستقبلية ذات البعد الجوهري والحقيقي ، حفاظا على الكرامة الإنسانية .

**د- عيسى عليه السلام :**

إن هذه الشخصية تعد من معجزات خلق الله سواء تعلق الأمر في ولادته من مريم البتول أو في كلامه وهو في المهد ، وإحياء الموتى ، وشفاء المرضى ، وإبراء الأكمه والأبرص واقتران ذكره بالرفق والرحمة ، والطهر والنقاء ، والعلم بما يعانيه ويحسه ، كل ذلك أدى إلى لفت أنظار الأدباء ، والتعبير عنها بالدلالات الرمزية ، وفسح المجال واسعا لاستحضار هذه الشخصية العظيمة ، والتعاليم التي جاءت بها من أجل إحترام الإنسانية وإسعافها حتى يسود الحب ، والرحمة والشفقة ، والهداية إلى وحدانية الله ، وهو ما يحاول الإبراهيمي أن يكشفه ، ويشير إليه ، بأن الذين يدعون بأنهم مكلفون بالمحافظة على تلك التعاليم التي جاء بها المسيح عليه السلام تخلوا عنها وتحولوا إلى وحوش الفلاة .

1- محمد ناصر ، أبو اليقظان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط:2 ، 1983، ص87.

وفي تصويره لهؤلاء الذين نصبوا أنفسهم محافظين على تعاليم المسيح عليه السلام والذين يدعون تقمص تلك الفكرة يقول : "الراهب المبشر ذئب الفلاة ، يتربص اليتم لينصر الأبناء والمجاعات ليفتن الآباء ، فكان من وصايا المسيح عنده أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب وأن لا يكسو الظهر إلا بالتجريد من الدين ، ولا ينشر تعاليم المسيح إلا باستغلال أزمات الضعفاء والبائسين ! ... حَاشَ لدين المسيح عليه السلام وكلمته التي ألقاها إلى مريم أن يكون هذا طريقه إلى النفوس ، وهذه طريقته في الإنتشار. إن المسيح كان عدوا للظلم والباطل"[1].

وهكذا نلاحظ أن هناك عدم انسجام الأعمال مع الأقوال ويتضح ذلك في تصريح أحد المسؤولين الفرنسيين بعين صالح [2] قائلا : أن فرنسا جاءت إلى الجزائر وفي نيتها إصلاح المجتمع الجزائري لأنها أتت بالمعلم ، والطبيب ، والراهب ، هذا "بعد أن أجرت لهم عملية التلقيح بمادة "الاستعمار" ، وهي مادة من خصائصها تعقيم الخصائص ، فلم يبق المعلم معلما علميا ، ولا الطبيب طبيبا إنسانيا ، ولا الراهب أبا روحيا ، وإنما جاؤوا في ركاب الاستعمار ليخدموه ويثبتوا أركانه "[3].

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 85/2.

2- المرجع نفسه ، 83/2.

3- المرجع نفسه ، 84-85.

وهـو عكـس مـا كـان يدعـو عيسـى عليه السـلام إلـى نبـذه ، وإحلال الخـير محـلـه ونشـر العدل والمساواة ، والإخاء بين بنـي الانسانيـة جميعا مهما كان إختلافهم فـي الشكل أو اللون أو اللغـة ، خلافـا لما يقـوم به الراهب المنتدب إلى بـلاد الجزائـر لتضليل الشباب عن دينه الإسلامي القويم مستندا على حقيقـة التوحيد الذي لا شبهـة فيه ، ونبذ كـل ما يـؤدي إلـى الشرك عملا بقوله تعالـى : {**وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّهَ وَأَطِيعُونِ ، إِنَّ اللّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** }[1] .

ومعنـى ذلك أن السيد المسيح يعلن حقيقـة التصور الإعتقـادي الذي يجب أن يكون عليه دين الله كله ، لأن المعجـزات الصـادرة منـه ، لم تكن من تلقـاء نفسـه ، وليس له قـدرة عليها وهو بشر ، إنما كان ذلك من عند الله ، وأن دعوتـه تلك تنبنـى على تقـوى الله والطاعة لرسولـه . وأن التوجـه في العبـادة لا يكون إلا لله دون سـواه ، وما دون ذلك فهو إعوجاج وإنحراف ، وليس بالديـن السـوي [2].

ويحـاول الإبراهيمي أن يكشف تصرف اليهود المجـردين من الإنسانيـة والذين نصبوا من طرف الأقويـاء فـي فلسطين بـلاد العرب والمسلمين بعد تسليمها لهم من طرف الانجليـز وإحـلالهم محلـهـم ، حيث قـام السكـان بمحاولــة الدفــاع علـى أرض فلسطيــن أرض الإســلام والعروبـة ولكن لم يسعفهم الحــض على الإنــتصار ، لعدم وجود مساعدة قوية تمكنهم من دحض

---

1- آل عمران : 50-51.

2- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ، م :1 ، 1-401/4.

اليهود المستقدمين من أنحاء العالم من طرف تلك الدول القوية ، وبترخيص من قبل تلك الدول القوية ، المنتصرة في الحرب العالمية الثانية ، والذين لا يعلمون بأن هؤلاء اليهود من الذين ينقضون العهود والمواثيق ، وهو ما يرمز إليه الإبراهيمي في تصويره في قصة زعمهم أنهم قاموا بصلب عيسى عليه السلام وأن "اليهود الذين كذبوا الأنبياء وقتلوهم ، وصلبوا-بزعمهم- المسيح الصادق ، وشردوا حوارييه من فلسطين ، وكفروا بمحمدصلى الله عليه وسلم بعدما جاءهم بالبينات"[1].

و في هذا إشارة رمزية للسيد المسيح عليه السلام الواردة في الذكر الحكيم ، فيما تصور الآية الكريمة في قوله تعالى : {**وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا**}[2].

ولقد جاء في صفوة التفاسير للصابوني أن المراد من قوله تعالى : { **وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ** }[3]. نجاة "عيسى من شر اليهود الخبثاء فلم يقتل ولم يصلب وإنما صلبوا شخصا غيره ظنوه عيسى وهو الذي ألقى الله الشبه عليه فقتلوه وهم يحسبونه عيسى ، وهذا هو الاعتقاد الحق الذي يتفق مع العقل والنقل ، وأما النصارى فيعتقدون أنه صلب وأن اليهود أهانوه ووضعوا الشوك على رأسه وأنه تضرع وبكى مع زعمهم أنه هو "الله" أو "إبن الله" وأنه جاء ليخلص البشرية من أوزارها إلى غير ما هنالك من التناقض العجيب الغريب"[1].

وهذا-كما نرى- أمرٌ مناقضٌ للتفكير الإنساني السليم المبني على التزيف والتضليل الموجه لشخص نبي الله عيسى عليه السلام الذي لا يسمح ولا يجوز لأي كائن موحد لله أن يطعن فيه ، ويتهمه بالإخلال فيما أرسل إليه من لدن خالقه ، لأنه المسيحُ الصادقُ المتصف بالعديد من الصفات ، وهي الصفة الحميدة التي لا يمكن أصلا أن تخلو من نبي مرسل من الله مهما كان الأمر.

---

1- المرجع السابق ، 401/1.
2- النساء : 157.
3- النساء : 157.

## 2- الرمز اللغــوي :

بعد استعراضنـا للرمز الموضوعي ، نلاحظ أن هنـاك نوعاً آخر من الرمـوز ، وهو اللغوي الذي يجب بنا أن نتعرض إليه ، لمـا له من أهمية فـي البحث لارتباطه باللغـة ، واعتماده كل الاعتماد على اللفظ الذي " يحمـل دلالـة لغويـة معينـة ثـم يأتـي القـرآن فيجـعلـه رمزا إلـى نكرة أو مشهد أو سلوك ، فالنور والظلام مثلا لهما دلالتهما اللغويـة المعروفة ، ولكن القرآن حـين يـذكـرهما فـي مواضــع خاصـة يـقصـد إلى دلالـة الأولى على العـلم والهـدى والرشـاد ، ودلالــة

---

1- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 319/1.

الثانيـة على الجهل والكفر والظــلال " [1] ، كما جاء فـي قوله تعالـى : {**الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ** } [2].

أي أن هذا القرآن العظيم كتـاب أنزلنـاه عليك يا محمد ، وهو أشرف ما أنزلـه الله من السماء ، على أشرف رسول بعثه الله في الأرض إلى جميع مخلوقـات البشر عربهم وعجمهم ليخرجهم من ظلمات الجهل والظـلال والغـي إلى الهدى والرشاد ، ونور العلم والإيمان [3]. والاستقامة والاعتـدال .

وإذا مـا أمعنـا النظر في التراث الذي خلفـه لنا رجال جمعيـة الإصلاح فـي النثـر الجزائري الحديث ، نلاحظ عليهم السعي الحثيث نحــو التمسك بتـراث الأجـداد الذي استمـــدَّ أصالتـه مـن الثقافـة الإسلامية ، ويبدو ذلك جليا لدي أقطـاب الدعـاة الإصلاحيين كمحمد السعيد الزاهري الذي كتب موضوعا بعنـوان : " طلبة إفريقيـا الشماليـة " ، تعرض فيه إلى تلك الفئـة مـن الشبــاب التـي حملت لـواء الإصــلاح الدينـي واصفـا إياها فـي قــولـه : " وقد وفقت إلــى أن تحطـم بالقــرآن العظيم كــثيرا مما لصـق بالإسـلام من خرافات وأضاليل ، وهي ترجو أن يهيء الله لها من أمرها رشدا ، فيرجع المسلمون إلى الديـن الخالــص ، والإســلام الصحيـح ويخرجهم من الظلمات إلــى النـور "[1].

---

1- شلتاغ عبود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص228.

2- إبراهيم : 1.

3- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، 1568/2.

- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 90/2.

وهكذا كان تعبير هذا الكاتب رامزا بهذا اللفظ المستقى من القرآن الكريم ، وفى الإطار نفسه نجد الشيخ العربي التبسي يتعرض لنفس اللفظ الذى تعرض له الزاهري " الظلمات والنور" في حديثه عند فتح دار التلميذ الجزائرى ، التى كانت نتيجة ثمرة الجهد المبذول من طرف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، المجاهدين الصابريـن، حتى يتحقق لهم ذلك الحلم والخيال المنتظر الذى يقول فيه : " وقدمتها باسم الله إلى شبابنـا العامل المناضل فـي سبيل الديـن ، والعروبة والقوميـة ، والوطنيـة لتكون له مأوى الراحة والاستقرار ، يركن إليها فيجد فيها الهنـاء والسعادة ، ويصفو له طلب العلم والتفرغ له والبقاء فيه ويـغدق على الأمة بعد حيـن من فيـض علومه ، ونـور قلبه وخالص نصيحته ما يخرجها من الظلمات إلـى النـور ، ويـهديـها الطريـق السـوي الذي يبوئـها مقعد صدق لدى الأمم الحيـة الراقيـة " (2).

واضحٌ من هذا النـص أن صاحبه يتمتع بروح عاليـة ، ورصيد ثقافـي عميـق الجذور مستمد من القرآن العظيم ، لذلك فهو يغرف منه كل ما يناسبه ، ويجـوز له توظيفـه عنـــد الحاجة ، ليدعم به نصوصه لتكون حجة دامغـة ، ودليـلا قاطعا وذلك مثل عبارة "الظلمات والنور" المستمدة من الآيـة الكريمة السابقة . التي تعني الانتقـال من حالـة اليـأس والقنـوط ، إلى حالة الإشراقـة النورانية ، والأمل في الحيـاة السعيدة والمستقبل الزاهر .

---

1- محمد السعيد الزاهري ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص 38.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة ،جمع وتعليق: 222/1.

وفي خضم محاولـة إبـراز هذه الصحوة ، وطمس كل ما يقـوم بـه أولئك التضليليون من المستعمرين وأذنـابهم المقربـيـن إليهم ، الذين وقف لهم رجال الإصلاح بالمرصاد ، ومن ضمنهم عبد الحميد ابن باديس الذي كتب فـي موضوع له بعنـوان : "عبداويـون" ثم "وهابيـون" قائـلا : " رأينا واجبا علينا أن نقـوم بالدعـوة العامـة إلـى الإسلام الخالص والعلـم الصحيح إلـى الكتاب والسنة ، وهدي صالح سلف الأمـة ، وطرح البدع والضلالات ، ومفاسد العادات فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافـة تبلغهـا للناس فكان المنتقد وكان الشهاب ونـهـض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خيـر قيام ، وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآلـه وسلم أعينا عميا وأذانا صما وقلوبا غلفـا " [1].

فالكاتب في هذا النص استوحى من القرآن الكريم لفظـة "غلف" التي وردت في الآيـة الكريمة قال تعالـى : {**وَقَالُـواْ قُلُوبُنَـا غُلْفٌ بَل لَّعَنَـهُمْ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ ، فَقَلِيـلاً مَّا يُؤْمِنُـونَ**} [2]. ومعنى هذه الآيـة أن قلوب اليهود في أكنـة ، أي مغطـاة ، لذلك فهم لا يعلمون ولا يفقـهون ما يقوله النبي صلى الله عليه وسلم ، ولا يسمعون إلى داعية جديد تيئيسا لمحمد – صلى الله عليه وسلم وللمسلمين - من دعوتهم إلى هذا الديـن ، أو تعليـلا لعدم إستجابتهم لدعـوة محمد صلى ﷲ عليـه وسلم ، وأنهم مطرودين ومبعديـن من رحمتـه بسبب كفرهم وظلالهم ، والقليل ممن يؤمـن منهم ببعض الكـتاب ويكـفر بالبعض الآخـر [3].

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 28/3.

2- البقرة : 88.

3- ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص240. - أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص77.

فالصورة التي وردت في لفظة "غلف"[*]. ترمز إلى الحالة التي تسود الوسط الشعبي الجزائري ، والصراع السائد بين رجال الإصلاح ومناوئيهم ، الحاصل بين فئة ذات عقلية متنورة وأخرى تنتمي إلى مجموعة الظلاميين الذين أعماهم ظلام الجهل والتخلف المؤدي بهم إلى الإنحطاط السافل .

وهكذا نجد هذه الرموز الدلالية المقتبسة من القرآن الكريم ، التي لا تخلو منها كتابات رجال الإصلاح ويبدو ذلك في الموروث الثقافي البارز في نص آخر بعنوان : "رحلتنا إلى العمالة الوهرانية باسم الجمعية"[1]. لابن باديس أيضا ، الذي حاول فيه وصف الرحلة ، بدأ نصه بتمهيد وضح فيه ما القصد من تلك الرحلة ؟ وما هو هدف الجمعية ؟ وهو محاربة الآفات الإجتماعية عن طريق الوعظ، والإرشاد بالهداية القرآنية ، وهي أنجع دواء لدى المسلمين ، ثم انتقل إلى وصف الرحلة ، وذكر ما قام به من إلقاء المحاضرات والدروس، وفي نص له بعنوان جانبي:" الإشاعات الباطلة "[2]، يتحدث عن الفئة الضالة التي تحاول دحض وتسفيل كل ما يصدر عن أعضاء الجمعية الاصلاحية مبرزا ذلك في قوله : " قد منيت هذه الجمعية بمن يحاربها بالباطل ، ويعرقلها بالإفك ويستحيل في إذايتها العظائم فأشاعوا عنها كل إشاعة شنيعة ، ورموها بكل نقيصة ورذيلة حتى قالوا إنها جمعية تنكر البعث والنشور دع ما هو دون ذلك . ولكننا كنا – والحمد لله - لا نفرغ من الدرس العام حتى تنحل عقد الشيطان كلها ويقول الناس بلسان ... حالهم"[1]. { **وَقُلْ جَاء الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا** }[2].

*- غلف الشيئ : غطاه وجعله في غلاف ، والقلوب الغلف : المغشاة بأغشية .
- أنظر محمد اسماعيل ابراهيم ، معجم الألفاظ والأعلام القرآنية ، دار الفكر العربي ، ط :2 ، د-ت ، 93/2 .
1- أثار عبد الحميد بن باديس ، من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية ، 24/4 .
2- المرجع نفسه ، ص261.

يصور ابن باديس في هذا النص تلك الطائفة الضالة الفاقدة لنور الحقيقة والرشاد والراغبة في دحض كل الجهود المبذولة من طرف رجال الإصلاح . ولقد وردت لفظة : "النشور"(*). المستقاة من القرآن الكريم في قوله تعالى : {**وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ** }(3).

وفي ذلك ما يدل على أن " هذا المشهد يتردد في معرض دلائل الإيمان الكونية في القرآن لأنه دليل واقعي ملموس ، لا سبيل إلى المكابرة فيه ولأنه من جانب آخر يهز القلوب حقا حين تتملاه وحين يقظى ؛ ويلمس المشاعر لمسا موحيا حين تتجه إلى تأمله وهو مشهد جميل مثير. وبخاصة في الصحراء حيث يمر عليها الإنسان اليوم وهي محل جدب جرداء . ثم يمر عليها غدا وهي ممرعة خضراء من أثار الماء ، والقرآن يتخذ موحياته من مألوف البشر المتاح لهم ، مما يمرون عليه غافلين عنه . وهو معجز معجب حين تتملاه البصائر والعيون"(1).

---

1- المرجع السابق ، ص261.

2- الإسراء : 81.

*- النشور : بعث الموتى يوم القيامة ، محمد اسماعيل ابراهيم ، معجم الألفاظ للقرآن الكريم ، 291/2.

3- فاطر : 9

ولقد وردت كلمة "النشور" عند العربي التبسي بنفس المعنى تقريبا ، وذلك في موضوع له بعنوان : "نــداء" [2]. وجهه إلى الشعب الجزائري ، مفتتحا إياه بهذه العبارة المعبرة :

" أيها الشعب العظيم ! إستعد لليوم العظيم !"[3]. هكذا وبمثل هذه النداءات الموجهة إلى الأمة الجزائرية من أجل المحافظة على كيانها الذاتي والشخصي ، الذى يتطلب منها الإتحاد والتعاون ، فيما يخص بناء المؤسسات الثقافية لنشر العلم الذي يحيي القلوب التي أماتها الجهل، وتحديد يوم يحتفل به ، يدعى يوم العلم .

وكل ما تهدف إليه في هذا هو ما أقتبسه الكاتب من القرآن في نصه الذي وردت فيه لفظة "النشور" في محاولة وصفه لمشهد يستذكر بأنه : "هو يوم الثامن من شهر نوفمبر 1953. هو اليوم المشهود الذي يؤمه القاصي والداني من رجال الأمة الجزائرية ، وتشد إليه الرحال من الوهاد والجبال فيجتمع الشعب في صعيد واحد ، حــول المؤسسة ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد . ويحتفل بيوم العيد يوم النور يوم البعث والنشور. ذلك هو اليوم الموعود "[4].

---

1- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2929/5.

2- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة ، جمع وتعليق : شرفي أحمد الرفاعي ، 121/1.

3- المرجع نفسه ، ص221.

4- المرجع نفسه ، 221/1 .

هكذا نجد هذه اللفظة : "النشور" التي يقصد بها النماء والإنبات وعودة الحياة في النفوس التي حاول المستعمر إماتتها وإزالتها والقضاء على هويتها من الوجود. تلك هي الصورة اللفظية الرامزة إلى روح الانبعاث والتجديد المستلهمة من القرآن الكريم المصدر الحقيقي والأساسي الذي يسعى حثيثا إلى دفع الإنسان للمطالبة بالحرية والإنعتاق ، والذود عنها بكل ما أوتي من قوة.

وبهذا الأسلوب المستمد من القرآن الذي تشبع به رجال الإصلاح كابن باديس وغيره من الذينهم ما انفكوا يقتبسون هذه الألفاظ القرآنية .و يستعملونها بنفس الدلالات القرآنية حينا ، وحينا آخر في تصوير تلك الحالة تصويرا غير واقعي ، كما هو الشأن في لفظة : " القيامة " التي أتى بها ابن باديس في نص عبر فيه عن الصعوبات التي تعترض له أثناء قيامه تبليغ المهمة المسندة إليه ، والمكلف بأدائها كما يجب بكل ثبات على النهج القويم ، والصراط المستقيم إذ يقول: إن " اتباع السنة هو النجاة ،وأن الناس لن يغنوا عني من الله شيئا فأخذت في ذلك على حكم التدرج في بعض الأمور، فقامت علي القيامة وتواترت علي الملامة وفوَّق إلي العتاب سهامه ، ونسبت إلي البدعة والضلالة وأنزلت منزلة أهل الغباوة والجهالة وإني لولا التمسك لتلك المحدثات مخرجا لوجدت غيرأن ضيق الطعن والبعدعن أهل الفطن"[1].

بهذا التوجيه إلى السلوك السوي في أقتفاء أثار السنة لكل من أراد النجاة ، والخروج من المأزق والمحن ؛ لأن ذلك هو السبيل الأمثل لمن يعاني ماعانته الأمة الجزائرية في تلك الفترة الا ستعمارية.

---

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 30/3.

كما حاول الكاتب أن يقدم صورة مما يعانيه من طرف الاحتلا ل وأعوانهم من الأتهامات الباطلة كالغباوة والجهل ، والظلا ل وغيره من صفات الذم والسخرية ، ومع ذلك تمسك بمنهجه في التوجيه و الإصلاح ، رغم كيد الكائدين ، وعجرفة المتعجرفين المرتدين الذين أقاموا عليه الدنيا وأقعدوها لعله يتوقف عند ذلك القدرمن التبليغ، دون مواصلة مهمته الإصلاحية ، ولكن ابن باديــس كان موقفــه غير ذلك ، وأبى إلا أن يواصل مشواره في تبليغ رسالته كاملة ، وكان النصر حليفه بـقوة إيمانه بالله عز وجل عملا بقوله تعــالى { **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**}[1] .

---

1- محمد: 7.

# الفصل الرابع

# أثر القرآن الكريم في الصورة والتصور والتصوير

**تمهيـــــد :**

قد تكون الصورة عبارة عن ظاهرة من ظواهر الطبيعة ،وهي إما أن تكون حقيقية أو خيالية ، وجاء عن الجواهري أن : "الصور بكسر الصاد ، لغة في الصور جمع صورة "[1] . والصور وردت في أسماء الله تعالى : المصور وهو الذي صور جميع الموجودات ورتبها وأعطى كل شيء منها صورة خاصة ، ومفردة يتميز على إختلافها وكثرتها " [2].

وفي هذا نجد الصورة في الأدب هي الكلمة المستعملة في التعبير " للدلالة على كل ما له صلة بالتعبير الحسن ، وتطلق أحيانا للاستعمال الاستعاري للكلمات "[3].و نلاحظ أنه عند رؤية صورة من الصور، فإن ذلك يؤدي فعلا إلى الانفعال الذي تصحبه من الإدراك الحسي الناتج عنه "الأثر النفسي الذي ينشأ مباشرة من انفعال حاسة أو عضو حاس ... وهو يعني الفهم أو التعقل بواسطة الحواس ، وذلك كإدراك ألوان الأشياء وأشكالها وأحجامها وأبعادها بواسطة البصر"[4].

من خلال هذه التعريفات يتضح لنا أن التصور هو عبارة عن العلاقة التي تربط بين الصورة والتصوير الذي تعد أداته الفكر لا غير ، خلافا للتصوير المتعلق بالنسبة لأداته التي هي الفكر واللسان واللغة [1].

---

1-الجواهر ي ، الصحاح ، 716/2.

2- ابن منظور ، اللسان ، 473/4.

3- عبد الفتاح صالح نافع ، الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان ، 1983، ص51.

- وانظر صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني ، ص75.

4- المرجع نفسه ، ص74.

وقد ورد أن " الأديب الفنـان يستخدم التعبير لتصوير التجربـة الشعورية التـي مرت بـه للتأثـير فـي شعور الآخرين بنقل هذه التجربة إلى نفوسهم في صورة موحية ، مثيرة لانفعالهم . ومن هنا يستمد التعبير قيمته من عالم النقد ، فالتعبير ليس ألفاظا وعبارات فقط . ولكنه هو العمل الأدبي الكامل باعتبار ما يصوره من التجارب الشعورية"[2].

ولكي تكون الرؤيـة أكثر واقعية فـي هذا الصدد يجب معرفـة :" عملية التحقيـق الإدراكــى"[3] التي نجـدها " تتكون من مرحلتين متميزتين : الأولـى هى إتصـال الحواس بالعالم الخارجي ، ونقل معطياتـه إلى العقـل.والثانيـة : التجريد ، حيث تتكون في الذهن بناء على الإدراك لأفكار شديدة التجريد ، لا يمكن نقلها إلى الآخرين إلا بعد تحويلهـا إلى صور"[4].

وللإدراك فـي رأي " برتـراند راسل " ينقســم إلى نوعـيـن :" الإدراك الحسـي ، والإدراك
العقلـي. فأما الإدراك الحسي فهو الشعور بوجود الأشيـاء التي يقع عليها الحـس ، كرؤيتنا للمنضدة أو سماعنـــا لأصـوات البيـانـــو . والإدراك العقـلـي فهـو مـا يحدث عنـدمـا نفهـم معنـى كلمة مجـردة .

---

1- المرجع نفسه ، ص74.

2- المرجع نفسه ، ص75.

3- نبيل رشاد نوفل ، العلاقات التصويرية، منشأة المعارف بالأسكندرية ، د-ت ، د-ط ، ص28-29.

4- المرجع نفسه ، ص 28-29.

فليس من الإدراك العقلي أن نرى قطعة من الثلج الأبيض ، أو نستعيد صور قطعـة منه ، كان قد وقع عليها بصرنا في لحظة ماضيـة ، لكن إذا جعلنا موضوع تفكيـرنا هو "البيـاض"، فذلك هو الإدراك العقلي"[1].

1- المصدر السابق ، ص29.

## 1- التصوير الفني في القرآن الكريم

أما إذا حاولنا البحث في الإعجاز القرآني وعلاقته الفنية ، بالأسلوب التصويري المتبع في القرآن ، من أجل تبليغ الدعوة إلى من وجهت إليهم من الشعوب ، حيث نجد سيد قطب في هذا الصدد يقول : " لا يرمي إلى مجرد أداء المعنى الذهني ، إنما يريد الصورة كذلك والصورة تقتضي التنويع ، ليتم التناسق مع الأجزاء الأخرى في اللوحة ، أو المشهد المعروض"[1].

وفي ذلك اعتقاد بأن في الصورة ما يدل على أن التصوير من الركائز المهمة والأساسية في أسلوب القرآن ، لذلك فهو " لا ينتهي إلى أداء المعنى الذهني مجردا ، إنما ينبض بطبيعته بصورة حية للمعاني"[2]. وهنا يحاول سيد قطب من خلال رؤيته أن يضبط ما يهدف إليه من الصورة الفنية في القرآن . ويعرف التصوير على أنه :" الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة الحسية المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية "[3].

تلك هي الطريقة المثلى والفعالة ، لإدراك معنى الخطاب القرآني لتشخيص وتجسيم
معانيه . بوسائل مختلفة ويتصورها المتلقي بخياله ، كأنه واقع أمامه [4].

---

1- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة، ط:7، 1982، ص119.
2- المصدر نفسه ، ص119.
3- المصدر نفسه ، ص36 .
4- العربي لخضر ، الدراسة الفنية للقصة القرآنية ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران الجزائر ، د-ط ، د-ت ص105.

## 1-1- خصائص التصوير الفني في القرآن :

إن المتمعن في القرآن ، والمهتم بدراسته ، يلاحظ عليه أنه كتاب ديني محض لا غبار عليه،وهذا لا ينكشف أمامنا بديهيا ، بل بالعكس من ذلك ، لأنه يتخذ نمط إسقاط الصورة الفنية على السلوك ، المعتمد على التصوير الحقيقي المتحرر في تعبيره ، ولا ينحصر ضمن ما_هو معروف عن الأنماط البلاغية [1]. وحسب ما ذهب إليه النقد الحديث ، أن الصورة ليست منحصرة في التشبيه ، أو الاستعارة أو المجاز لا غير ، بل هي في تعريف "راي لويس" تشكيل مرتبط بالألفاظ ، وقد ينبثق من الاستعارة أو التشبيه صورة ، ومع ذلك يمكن للصورة الخلاقة أن تخلق من العبارة الوصفية خالصة شيئا أفضل من الإنعكاس الحرفي للحقيقة الخارجية[2]. ونستشف ذلك مما جاء في قوله تعالى : {**وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ**} [3].

هكذا تكشف لنا هذه الآية الكريمة ، عن حال الأشقياء الفجار الجاحدين الذين لا يؤمنون بالقرآن وكذبوا بالأنبياء والرسل ، فجزاؤهم عن كفرهم نار جهنم ، والعذاب الدائم المستمر دون إنقطاع ، وهذه صورة الجزاء لكل متمادٍ في العصيان والنكران للحق [4].

وهو ما يوضحه لنا التعبير القرآني الهادف إلى بناء وتشكيل صور جمالية خلاقة متميزة

---

1- أنظرشلتاغ عبود شراد ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ،ص164.

2- محمد لطفي الصباغ ، التصوير الفني في الحديث النبوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط: 1 ، 1983 ص489.

3- فاطر :36.

4- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ،578/2.

نستطيع ملاحظتـه فـي التوضيح الذي أدلى بـه سيد قطب عن التصوير الفنـي الذي يقول عنه هو " الأداة المفضلـة في أسلـوب القرآن ، والقاعدة الأولى للبيـان "[1]. مضيفـا :" أنـه يعبـر بالصورة المحسـة المتخيلـة عن المعنـى الذهني والحالـة النفسيـة ، وعـن النموذج الإنساني والطبيعـة البشريـة ، كما يعبـر عن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها ، فيمنحها الحيـاة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة ، فإ ذا المعنى الذهني هيئـة أو حركة وإذا الحالة النفسيـة لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنسانـي شاخص حي . فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمنـاظر ، فيـردها شاخصة حاضرة فيها الحيـاة ، وفيها الحركة ، فإذا أضاف إليهـا الحوار ، فقد استوت لها كل عناصر التخيل"[2].

---

1- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص71.

2- المرجع نفسه ، ص71.

### 1-2- **خصائص الصورة** :

يمكننا محاولة التعرف على خصائص الصورة بشيء من الإيجاز وبالقدر الممكن.

### **1 -2-1- التخيل الحسي :**

إن هذا النوع من الخصائص يعتبر القاعدة الأولى والسمة البارزة ، التي يعتمد عليها التصوير الفني في القرآن . علما بأن " الخيال هو الميدان الذي تظهر فيه الصورة الفنية . إن هذه الصور تعمل عملها في الخيال ، وتدخل إليه عن طريق الحس والوجدان ، وتثير في النفس شتى الانفعالات والأحاسيس والتأثيرات ، وعندما يكون اكتشافه للصور الفنية أدق وتذوقه لها أتم وبيانه لها أوضح "[1].

والتخيل الحسي الوارد في الآيات القرآنية التي تندرج ضمن التصوير الفني للقرآن الكريم في قوله تعالى : { **قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا**} [2]. وإن هذا لون من ألوان التخيل ، الذي يتمثل في الحركة السريعة المنحصرة في الآية السابقة في قوله تعالى :{**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**}، وهي الصورة المثيرة للخيال في حركة الاشتعال التي تدب في الرأس ، كحركة اشتعال النار في الهشيم[3]. وفي هذا التصوير ما نلمسه من إحساس ندركه عن طريق الخيال الذي يضفي عليه هالة

---

1- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني ، ص131.

2- مريم : 4.

3- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص78.

من الجمال الفني الوارد عن طريق التشبيه للشيب بشواظ من النار في نصاعة بياضه وانتشاره في الشعر ، وأخذه منه مأخذ الاشتعال بالنـار [1].

ومن ضمن هذا القبيل من التخيل الحسـي في التصوير الفنـي في القرآن كذلك قوله تعالى :{ **إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُواْ عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاء وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي** } [2]. أي أن الذين لا يومنـون بالآيـات القرآنيـة المنزلـة على الرسول صلى الله عليه وسلم ، وكذبوا برسالتـه مستكبرين جاحديـن فإنهم لا ينتفعون ولا يتحصلون على أي شيء من عمل طيب ، ولا يمكن لأرواحهم أن تصعد إلى السماء كما تصعد أرواح المؤمنـين [3]. ولا يدخلون الجنـة حتى يدخل الجمل فـي ثقب الإبـرة وفي هذا تمثيل الإستحالة فـي ولوج الكفار الجنـة ، كما يستحيل على الجمل وهو بتلك الضخامة أن يدخل ثقب الإبرة . وفي هذا مبالغة في التصوير مع ما فيه من الدقة الفنيـة التخيليـة [4].

ويبدو التخيل الحسي أنـه الخاصية التـي تشتمل على الوضوح ، والبنيـة الأولى التـي تبنـى عليها الصورة ، والممكنة الوجـود في كافـة الصور الفنية ، إلى أن أصبح من القواعد العامـة للتصوير ، وللتخيل الحسي لدى سيـد قطب ألـوان حصرها في خمسة ألـوان [1]. نحاول التعرض لها فيما يلي :

---

1- الزمخشري ، تفسير الكشاف ،2/4.

2- الأعراف :40.

3 – الزمخشري ، تفسير الكشاف ،107/2.

4- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير، 446/1.

**2-2-1-ألـوان التخيـل الحسـي**

1- **التشخيـص** : يذهب سيد قطب في تعريفـه للتشخيص بأنه " يتمثل في خلع الحيـاة على المواد الجامـدة ، والظواهر الطبيعيـة والانفعالات الوجدانية . هذه الحيـاة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية ، وتشمل المـواد والظواهر والانفعالات ، وتهب لهـذه الأشياء كلها عواطف آدمية وخلجات إنسانيـة ، تشارك بها الآدمييـن ..."[2]. عن طريق الأخـذ والعطاء ويشعرون بالحيـاة في شتى المجالات التي تقع عليها العيـن ، أو تشتمل على إحساس مرهـف . والتشخيص يبـدو في كـثيـر من السـور القرآنيـة ، وهو المعـروف عند البلاغيين بــ :" المجـاز" وهو اللفـظ المستعمل في غيـر ما وضع لـه لعلاقـة المشابهـة . وهذا النوع من التصوير يبعث في النفس معانـي الجمال والانشراح ، حسب ما ذهب إليـه " البلاغيون فإن النفس تأنس بالشيئ الحسي أكثر مـما تأنس بالمدرك المعنـوي " [3].

ومن الأمثلـة على وجود التشخيص في الصور القرآنيـة ما نلاحظه في الآيـة التي تشخص جهنم : { **إِذَا أُلْقُـواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَـا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُـورُ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ** } [1].

---

1- العرابي لخضر ، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية ، ص125.

2- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص73.

3- العرابي لخضر ، الدراسة الفنية المعاصرة للقصة القرآنية ، ص126 ، نقلا عن : سمير أبو حمدان ، الإبلاغية فـي البلاغة العربية ، ص 146.

ففي هاتين الآيتن رسم لمشهد من مشاهد جهنم في حالة غيظ شديد، لأن جهنم مخلوق حي من مخلوقات الله ، وعند استقبالها للذين كفروا ، تحاول أن تخفي قلقها الشديد فتتصاعد زفرات أنفاسها في شهيق وتفور ؛ فتمتلئ جوانحها غيظا ، لما تحمله من بغض وكره للكافرين .

والمتمعن في هذا التعبير الذي ورد في الآيتين ، يكتشف أنه في ظاهره تصوير مجازى لحالة جهنم . ومع ذلك فهناك إحساس يقر بالحقيقة . لأن لكل خليقة من خلق الله حياة تتميز بروح من نوعها الخاص بها ، وتسبح بحمد ربها ، وتقف مندهشة عندما ترى الإنسان يكفر بخالقها. وتتميز غيظا من الجحود المنكر وتنفر منها روحها ، وتلك حقيقة جاءت في القرآن في مواضيع كثيرة ومنه قوله تعالى : {**تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلاَّ يُسَبِّحُ بِحَمْدَهِ وَلَكِن لاَّ تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا**}[2]. وكذلك قوله تعالى : {**وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ**}[3]. هذه تعبيرات لا مجال فيها للتأويل [4].

---

1- الملك : 7- 8.

2- الإسراء : 44.

3- سبأ : 10.

4- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 3634/6 -3635.

وفي وجود التشخيص التخييلي في الصور القرآنية . في المثال الوارد سابقا عن تشخيص جهنم {**سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ ، تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ** } [1]. أي أن جهنم من المخلوقات الحية من البشر التي تتصف بكظم الغيظ ، الذي يؤدي إلى إرتفاع أنفاسها ، فتفور وينطلق منها شهيقا يحدث هلعا شديدا مخيفا .

2- **التخيل بتوقيع الحركة** : فالصور الفنية للقرآن الكريم تبرز لنا الكثير من الرسوم لصور متحركة تعبر عن معنى من المعاني ، أو حالة من الحالات ، "ويذهب الحس والخيال مع هذه الحركات المصورة ، ولكن الريشة المصورة المعجزة لا ترسم هذه الحركات كلها دائما وإنما تبقى الحركة الأخيرة حيث يقف التعبير على الحركة التي قبلها" [2]. والأمثلة على هذا اللون كثيرة في القرآن الكريم . وخير مثال على ذلك ، ما جاء في قوله تعالى : {**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ**} [3]. أي أن هناك من الناس من يعبد الله على حافة وطرف من الدين ، مذبذبين بالنسبة للذين لا يعبدون الله عن ثقة ويقين بل عن قلق واضطراب [4]. حيث تصور الآية هذا النوع من الأشخاص كأنهم في حركة جسدية متأرجحة موشكة على السقوط عند الدفعة الأولى . وبذلك ينقلب على وجهه [1] إذا ما أصيب بمكروه وبلاء فيرتد ويعود إلى ما كان عليه من الكفر.

---

1- الملك : 7-8.

2- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص140.

3- الحج :11.

4- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 282/2.

ومنها صورة النجاة من الوقوع في الخطر المتمثل في قوله تعالى : {**وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ**} [2]. أي النص القرآني يشير إلى عمق المشاعر ، ويحاول الغوص في عمق ، ليصور القلوب على أنها عبارة عن حزمة مؤلفة متناسقة بيد الله ، كما يرسم لنا النص صورة لما هم فيه ، ومشهدا حيا متحركا ، يتمثل في حركة السقوط في حفرة النار متماثلة أمام الأعين ، إذا بإرادة الله تمد لتعصم تلك المخلوقات من الخطر المحقق ، وتلك هي صورة النجاة والخلاص بعد الخطر المرتقب [3].

3- **اللون الثالث** : يتمثل في الحركة المتخيلة التي تبعث في النفس بعض التعبيرات ، لأن الصورة القرآنية تتكون في بعض الأحيان "من ألفاظ تبنى عليها هذه الصورة أو جزء من أجزائها ، وبعض هذه الألفاظ يلقي في نفس القارئ وحسه وخياله حركة متخيلة ، وهذه الحركة لا ترد على الخيال لولاه . إذ يكون في تركيب هذا اللفظ ودلالته ما يستدعيها"[4].

---

1- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2412/4.

2- آل عمران :103.

3- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 443/1.

4- صلاح عبد الفتاح الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب ، ص142.

وهو ما يمثله قوله تعالى:{ **وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاء مَّنثُورًا**}[1]. وإذا أمعنا النظر في هذا النص القرآني نلاحظ فيه" لفظة "فقدمنا" ذلك أنها تخيل للحس حركة القدوم التي سبقت نثر العمل كالهباء . وهذا التخيل يتواري بكل تأكيد لو قيل : وجعلنا عملهم هباء منثورا . حيث كانت تنفرد حركة النثر وصورة الهباء دون الحركة التي تسبقها : حركة القدوم"[2].

وبالمثل ما ورد في قوله تعالى :{ **وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِيَ آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ** }[3].

ففي كلمة "فأتبعه الشيطان" تشعر الخيال بحركة متخيلة لإنسان خرج عن طاعة الله ، ينسلخ إنسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه ، ويتجرد من الغطاء الواقعي ، والغطاء الحامي ، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى ، فيصبح غرضا للشيطان ، يتبعه ويستحوذ عليه لكي لا يعود إلى الآيات التي تخلى عنها وتركها خلفه [4].

انطلاقا مما في هذه الأمثلة وغيرها ، نلاحظ أن تلك الحركة المتخيلة ماكان لها أن تبرز في الخيال ، إلا عن طريق تلك الألفاظ المصورة التي تبث الإحساس في النفس وتشعر الخيال بهذه الحركة .

---

1- الفرقان :23 .

2- سيد قطب ، التصوير الفني في القرآن ، ص76-77.

3- الأعراف : 175.

4- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 1396/3 .

4- **اللـون الرابع** : يتمثل في حركات سريعة متخيلة فهذا النـوع من التعبير القـرآني في حالــة تشخيصه ورسمـه للصـور الفنية ، ذات حركـات سريعة متتابعة متخيـلة ، توصـل إلى إتمـام تلك الصـور ، ومن ضمنها صـورة الذي يشـرك بالله ، كما جـاء فـي قولـه تعالـى : {**حُنَفَاء لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاء فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ** } [1]. وفي هذا تمثيـل للمشرك في ظلالـه وهلاكـه ، كما يلاحـظ وهو يهوي فـي سرعـة الحركة وشدتها وتتابع الخطـوات في اللفـظ "بالفـاء" ، والإختفـاء بسرعـة ، على شاكلة القـرآن الكريـم في التعبيـر بالتصوير .

وتلك هي صـورة لمـن يشرك بالله ، فيصبح من الذيـن انزلقوا من أفـق الإيمـان القوي إلـى مهاوي الفنـاء والا نـدثار . فـاقدا لقاعدة التوحيـد والاستقـرار النفسي والاطمئنـان ، وينساق وراء الأهواء ، التي تتقاذفها الأوهـام حسب تقاذف الرياح ، ولا يتمسك بالعـروة الوثقى ، تلك القاعدة الثابتـة للإستقرار في الوجـود الذي يعيـش فيـه [2].

وليس ببعيد عما يشبـه ذلك بالنسبـة للحركة المتعـددة السرعة المتخيلـة قولـه تعالـى : {**مَن كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَّن يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالأَخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعَ فَلْيَـنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْـدَهُ مَا يَغِيظُ** }[3]. هذه صـورة من الصـور العجيبـة التخيليـة السريعة التي تلاحظ في الذيـن يئسوا من نصـرة الله لنبيـه محمدصلى الله عليه وسلم ، فلينصرفوا لقتل أنفسهم إن كان الأمـر يتعلق بغيظـهـم . فإن النصر لا محالـة آت من الله .

---

1- الحج : 31.
2- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2421/4-2422.
3- الحج : 15 .

5- **اللـون الخامس** : يتمثـل في حركة التخيـل الساكن الذي يبعث في التعبير القرآنـي الحيـاة والحركـة " فينتفض حيـا متحركا ... عن طريق الحس والخيـال ، يمـلأ النفس شعورا بالجمال "[1]. وما نلاحظه ينطبـق على ما جاء فـي قوله تعالـى :{ **وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاء عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**} [2]، وهو ما يدل على صورة الأرض الساكنـة التي تبعث فيها الحيـاة والحركة من جديد من جراء تلك العيـون التي تنفجـر من الأرض بسبب سقوط الأمطار من السمـاء .

## 2- أثر التصوير القرآني في النثر :

وبهذا القدر اليسير من الاستعراض التصوري للقرآن الكريم ننتقل إلى تقديم بعض النماذج التصويرية التي حاول كتاب نهضـة الإصلاح في الجزائر استنباطها واستلهامها من القرآن الكريم في كتاباتهم النـثرية.

### 2-1- اللفظ المعبرعن الصورة :

لقد حدث أنـه فـي بعض الأحيان تشترك عدة ألفـاظ فـي عبارة رسم الصورة الفنيـة تـارة وتارة أخرى تكون مساعدة على استكمال معالمها ، وبالتالي تكون الصورة قد استكملت رسمها التام .

---

1- الخالدي ، نظرية التصوير الفني عند السيد قطب ، ص145 .

2- القمر : 12.

وهذا جانب من الجوانب التي يطلق عليها نوع من الإعجاز في التعبير القرآني إلا أن هناك نوعا آخر من هذا الإعجاز أسمى منه ، ذلك أنه " قد يستقل لفظ واحد-لا عبارة كاملة- برسم صورة شاخصة - لا بمجرد المساعدة على إكمال معالم صورة – وهذه خطوة أخرى في تناسق التصوير ، أبعد من الخطوة الأولى ، وأقرب إلى قيمة جديدة في التناسق . خطوة يزيد من قيمتها أن لفظا مفردا هو الذي يرسم الصورة ، تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن وتارة بظله الذي يلقيه في الخيال ، وتارة بالجرس والظل جميعا "(1).

ويمكننا أن نتوقف عند اللفظة القرآنية التي لها علاقة بالصورة . ولكن ذلك لا يمكن أن يكون من حيث البنية اللغوية الموسيقية نفسها بل بالعكس يكون من حيث رسم صورة قرآنية أو استحضار مشهد قرآني . عند استخدام الكاتب لها في سياق خاص ، بحيث يحصل الفضل في جعل تلك اللفظة المعبر عنها بالصياغة التي تساهم في تداعي المعاني والصور التخيلية لدى المتلقى المثقف بالثقافة القرآنية ؛ لأن : " أسرار الإعجاز الأدبي لا تكون في المعاني اللغويه والنحوية ، وهي المعاني الأولى ، وإنما تكون في المعاني الثانية ، وهي التي يحملها الأديب اللفظ أو العواطف البشرية التي تمتلئ بها الألفاظ والتراكيب "(2).

والأمثلة اللفظية القرآنية التي استعان بها الكتاب الإصلاحيون وتجاوزت المعاني اللغوية الأولى ، إلى الاستعارية الثانية ، وصارت عندها محملة بصور عاطفية خفية ، ومن ذلك

---

1-سيد قطب ، التصوير الفني ، ص91.

2- عبود شراد شلتاغ ، أثر القرآن في الشعر العربي الحديث ، ص174 ، نقلا عن الدكتور : محمد أحمد خلف الله الفن القصصي في القرآن الكريم ، مكتبة الانجلوا المصرية ، القاهرة ، ط : 3 ، 1965 ، ص237.

ما ورد في موضوع للإبراهيمي عن حديثه عن مهام جمعية علماءالمسلمين ، وفي عنصر فرعي بعنوان "عملها في توجه الأمة ". إذ يقول في فقرة منه : " إن الأمة الجزائرية -كغيرها من الأمم الإسلامية - ما سقطت في هذه الهوة السخيفة من الإنحطاط إلا حين فقدت القيادة الرشيدة في الدين ، تلك القيادة التي هي قبس من شعلة الوحي ، وشعبه من قوة النبوة ، التي تنبثق عنها جماعات المسلمين ، حينما يضرب الفساد والنخر في أصول مجتمعهم .

فإذا وحدت الأمة هذه القيادة التي لا يسفه في يدها زمام ، ولا تضطرب مقاده . وجدت نفسها ؛ ومن وجد نفسه وجد الحقيقة " [1].

وفي هذا توضيح بأن الأمة الجزائرية ما هي إلا جزء من الأمم الإسلامية ، التي فقدت سلطتها وقوتها ، وصارت إلى الإنحطاط أقرب منه للتحضر ، والسبب في ذلك يعود هنا للتخلي عن القيادة الرشيدة في الدين ، لأنه لا يمكن صلاح الأمة إلا بالعودة بما صلح به أولها .

وهو بتعبير : " تلك القيادة التي هي قبس من شعلة الوحي" التي يقدم لنا فيها صورة غنية ، عن القيادة الرفيعة الشأن ، الثابتة الإيمان ، وإن ما يهمنا في هذا النص هي اللفظة المعبرعنها بـ: "قبس" التي استلهمها الكاتب من القرآن الكريم الوارد في قوله تعالى : {**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ، إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى**} [1].

---

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 35/2.

ومعنى هذا أن موسى عليه السلام "ذهب يطلب قبسا من النـار ؛ ويطلب هاديـا فـي السرى ... ولكنه وجد المفاجـأة الكبرى . إنها النار التي تدفئ لا الأجسام ولكن الأرواح "[2].

وفي هذا ما يكسب اللفظـة " قبـس" في بعدها القرآنـي صياغة تصويرية فنيـة قويـة ، وعمقا تخيليـا ، وجودة نص الكاتب ، لأنـه قبس القدرة القويـة ، ذات النـور الإلهي الساطع ، الذي تهتدي به الأمـة ، وبـه وحده تستطيع الخروج من ظلمات المحنة العسيرة التي تتخبط فيها الأمـة .

وفي نـص آخر للإبراهيمي يتحدث فيه عن اللغة العربية ، بعنوان اللغة العربية فـي الجزائر . عقيلة حرة ليس لهـا ضرة . إذ يقـول فيه : "وطار إلـى البربر منها قبس لم تكن لتطيره لغـة الرومان ، وزاحمت البربريـة فأحالتها عربية ، كل ذلك باختيار ولا أثر فيه للجبر ، واقتناع لا يد فيه للقهر ، وديموقراطية لا شبح فيها للاستعمار . وكذب وفجر كل ما يسمى الفتح الإسلامي استعمارا "[3].

وفي هذا التوضيح للمكانة التي حظيت بها اللغة العربية في الجزائر ، دون سواها من اللغات مفندا تلك الأقـوال الدعائية المغرضة بأنــها لغة استعمار ، ولكــن انتشارها كــان عكس ما يروج له كلا من دعاة التفرقة ، وزرع البلبلة ، والتشتت من أجل إحلال الاستعمار.

---

1- طه : 9-10 .

2- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2330/4.

3- محمدالبشير الإبراهيمي ، عيون البصائر ، 221/2.

وما يضفي هالة على هذا التصوير البارع ، هو تلك الاقتباسات اللفظية القرآنية كالتي أشرنـــا لها آنفــا والتي أوردها الإبراهيمي في عبــارة نصه قائـــلا : "وطار من البــربر منها قبس" التي ضمنها لفظة " قبس" المستقاة من سورة طه الآية (10) التي مرت بنا ، وفي هذا الاستعراض الذى يصور لنا ظاهرة انتقال هذه اللغة العربية ، وكيفية تقبلها من طرف الأهالي الجزائريين وخاصة منهم المتدينين بالدين الإسلامي ، المشتمل على التوجيهات الإلهية الهادية إلى النور المبين ، والوعد الحق.

وإذا ما انتقلنا من هذه اللفظة إلى لفظة أخرى استحضرها الكاتب الإبراهيمي في موضوع له ، يتحدث فيه عن أثار اعتقــال الأستاذ العقبي نتيجة قيامه بالدعوة الإصلاحية ، التي نذر رجال الإصلاح من أجلها أنفسهم حين يقول : "وإننا لنبتهج بالمصيبة تصيبنا في سبيل الإصلاح أضعاف ما يبهج غيرنا بالطيبات والمسار وتعد كبيرها أعضل وآذى صغيرا هينا وخفيها مهما أفظع وبغت ظاهرا جليا ، ونأسى لأغبابها عنا كما يأسى المحل للجدب ، ونترقب إلمامها بساحتنا كما يترقب غيرنا النعم والخيرات لعلمنا أن المعاني التي تتركها في نفوسها هي المعاني التي نصبوا إليها وإن تمر سنابـها باب من أبـواب الرجولة وسبيل من سبلـــها "[1].

يلاحظ في هذا النص ، أن الإبراهيمي وظف لفظة "يترقب" التي استقاها من الآية الكريمة فـي قوله تعالـى: {**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا الَّذِي اسْتَنصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ** }[1] ، وتوضيح قوله تعالـى : {**فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبْ**}، معناها أن موسى عليه السلام الذي قتل القبطي ، أصبح بعد وقوع الحادث يتوجس الخوف على نفسه ، وينتظر المكروه ، نتيجة لما بدر منه في إغتياله للقبطي [2].

1- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 207/1.

ولفظ "يترقب" يصور حالة القلق التي تنتاب موسى عليه السلام ، ويتوقع الشر في كل لحظة وتفيد اللفظة "يترقب " سمة الشخصية الإنفعالية البارزة سواء تعلق الأمر بما ورد في نص الإبراهيمي، وفـي موقف موسى عليه السلام ، لأن التعبير بتلك اللفظة يجسم هيئة الحيرة والقلق ، ومما يزيد فـي الضخامة هي كلمة "في المدينة" التي تعرف في أكثر الحالات بأنها موطن الإستقرار والأمن والراحـة ؛ لأن الإضطـراب والخـوف الكبير ما كان في مأمـن ومستقر! [3].

وفـي حديث آخر يستعرض الإبراهيمي ، فضل اللغة العربية على العلم والمدنية التي تأثرت بها الأمم غير العربيــة ، يقـول أن : " العربيــة لم تخدم مدنية خاصة بأمة . وإنما خدمت المدنية الإنسانية العامة ... ، وقد كانت هذه اللغة في القرون الوسطى يوم كان العالم كله يتخبط في ظلمات الجهل هي اللغة الوحيدة التي احتضنت العلم وآوته ونصرته"[4].

---

1- القصص : 18.

2- محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، 428/2.

3- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2682/5.

4- محمدالبشير الإبراهيمي ، أثاره ، 263/1.

وهذا توضيح لقيمة اللغة العربية ومكانتها الرفيعة في تاريخ الإنسانية ، التي كانت كالشمس الساطعة على العالم كله لإزالة ظلمات التخلف والجهل التي تتخبط فيها البشرية جمعاء.

وفي حديث الإبراهيمي السابــق عن اللغـة العربية ، نلاحظ تأثره بالقــرآن الكريم وخاصة فـي استحضار اللفظة القرآنيـة " ظلمــات" التــي اقتبسها من الآية الكريمة فـي قوله تعالـى :{ **أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِـي بَحْرٍ لُّجِّيٍ ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ، مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ . ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ، إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا . وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُــورًا فَمَا لَهُ مِّنْ نُــورٍ**}[1] .

ومعنى ذلك أن الكفر ظلام مختلف أشد الإختلاف عن هدى الله ونوره المنتشر فـي الكون . وصورة" الظلمات" هي المشهد الذي يؤدي بالنـاس إلـى الظلال والكفر ، الذي لا يمكن التغلب عليه ، إلا إذا جاء بعده مشهد الإيمان ، الذي ينير الكون الفسيح ، المتمثل في الوجود كله ، شاخصا يسبح لله وحده [2].

وفـي نـص آخر لمحمد السعيد الزاهري يشير فيه إلى جماعة الإصلاح الديني التي اتخذت القرآن الكريم دستورا لها لتنير بـه أفكار الشباب الجزائـري ، وإزالة ما تعلق بأذهانهم من ثقافة التضليل ، والخرافات الواهية التي لا تمت بأي صلة إلـى الإسلام ؛ لأن الإسلام الصحيح هـو الوحيـد الـذي يخرجهم مـن الظلمـات إلـى النور . وذلك بفضل تلك " الفئة المباركة مـن جماعة " الإصلاح الديني" التي جعلت دستورها القرآن الكريم الذي هو خير جامعة تجمع أشتات الجزائريين المتناثـرة . وفقت إلـى أن تهـدم كثيرا مما علق بالإسـلام من خرافات وأضاليل ، وهي ترجوا أن يهيئ الله لها من أمرها رشدا ، للعودة بالمسلمين إلـى الدين الخالص ، والإسلام الصحيح ، ويخرجهم من الظلمات إلـى النـور " [1].

---

1- النور : 40.

2- أنظر سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 2521/4.

والهدف من استعراضنا لهذا النص هو ادراج الكاتب للفظة : "الظلمات"- التي استلهمها من القرآن الكريم - لتصوير المشهد الواقعي للشباب الجزائري ، وخاصة ما يحاول الاستعمار القيام به من أجل إبعاده عن دينه الإسلامي وإيقاعه في أتون الإلحاد ، والشك والحيرة ، مستندا في ذلك على ما جاء في قوله تعالى : { **هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ** }[2]. وهذا يهدف إلى إظهار نعمة الله التي وجدت بين أظهر الشعب الجزائري ، المتمثلة في جماعة الإصلاح التي تدعو الأمة بلغة السماء وتخاطبهم بكلام الله ، قائلين لهم لقد أخطأتم وأثمتم فتوبوا إلى الله ولا تقنطوا من رحمته التي وسعت كل شيء .

تلك هي دعوة جماعة الإصلاح المستمدة من القرآن الكريم . وهو ما يجب التمسك به والاقتداء بهديه الذي ينير لهم الطريق ، ويهديهم إلى سبيل الهدى والرشاد . وممكن إيضاحه بشتى الوسائل ، ومن ضمنها المثل الذي سنتطرق إليه في الصفحات الموالية .

---

1- محمد السعيد ، الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، ص38.

2- الحديد : 9.

**2-2- المثـل :** " والمثـل والمثيل كالمثـل والجمع أمثـال ... والمثـل الشيء الذي يضـرب لشيىء مثـلا فيجعله مثلـه" [1] ، "ومثل الشيىء أيضا : صفتـه" [2].

وللتوضيح أكثر نسوق ما ورد عن أبـي عبيد بأن : "الأمثـال حكمة العرب فـي الجاهلية والإسلام ، وبها كانت تعارض كلامها فتبلغ بهـا ما حاولت من حاجاتها من المنطـق لكنايـة غير تصريح ، فيجتمع لها فـي ذلك ثـلاث خلال : إيجـاز اللفظ ، وإصابة المعنى ، وحسن التشبيه ، وقد ضربـها النبي صلى الله عليه وسلم ، وتمثل بها هو ومـن بعده مـن السلف"[3].

و لقد جـاء عن الرسول صلى الله عليه وسلم : "**إِنَّ مِنَ الْبَيَـانِ لَسِحْرًا** "، ويعنـي بذلك الرسول عليه السلام ، أنـه كثيرا مـا يصدر من كـلام البلغـاء ، ما يـؤدي إلـى إظهـار وإبـراز الباطل في صورة حـق ، ومعلـوم أن البيـان هو عبـارة عـن إجتماع الفصاحـة والبلاغـة مـع ذكاء القلب ، وطلاقـة اللســان ، وقـد شبـه ذلك بالسحـر لقـوة تأثيره فـي قلب السامع وهكـذا نجـد هـذا المثـل يضرب في حالـة إستحسان المنطـق ، وإبراز الحجـة البالغـة [4].

---

1- إبن منظور ، اللسان ، م: 11، ص 611.

2- الجوهري ، الصحاح ، 1816/5.

3- السيوطي ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الجيل بيروت ، د-ط ، د-ت، 486/1.

5- أنظر الميداني مجمع الأمثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، د-ت ، ط:2، 15/1.

وهكذا نجد أن " الأصل في المثل أنه قائم على تشبيه شيء بشيء لوجود عنصر تشابه أو تماثل بينهما ، أو لوجود أكثر عنصر تشابه"(1).

**2-2-1- التمثيل البسيط :**

وهو الذي يشتمل على التمثيل المفرد ، " لأن الممثل له يشابه الممثل به ومن وجه من الوجوه أو جانب من الجوانب ، كتمثيل الجاهل بالأعمى ، والعالم بالبصير والجاهل بالظلمات والعلم بالنور "(2).

**2-2-2- التمثيل المركب :**

وهو التمثيل الذي يلاحظ عليه على أنه يقدم على شكل لوحة تصور أكثر من مفرد ووجه الشبه فيه لا يكون مأخوذا من مفرد بعينيه ، بل يكون مأخوذا منه ومن غيره أو من الصور العامة "(3).

ونستطيع أن نسوق أمثلة للتمثيل البسيط من طرف أحد المصلحين من رجال جمعية العلماء وهو العربي التبسي . في مقال له بعنوان : " نداء" الموجه للشعب الجزائري ليكون مستعدا لليوم العظيم الذي هو افتتاح الأمة الجزائرية لمؤسستها الكبرى هي : دار
التلميذ الجزائري ، حيث سعت جمعية العلماء الجزائريين لإخراجها للوجود ، " وقدمتها

1- عبد الرحمن حسن الميداني ، أمثال القرآن ، دار القلم دمشق ، ط :2 ، 1992، ص19.
2- المرجع نفسه ، ص45.
3- المرجع نفسه ، ص45.

باسم الله إلى شبابنا العامل المناضل في سبيل الدين والعروبة ، والقومية والوطنية لتكون له مأوى الراحة والاستقرار ، يركن إليها فيجد فيها الهناء والسعادة ، ويصفو لـه طلب العلم والتفرغ لـه ، والبقاء فيه ، ويغدق على الأمة بعد حين من فيض علومه ، ونور قلبه وخالص نصيحته ما يخرجه من الظلمات إلى النور ، ويهديها الطريق السوي الذي يبوؤها مقعد صدق لدى الأمم الحية الراقية ، والعقل السليم في الجسم السليم "[1].

تطرق الكاتب في هذاالنص إلى عدة مضامين وأهداف تمكن الطلبة الذين يؤمون المؤسسات العلمية من التزود منها بما يكفيهم من الأفكار التي تنير عقولهم ، وهو ما عبر عنه الكاتب في نصه السابق كمضرب للمثل ، لذلك النشء الذي ينهل من فيض تلك العلوم التي تخرجه من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان وهذا مصداقا لقوله تعالى : {**رَّسُولًا يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ لِّيُخْرِجَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا**}[2].

وكذلك قوله تعالى:{ **الَر كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ**}[3] أي ليخرج المؤمنين المتقين من الضلالة إلى الهدى ، ومن ظلمة الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم [1]

1- العربي التبسي ، مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق :شرفي أحمد الرفاعي ص221-222

2- الطلاق :11.

3- إبراهيم :1.

نلاحظ أن الكاتب في تمثيله له دلالة واضحة بتأثره بهذه الآيات القرآنية التي حاول أن يقدم لنا من خلالها صورة تمثيلية من فيض القرآن الكريم الذي شبه فيها الظلمات بالجهل والعلم بالنور وهكذا .

أما إذا إنتقلنا إلى النوع الثاني من التقسيم التمثيلي ، وهو التمثيل المركب الذي جاء في لوحة المثل ، التي تصور " المنافق المتردد المتذبذب الحيران ، الذي تتجاذبه المتناقضات وهو قادر على أن يسمع الإنذارات التي تهز قلبه ، ولكنه يعرض عنها"[2].

ونوع هذا التمثيل الذي ينطبق على المنافقين ، ورد في قوله تعالى : {**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لاَّ يُبْصِرُونْ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونَ ، أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي ءَاذَانِهِمْ مِّنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتُ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ، يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطِفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُمْ مَّشَوْا فِيهِ وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ ، إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**}[3].

فالنص يشتمل على مثلين للمنافقين : فالصنف الأول مرد على النفاق ، وهم الكفار

---

1- أنظر محمد علي الصابوني ، صفوة التفاسير ، ص403، ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، ص2916.

2- عبد الرحمن الميداني ، أمثال القرآن ، ص21.

3- البقرة :17-20.

دون شك ، انهم كانوا يتظاهرون بالإسلام من أجل تضليل المسلمين ، وهؤلاء هم الذين نزل فيهم قوله تعالى :{**صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لاَ يَرْجِعُونْ**}[1]، خلاف للصنف الثاني من المنافقين
المتذبذبين بين الإيمان والكفر ، وهو إلى الكفر أقرب.

وعلى غرار هذا التمثيل القرآني نلاحظ عبد الحميد بن باديس يقتبس هذا التمثيل ويستعمله من أجل تبليغ الرسالة التي قام رجال الإصلاح بتوصيلها إلى من هم بأمس الحاجة إليها من الأمة الجزائرية ، ألا وهي الدعوة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح ، وهو القائل لقد : "رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات ، فكان لزاما أن نؤسس لدعوتنا صحافة نبلغها للناس فكان المنتقد وكان الشهاب ونهض كتاب القطر ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام وفتحوا بكتاب الله وسنة رسوله – صلى الله عليه وسلم – أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا "[2]، وفي هذا ما يوضح دور ما قام به رجال الإصلاح من الأعمال الجليلة التي فتحت آفاقا ومجالا واسعا في حياة الفرد الجزائري الذي ظل سبيل الهداية بسبب ماكان رجال التبشير الذين استقدمهم الاستعمار معه يروجون له ، وهو الأمر الذي أشار إليه الكاتب بأن ما قاموا به نحو مجتمعهم هو فتح : " أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا "[3].

---

1- البقرة : 18 .

2- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 28/3.

3- المرجع نفسه ، ص28

إن ما ذهب إليه الكاتب في تمثيله الذي قدمه في نصه السابق ، أن عملهم أي رجال الإصلاح ، كان حقا الأسلوب الأمثل في فتح الآفاق للذين كانوا فاقدي الحواس لا يرون ولا ينطقون ولا يسمعون ، وقلوبا مغطاة ، إلا أن إرادة الخالق كانت فوق إرادتهم ، إذ ساق إليها من يهتم بأمر هذا الصنف من شباب الشعب الجزائري ، بواسطة تلك النداءات الموجهة إليهم سواء عن طريق النداءات المكتوبة أو المسموعة من أجل العودة إلى أصالتهم والتمسك بشخصيتهم ، وفعلا كان لذلك أثره في إعادة أولئك الشباب سمعهم وأبصارهم وتفتحت قلوبهم على الحقيقة وجادة الصواب ، والقيام بكل ما يمليه عليهم الواجب الوطني والديني .

وبهذا الموقف الجاد ضد كل من تسول له نفسه المساس بقيم الدين الإسلامي الحنيف أو الحط من قيمته السمحاء نجد ابن باديس ومن معه من زملائه قد نذروا أنفسهم من أجل الدفاع عن الدين والوطن حتى في أحلك الظروف والمواقف ، ومن ضمنها ما حدث في مجلة "المقتطف" وفي مقال بعنوان : "مفاخر أور الكلدانيين" من طرف كاتبه الدكتور صروف الذي ورد عنه قوله : " لقد جاء في بعض الخرافات العربية القديمة أن عاصفة من الرمل طمرت مدينة عاد فأصبحت بعد العاصفة لا عين لها ولا أثر"[1] ، إطلع عليه ابن باديس فأجابه معلقا عن ذلك بأننا : " لا نشك أن كاتب المقال ليس مسلما ، كما لا نرتاب أنه لا يجهل أن قصة عاد من قصص القرآن، فتعبيره عنها بالخرافة من سوء الأدب..

1- ابن باديس ، حياته وأثاره ، جمع ودراسة : عمار الطالبي ، 16/3.

إن القرآن العظيم كما يسلك في أدلته العقلية أقرب طريق وأوضحه ، كذلك يسلك في تذكيره أصدق المواعظ وأبلغها .وإنه كان يخوف العرب أن يحل بهم ما حل بالأمم قبلهم ولقد خلت قبلهم أمم كثيرة جاءتهم رسلهم بالبينات فكذبوا فأخذهم الله بالعذاب الشديد ..." وقد تواترت لديهم أخبارهم ، ومثلت أمامهم أثارهم من قوم عاد سكان الأحقاف وقوم ثمود سكان الحجر"[1].

ونلاحظ في هذا النص أن ابن باديس أجاب الكاتب صروف بأدلة تاريخية مفندة لأقواله ، بما تواتر من أخبار الأمم ، الأقرب من الأمة العربية ، والمتمثلة في آثار قوم عاد وثمود التي اقتبس استدلالاتها من قوله تعالى : {**فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**}[2]، والآية هنا تعني أن الإعراض عن الإيمان بالله بعد هذا البيان الواضح والدليل القاطع من "جولة في مصارع الغابرين ، بعد تلك الجولة في ملكوت السماوات والأرض . جولة تهز القلوب المستكبرة برؤية مصارع المستكبرين"[3].

تلك هي نوع من يمثل هذه الأدلة العقلية والنقلية التي كان رجال الإصلاح يستندون عليها للدفاع عن الدين الإسلامي ومحاولة تصفيته وتنقيحه من البدع والخرافات ، وبذلك استطاعوا التغلب على كل من تسول له نفسه المساس بكل ما جاء في القرآن الكريم أو الطعن فيه.

---

1- المرجع السابق ، 16/3.

2- فصلت : 13.

3- سيد قطب ، في ظلال القرآن ، 3117/5.

# الخاتمة

إن الملاحظ لما تعرضنا له في هذا البحث ، يكتشف أن القرآن الكريم هو المصدر الأساسي ، والمعين الوحيد الذي يغرف منه هؤلاء الكتاب ، ويلجؤون إليه في كل حين لحل ما يعترض سبيلهم من الإشكاليات ، نظرا لما ينطوي عليه ، وما يمتاز به في شتى المجالات وما اشتمل عليه من نصاعة البيان وفصاحة القول ، لذلك ومن خلال هذا البحث نجد أنه استولى على نفوسهم ، واستهوى قلوبهم ، فراحو يتلهفون إليه ، وينهلون من نبعه ، ولم يتوقفوا عند هذا الحد بل راحو يسعون ويبذلون كل ما في وسعهم من أجل إحياء مدارسته من جديد وتبليغه إلى كافة الخلق عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة ، وذلك عن طريق قيامهم بتشكيل الجمعية الإصلاحية التي أسندت إليها مهمة إنشاء المؤسسات التربوية والتعليمية ، والإشراف عليها بأنفسهم تدريسا وتنظيما ، كما هو الأمر بالنسبة لمن أسندت لهم هذه المهمة من أعضاء الجمعية كالإمام عبد الحميد بن باديس ، والإبراهيمي والعربي التبسي ومبارك الميلي ، والعقبي وغيرهم من رجال الإصلاح .

وهكذا راح رجال الإصلاح من النخبة المتحررة يدعون إلى قيام النهضة بروح من الحنكة والحكمة والتدبير مستمدين أفكارهم من القرآن الكريم وسنة رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم ، لتقويم ما لمسوه من التقهقر والجمود والضعف الملحوظ في شتى المجالات السابقة للمرحلة السائدة لما قبل النهضة ، وبهذا السلوك المنتهج ، والمستمد من القرآن الكريم ، استطاع رجال الإصلاح أن يؤثروا في مجتمعهم ، وأن يرفعوا من مستوى قدراتهم الفكرية ، بالدعوة إلى الإعتكاف على مدارسة ماجاء في كتاب الله من صور

الهداية ورموز الإقتداء والتبليغ إلـى من هم فـي حاجة إليـه ليخرجوهم من ظلمـات الجهل إلـى
نـور اليقـين للتخلص ممـا تعانيه أمتهم مـن التقهـقر والاستعباد المسلـط عليهم مـن طرف الاستعمار ومن والاهم من الإستغلاليين . ومن هذا المنطلق يمكننا أن نخلص من بحثنا هذا إلـى النتائج التالية :

**أولا** : توصل كتاب تلك المرحلة بتعاملهم مع القرآن واستلهامهم من روحه ، والإحتذاء على أسلوبـه ومنهاجه إلـى كشف و إبراز خفايـا الاستعمار وأهدافه الرامية إلى طمس المعالـم التاريخية ، وكذلك كل ما يمت بصلة إلـى الشخصية الوطنيـة الإسلامية العربيـة فـي الجزائـر وإماطة اللثـام عـن كـل ما يحاول الاستعمار الفرنسي إحلاله فـي البلاد عن طريق إسكات كل أصوات الإ نتفاضة ، وإخماد كل حركة تطالب بحقوقها المتمثلة فـي التحرر والإنعتاق ، والوقوف ضد كل ما يمكن أن يـؤدي إلى الحصول على الاستقلال . إلا أن إرادة رجال الإصلاح القويـة والحازمة أدت إلى يقظة الأمة ،والقيام بالثورة التى تكللت بالنجاح المتمثل فـي الإستقلال . ومع ذلك فالأهداف التي سطرها أولئك القـادة الذيــن خـططـوا للاستقلال لم تتحقق بعد ونتمنى من جيل الإستقلال أن يكمل المسيرة المسطرة من طرف أولئك الذين ضحـوا بالنفس والنفيس . لكي يكـون القـرآن الكريم هو دستور الأمة الجزائريـة ، دون سواه من الدساتيـر الوضعية للحفـاظ على الوطن ، والمساواة ، والعدل ، ليسود الخيـر ويضمحل الشر وينتصر الحق على الباطل .

**ثانيا** : كـان السعي من وراء اقتباس الأثـر القرآني من طرف رجال الإصلاح هو زرع الفضائـل الأخلاقية وتأكيدها ، ساعية مـن وراء ذلك إلـى تكويـن الفرد الجزائـري تكوينـا سويـا سليما من جميع الجوانب الإنسانية ، لذلك عندما نستقرئ ما خلفه هؤلاء الكتاب من تـــراث نجد أنهـم حاولوا أن يبينوا واقع الصراع ، والتجاذب الحضاري الغربي الاستعماري ، والمحلي العربي الإسلامي ، وكذلك الصراع القائم بين الإصلاحيين والطرقيـين مـن أجل إثبـات الذات عن طريـق تبليـغ تلك الرسالة الملقـاة على عاتـق رجـال الإصلاح ، الراغبين في إبراز النهضة الأدبية والفكرية وترسيخ حقيقة الثورة الجزائرية ، وتصوير الأمة الجزائرية على ضوء تلك الحالة من الإنحطاط التي لا تحسد عليه بسبب فقدانها للقيادة الرشيدة فـي الدين والوطن كما يشبهها الإبراهيمي : بأنها قبس من شعلة الوحي الـذي ينير الطريق المستقيم والهادي إلـى سبيل الرشاد ، وفي هذا التصوير نلاحظ أن هناك دعـوة إلـى إختيار القيادة الصالحة ممثلة فـي أرض الوجود لتعمل من أجل تحرير الأمة ، وإسعادها بنضامها السليم المستمد من العدالة الإلهية .

وفـي هذا التصوير توجيه وشحذ للعزائم ، وبث للأمل فـي قلوب النـاس المصابـين بالقنـوط واليـأس جراء الأعمال اللا إنسانية التـي يقوم بهـا الاستعمار الفرنسي المستبد والمتغطـرس . لذلك كـان لزامـا على رجـال جمعية العلماء المسلميـن الجزائريـين وغيرهم أن يستمروا في الأخذ من القرآن الكريم ويغرفوا منه كل ما هم فـي حاجة إليه ليسترشدوا منه ويبلغهم وأمتهـم لا محالـة إلـى بر الأمـان .

**ثالثا** : نلاحظ اعتماد الكتاب على الإقتباس من القرآن الكريم على النحو التالـي :

1 - يقتبسون آيات قرآنية كاملة ، وفي بعض الأحيان يعتمدون التضمين .

2- إقتباس شبه كامل للآيات والتراكيب معا .

3- يكون ذلك الإقتباس عبارة عن إ شارات للآيات أو السور القرآنية حسب مبلغ المتلقي من الثقافة القرآنية ، وسعة فطنته وذكائه .

4- إقتباس للفظة واحدة لا غير ، واستغلا لها فيما لها من عمق تصويرى.

5- إقتباس عدة عبارات لاستغلالها في التصوير .

6- تأثر نص من النصوص النثرية بمعاني كثيرة من القرآن الكريم .

7- محاولة التمثيل بمعاني القرآن دون استعمال العبارات نفسها .

وفـي هذا الأسلوب الإقتباسي من فيض القرآن ما يدعم ويقوي رؤية رجال الإصلاح ويسدد أفكارهم وموضوعاتهم ، سواء تعلق الأمر في ذلك بسمو اللغة أو البعد النظري والثبات على قول الحق ولو أدى ذلك إلى العواقب الوخيمة ، كالقتل بأسلوب الجبنــاء كالتسمم كما هو الأمر لما جرى للإمام عبد الحميد بن باديس ، أو الاغتيال السري غير الواضح مثل ما فعلوا بالشيخ العربي التبسي الذي لم يعرف قبره بعد ، أو النفي مثل ما وقع للإبراهيمي ، وغيره من أبناء الجزائر ، أولحكم بالسجن، كماوقع للشيخ عمر دردور والعقبي وغيرهم كثيرون.

**رابعا** : نرى فـي هذا الاقتباس من القرآن الكريم ما أهلهم على توظيف معاني القرآن الكريم وما مـكنهم من الوعي الكامل ، والتمـكن من فهمــه . وفـي ذلك ما نلمســه فيما يتضمنــه

أدبهم ، ويكتسيه من معان القرآن ، والتوجيه السليم على ضــوء ما تقتضيه الحالة النفسية
والظرفية إستجابة للمواقف الإنسانية .

**خامسا** : هناك من الاقتباس ما هو متحرر من التقليد أو المحاكاة ، ويبدو ذلك جليا فــي التدخلات الناجمة في كثير من الصور التــي حدث فيهــا تغيير وتحوير ، معتمدين فــي تصويرهم على الاقتباس من القرآن ، مع وجود علاقة التكثيف في الألفاظ ، والاختيار الدقيق للمعنى لحصر اللفظة الشاملة . والكاملة لتأدية الوظيفة الموحية ، لتقريب الصورة أو الرمز إلــى ذهن المتلقي أو السامع .

**سادسا** : نستطيع رؤية التمييز الحاصل فــي تطور المعجم اللغوي ، وإضفاء صور ورموز في النثر الجزائري الحديث التــي استمدها الكتاب من الممارسة الدائمة ، وإلتزامهم مدارسة القرآن وتدريسه ، وفــي ذلك ما يكشف ظاهرة التأثر بالقرآن ، وما تفجرت به تلك القرائح من زخم كبير أدى إلى النضج الفكري الحاصل من التجرية الأدبية النثرية الفياضة شكلا ومضمونا .

**سابعا** : من الممكن القول أن رجال الإصلاح لم تعترضهم أية صعوبة فيما يخص الأخذ من القرآن في حالة إحقاق الحقائق التــي أثبتها القرآن ، أثناء استلهامهم للمعاني والألفاظ والصور للكشف عن الأهداف المرغوب توضيحها ، وهذا يعود إلى الأسباب التالية : التكوين الجيد في اللغة ـ والتمرس عليها . والشعور القوي بالأوضاع التــي يعاني منهـا المجتمع الجزائري وأن لا حل لهذه المعظلة إلا بالعودة إلــى مـا جاء به القرآن الكريم والعمل به .

وعلى العموم فالحديث عن الاقتباس من القرآن الكريم لم يخلُ من السلبيات المثمثلة في التكلف أو النزول إلـى السهل عند استعمال الصيغ الجاهزة . ومع ذلك فالنثر الجزائري يعتمد الصدق والإلتزام بعيدا عن الغـلو ، والتزلف ، وهو دائما يسعى من أجل أن يكون أدب الإنسان ، والجمال ، والخيـر ، والحياة السعيدة المستقرة الحرة .

# قائمة المصادر والمراجع


- القرآن الكريم
- مسلم ، صحيحه ، بشرح النووي ، دار الفكر بيروت ، د- ت 1985م.
- الجواهري :
الصحاح ، دار الفكر ، بيروت ، د-ط ، 1981م .
- ابن منظور :
لسان العرب ، دار الصادر بيروت ، د-ط ، 1992 م.
- ابن كثير :
تفسير القرآن العظيم ، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت لبنان ، ط : 1 2002 م.
- ابن باديس :
حياته وأثاره ، جمع ودراسة عمار الطالبي ، ط : 2 ، 1983 م.
- ابن خلدون :
المقدمة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط: 5 ، 1984 م .
- إبن الشيخ الحسن سفيان :
المعجزة القرآنية ، دار الشهاب باتنة ، الجزائر ، ط : 1 ، 1983م .
- أبو القاسم سعد الله :
تاريخ الجزائر الثقافي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، د-ط ، ج:2 ، 1981 م

- أثار عبد الحميد بن باديس :
من مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، ط : 1 ، 1985 م .
- الجواهري :
الصحاح ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط : 3 ، 1984 م .
- الجاحظ :
البيان والتبيين ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، د-ط ، د- ت .
- أحمد مصطفى المراعي :
علوم البلاغة ، دار القلم بيروت لبنان ، ط : 2 ، 1984 م.
- أحمد الشرباصي :
موسوعة أخلاق القرآن ، دار الرائد العربي بيروت لبنان ، ط : 1 ،1971م.
- الزمخشري :
تفسير الكشاف ، تحقيق مرسى عامر ، دار المصحف القاهرة ، ط : 2 ، 1977 م.
- الأمير محمد بن عبد القادر الجزائري :
تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر ، شرح وتعليق د : ممدوح حقي ، دار اليقظة العربية بيروت ، ط : 2 ، 1964 م .
- الأمير عبد القادر الجزائري :
ثقافته وأثرها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د- ط ، 1986م .

- العربي التبسي :
مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر ، جمع وتعليق ، دار البعث للطباعـة والنشر قسنطينة ، الجزائر ، ط : 1 ، 1981 م.
- العربي الذهبي :
شعريـات المتخيل ، شركة النشر والتوزيع - المدارس- الدار البيضاء ، ط:1 ، 2000 م.
- العربي لخضر :
الدراسة الفنيـة للقصة القرآنيـة ،دار الغـرب للنشـر والتوزيع وهران الجزائر ، د-ط ، د-ت .
- السيوطي :
المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، دار الجيل بيروت ، د-ط ، د-ت .
- الميداني :
مجمع الأمثال ، منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت لبنان ، د-ت .
- بلقاسم بغدادي :
المعجزة القرآنية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د-ط ، د-ت .
- بكير بن سعد :
أضواء على الاخلاق الإسلامية ، دار البعث قسنطينة ، ط : 1 ، 1984 م.
- حنفي بن عيسى :
محاضرات في علم النفس اللغوي ، الشركة الوطنيـة للنشر الجزائر، ط : 2 ، 1980 م.

- رينيه ويليك أوستن وارين :
نظرية الأدب ، ترجمة محي الدين صبحي ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، د-ط 1987 م .
- زكي نجيب محمود :
تجديد الفكر العربي ، دار الشروق بيروت لبنان ، ط:7، 1982 م.
- محمد ناصر بوحجام :
أثر القرآن في الشعر الجزائري الحديث ، 1925-1976 ، الطبعة العربية ، غرداية ، ط :1 1992م.
- محمد السيد علي الوزير:
الأمير عبد القادر الجزائري ثقافته وأثارها في أدبه ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986م .
- محمد عباس :
البشير الإبراهيمي أديبا ، ديوان المطبوعات الجامعية بوهران ، د-ت .
- محمد البشير الإبراهيمي :
أثار الإبراهيمي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، ط : 1 ، 1978 م.
عيون البصائر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط : 1 ، ج : 2 ، 1981 م.
- محمد علي الصابوني :
صفوة التفاسير ، دار الصابوني القاهرة ، ط :9 ، د-ت .

- محمد السعيد الزاهري :
الإسلام في حاجة إلى دعاية وتبشير ، دار الكتب الجزائر ، د.ت .
- محمد الصالح الصديق :
التبيان في علوم القرآن ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، د-ط ، 1989 م.
- محمد الطاهر فضلاء:
قال الشيخ الرئيس الامام عبد الحميد بن باديس ، نشر مطبعة البعث ، الجزائر، د- ت.
- محمد عبده :
رسالة التوحيد ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، د.ت .
- محمد ناصر :
رمضان حمود ، حياته وأثره ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط : 2 ، 1985 م.

الشعر الجزائري الحديث ، دار الغرب الإسلامي بيروت ، لبنان ، ط : 1 ، 1985م .
أبو اليقضان وجهاد الكلمة ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، ط : 2 ، 1983 م .
- محمد عبد الستار نصار:
دراسات في فلسفة الأخلاق، دار القلم الكويت ، ط: 1، 1982 م.
- محمد الغزالي :
خلق المسلم ، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة الجزائر ، د-ط ، 1985 م.
- محمد إسماعيل ابراهيم :
معجم ألفاظ القرآن الكريم ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ، ط : 2 ، 1970 م .
-231-
معجم الألفاظ والإعلام القرآنية ، دار الفكر العربي ، ط:2 ، د- ت ، ص188.
- محمد عبد الستار نصار:
دراسات في فلسفة الأخلاق ، دار القلم ،الكويت ، ط : 1، 1982 م .
- محمد عبد العظيم الزرقانـي :
مناهل العرفـان في علوم القـرآن ، دار الفكر مصر ، د-ط ، د-ت .
- محمد متولي الشعراوي :
قصص الأنبياء والمرسلين ، المكتبة العصرية بيروت ، د-ط ، 2000 م .
- محمد كامل جمعة :
الأسلوب ، مكتبة القاهرة الحديثة ، ط: 2 ، 1963 م.
- محمد الصالح الصديق :
الدروب الحمر ، المكتبة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، د-ط ، 1979م .
- محمد السيد علي الوزير ومن معه :
قصص القرآن ، دار الجيل بيروت ، ط :1 ، 2000 م.
- محمد أحمـد خلف الله :
الفن القصصي في القرآن الكريم ، مكتبة الانجلوا المصريـة ، القاهرة ، ط : 3 ، 1965 .
- محمد لطفي الصباغ :
التصوير الفني في الحديث النبوي ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ط : 1 ،1983 م .
Mercia eliad 1952 . images …

- محمد أحمد جاد المولى ومن معه:
قصص القرآن ، دار الجيل بيروت ، ط:1 ، 2000م .
- موهوب مصطفاي :
الرمزية عند البحتري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، د- ط ، 1981 م.
-مصطفى صادق الرافعي :
إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط:8 ، د.ت .
- مبارك بن محمد الميلي :
رسالة الشرك ومظاهره ، شركة الشهاب الجزائر ، د-ط ، د-ت.
- ملحق الثورة الثقافي ، العدد : 2 ، 1978 م .
- عبد الله الركيبى :
تطور النثر الجزائري الحديث ، 1830-1974م ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم معهد البحوث والدراسات العربية ، دار نافع للطباعة مصر1976 م.
- عبد الفتاح صالح نافع :
الصورة في شعر بشار بن برد ، دار الفكر ، عمان ، 1983م .
- عبد الرحمن حسن الميداني :
أمثال القرآن ، دار القلم دمشق ، ط :2 ، 1992 م.
- عبود شراد شلتاغ :
أثر القرآن الكريم في الشعر الحديث ، رسالة دكتوراه ، جامعة الجزائر ، د-ط ،1983 م.

- عز الدين بليق :
منهاج الصالحين ، دار الفتح للطباعة والنشر ، بيروت لبنان ، ط: 2 ، 1984 م.
- علي عبد الواحد وافي :
فقه اللغة ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر ، ط : 7 ، د-ت .
- عز الدين اسماعيل :
الشعر العربي المعاصر ، دار العودة بيروت لبنان ، ط:3 ، 1981م .
- عفيف عبد الفتاح طبارة :
مع الأنبياء في القرآن الكريم ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط : 9 ، 1981 م.
- غنيمي هلال :
النقد الأدبي الحديث ، دار الثقافة والعودة بيروت لبنان ، د- ط ، 1973 م.
- فائز الداية :
جمليات الأسلوب ، دار الفكر دمشق سورية ، ط :2 ، 1990 .
- فؤاد العرايس :
لطائف التفسير من سورة يوسف ، دار المعرفة بيروت ، ط:1 ، 2005 م.
- قدامة ابن جعفر :
نقد النثر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، د-ط ، 1982م .
- سيد قطب :
التصوير الفني في القرآن ، دار الشروق ، القاهرة ، ط:7، 1982 م.
-234-
فى ظلال القرآن ، دار الشروق القاهرة ، ط:35، 2005 م.
- شوقي ضيف :
تاريخ الأدب العربي ، العصر الإسلامي ، دار المعارف ، القاهرة ، ط : 10 ، 1986م.
- نسيب النشاوي :
مدخل إلى دراسة المدارس الأدبيـة ، نقلا عن خليل موسى ، اللغة في ميزان الشعر ، ملحق الثورة الثقافي ، العدد : 2 ، 1978 م.
- ناجي التكريتي :
الفلسفة السياسية عند ابن الربيع ، دار الأندلس بيروت لبنان ، ط : 3 ، 1983 م.
- نبيل رشاد نوفل :
العلاقات التصويرية، منشأة المعارف بالأسكندرية ، د- ط ، د-ت .
- صلاح عبد الفتاح الخالدي :

نظرية التصوير الفني ، شركة الشهاب الجزائري ، د- ط ، 1988 م.
- وهبة الزحيلى :
الفقه الإسلامي ، مطبعة ابن حيان بدمشق ، ط:3،1980.

# فهـرس الموضـوعات

## فهرس الموضوعات